معالم الإيمان
في
معرفة أهل القيروان

صنّفه
أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، الدباغ
(٦٠٥ - ٦٩٦ هـ)

أكمله وعلّق عليه
أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي
(- ٨٣٩ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيّدنا محمّد
وعلى آله وصحبه وسلّم

الحمدُ لله رَبِّ العالمين ، والعاقبة للمتّقين ؛ والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمد سيِّد المرسلين ، وعلى آله وأزواجِه وَأَصْحَابه أجمعين .

وبعد : فإنَّ الشَّيخ الفقيه الصَّالح العدل المدرِّس ، أبا زيد عبد الرَّحمن ابن محمَّد [بن عليّ](1) بن عبدالله الأنصاريّ [الأُسَيْدِيّ](1) ، عُرِف الدَّبَّاغ ، أَلَّف تأليفًا وسمَّاه بِمَعالم الإيمان ، فى معرفة أهل القَيْرَوَان ، وانتشر عندَنا بالقَيْرَوَان وسائر إفريقيَّة ، فرأيتُ أنْ أذكره أوَّلًا وَأُعبِّر عنه بـ ﴿ قَال ﴾ كأنّه أَصْل ، وأكمل عليه ما يتأَتَّى لِيَ تكميله من غيره وأعزوه لقائله ؛ وأَسأل الله أنْ ينفعنى وإيَّاه بما أَلَّفْنَا فضلًا منه / وإنعاما ؛ وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا محمّد ، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين .

١ : ٣

(١) من رحلة العبدرى ، الورقة ٣٥ أ . (٤٨٩ جغرافيا، طلعت ، دار الكتب المصرية)

ذِكْرُ فَضْل إفريقيَّة[١]

رُوى عن سعد بن أبى وقَّاص – رضى الله عنه – عن النَّبىِّ صلّى الله عليه وسلّم أَنّه قال : لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحقِّ حتّى تقوم الساعة .

وعن أنَس بن مالك رضى الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول : لا تزال عصابة من أُمّتى بالمغرب يُقاتلونَ على الحقّ حتّى تقوم الساعة ؛ لا يَضُرُّهم من خَالفهم ، حتّى يروْا[٢] يوماً غماماً ، فيقولون : غُشيتم ، فيبعثون سَرَعان خيلهم ينظرون ، فيرجعون إليهم فيقولون : الجبالُ قد سُيّرت ! فيخرّون سجّدًا فتقبض أرواحُهم .

وعن أبى عبد الرّحمن الحُبُلِىّ ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : ليأتينَّ أُناسٌ من أمّتى من إفريقية – يوم القيامة – وجوهُهم أشدُّ نوراً من نور القمر ليلةَ البدر .

وعن سفيان بن الحارث يُحَدِّث عن أشياخه أنهم قالوا للمقْداد بن الأَسْود صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّك ثَقُلْتَ وتخرج فى هذه المغازى ؟ ! فقال : خفيفاً كنت أو ثقيلاً لا أتخلّف عنها ، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿انفروا خفافاً وَثِقَالاً﴾[٣] ثم قال : قدمَت سَرِيّة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فذكروا

(١) فى ط : « القيروان »

(٢) فى الاصول : « يرون » .

(٣) سورة التوبة ، آية ٤١

البَرْدَ والحرَّ الذّى / أصابهم ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنَّ البَرد الشّديد والأجر العظيم لِأَهْلِ إفريقيَّة . ١ : ٤

وعن أبى عبد الرّحمن الحُبُلِىّ ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ينقطع الجهاد من البلدان ، فلا يبقى إلاّ موضِعٌ من المغرب يُقال لهُ إفريقيّة ، فبينما القومُ بإزاء عدوِّهم ، نَظَرُوا إلى الجبال قد سُيّرت فيخرّون لله سجَّدا ، فلا ينزعهُم أخلاقَهم – يعنى ثيابَهم – إلاَّ خدمُهم فى الجنّة .

وعن ابن عُمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : بساحل إفريقية بابٌ من أبواب الجنّة يقال له المُنَسْتِير ؛ من دَخَلَهُ فبرحمة الله ، ومن خرج منه فبعفو الله .

وعن أَنَس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : من رابَط بالمُنَسْتِير ثلاثَة أيّام وَجَبَتْ له الجنَّة ، قال أنس : بَخٍ بَخٍ يا رسول الله .

وعن مُطَرّف بن عبد الله بن الشِّخّير يرفعه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : المُنَسْتِير بابٌ من أبواب الجنَّة يقال له الأنف ، دونه قنطرة من قَناطير الأولين .

وروى أنَّ أبا زكريّاء الحفرىّ قال : سمعت البهلول بن راشد يقول لوزير هَرْثَمة [بن أَعْيَن][1] حين استَشاره فى بناء المُنَسْتِير ، قال : فعدّد له أنّ هَرْثَمة بنى بأرمينيّة فى غير ما موضع[2] ، فقال له البهلول بن راشد : ما ذكرتَ شيئاً

(١) أبو العرب التميمى : طبقات علماء إفريقية .

(٢) المصدر نفسه : « بنى بأرمينية وفى غير موضع » .

إلاّ والمنستيرُ أفضل منه ؛ وذكر أنّه بلغه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : إنَّه بابٌ من أبواب الجنَّة .

﴿ قلتُ ﴾ : وسمِعْتُ شيخَنا أبا الفضل ، أبا القاسم بن أحمد البُرْزُلِيّ[1] يقول / عن شيخه وشيخنا ، أبى عبد الله محمّد بن محمّد بن عَرَفَة الوِرْغِمِّى[2] : إنه يغلب على الظّن أنّ هذه الأحاديث موضوعة ، وقصدوا مِنْ وضعها تَحْبيبها لساكنها ؛ ويدلّك على هذا أنّ فيها رَوْنق الأحاديث الموضوعة ، وكذلك يُنقل فى فَضْل بلد رَادِس وغيرها .

١ : ٥

وسُمع خالد بن حيّان بن الأعين الحضرمىّ يقول : بلغنى أن تُبَيْعاً قال : إنّ هذه الكُدْيَة شكت إلى الله يوم الطّوفان . فقال لها : اسكنى فسأُسْكِنُكِ أوليائى . قال أبو العرب : يعنى المقبرة العظمَى[3] عند باب سَلَم .

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكىّ : فقد صحّ ما ذكره تُبَيْع فى مقبرة باب سَلَم ، دُفِن فيها من العلَماء والصالحين عددٌ عظيم ، لا يُحصيهم إلاّ الله .

ذِكْرُ القَيْروان وما وَرد فيها

﴿ قال ﴾ : أمّا القيروان فهى البلَدُ الأعظم . والمصر المخصوص بالشّرفِ الأقْدم . قاعِدَةُ الإسلام والمسلمين بالمغرب ، وقطرهم الأفخر الذّى أصبح لسان الدّهر عن فضله يُعْرِب ، وبشرفِهِ يُغرِب ، قرارة الدّين والإيمان ، والأرض

(١) السخاوى : الضوء اللامع ١١ : ١٣٣ ، ١٨٩ ؛ ابن مريم : البستان ١٥٥

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ٩ : ٢٤٠ ؛ ابن الجزرى : غاية النهاية ٢ : ٢٤٣ ؛ ابن فرحون : الديباج ٣٣٧

(٣) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ١٨

المطهّرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان ، قِبلتُها أوّل قبلة رُسمت فى البلاد المغربيَّة ، وسجد لله فيها سرًّا وعلانية ، ناهيك بأرض كانت منازل أصحاب نبيِّنا ـ صلى الله عليه وسلّم ـ ومحطّ رحالهم ، ومعقلهم للإسلام المقصود إليها بسيرهم وأثقالهم ، والبُقْعَة التى تخيّروها مقرًّا للإسلام والمسلمين ، / مصراً مؤسَّساً على التّقوى إلى يوم الدِّين ، دار هجرة المغرب ، والتّربة المقدّسة التّى ضَمَّت شعر المصطفى فأصبحت به قسيمة يَثْرب . وقد كان الشَّيْخ الصَّالح الفقيه ، أبو مَهْدى عيسى الصّميلى ، ابن مَرْزوق[1] ، سافر إلى المشرق ، وجاور وحجَّ إحدى عشرة حجةً ، فبعث إلى أصحابه بالقَيْروان وهو يقول : ما زلتُ أبحث فى الآثار والأخبار ، إلى أن وَجَدْتُ أَنّ القيروان رابعةَ الثلاثة : المدينة ، ومكة ، وبيت المقدس ، والقَيْروان . قد دعَا لهـا كبار الصَّحابَة ممنَّ شهد بدراً وبايع بَيْعَةَ الرضوان ، وناهيك بدعائِهم شرفاً عنـد الله وذخرًا ، فلم تزل ـ والحمد لله ـ وطنًا ببركة دعائِهم لعلماء المسلمين ، وبقعة خير بقاع الصالحين ، بها آثارُهم وقبورُهم ، ومنها يكون للمحشر نُشُورُهم .

وقد روينا بإسنادهم ، أنّ عُقْبَةَ بن نافِع ـ رحمه الله ـ حين جمع أهلَ القَيْرَوان عليها ، كان معه فى عسكره خمسة وعشرون من الصّحابة ، وأنه جمعهم مع وجوه عسكره وكبار أصحابه ، فطاف بهم حول القَيْرَوان ، وأقبل يدعو لها هو وأصحابه ويقولون فى دُعَائِهم : اللَّهمَّ املَأْها علماً وفقهاً ، وعَمِّرْها بالمُطيعين لك والعابدين ، واجعَلْهَا عزًّا لدينك وذُلاً لمن كَفَرَ بك ، وأعزَّ بها الإسلام ، وأَمِّنْها من جبابرة

(١) ابن ناجى : معالم الإيمان ٤ : ١٥٥ .

الأَرْض ، اللّهم حَبِّبْها لساكنها وآتِها رزقها رَغَدًا من كلِّ مَكان ، اللّهم لا تُطْفِ لها ناراً ، ولا تهتك لها حريماً . فما عُلِم ببركة هذا الدّعاء أنّه سُبِيَ لها حريمٌ قطّ ، ولا انطفت لها نار ، ولا غُلِب أَهْلُها على دينهم وعَقائِدِهم / وما كان عليه سلفهم الصالح قطّ ، على كثرة من وَلِيَها من الشِّيَع وأعداء الإسلام وأَهْله ؛ ونرجو أن تكون ـ ببركته إن شاء الله ـ دارَ إسلامٍ وإيمان إلى يوم القيامة .

١ : ٧

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر أَنّه لم يُسْبَ لها حريمٌ قط ، غيرُ صحيح ، فإنَّ العرَب نَهَبَتْها وسَبَوْا حريمها ، ودخلُوها بالسِّيف حسبما يأتي .

﴿ قال ﴾ : وقد اتفَّقت لعُقْبَة بن نافِع الفِهْرِيّ رحمه الله حين وضع القَيْرَوان ، كراماتٌ وإجابات مَشْهورة : منها ما رواه عُلماء أهل التاريخ أنّ عُقْبَة رضى الله عنه لما غزا إفريقيَة فى زمن مُعاوية بن أبى سُفْيان ، وذلك سنة خمسين من الهجرة ، وقَتَل من كان بها من الرُّوم وأصناف البَرْبَر والأفارقة ، قال لأصحابه : إنّ إفريقية إذا دخلها أميرٌ تحزَّم [١] أهلُها بالإسلام ، فإذا خرج منها رَجَعُوا إلى الكُفْر ، وإنّى أرى أن أَتّخِذ بها مدينةً نجعلها معسكرًا وقَيْروانًا ، تكون عزًّا للإسلام إلى آخر الدهر . واختلف فى لُغة العرب فى لفظ القَيْروان [٢] ، فقيل هى مَوْضع اجتماع النّاس والجيش ؛ وقيل محطُّ أثقال الجيش ؛ وقيل هى الجيش نفسه ؛ والمعنى متقارب . فاتّفق رَأْيُه ورَأْى أصحابه ومن معه على ذلك ، وقالوا :

---

(١) الاستبصار ١١٣ : « تحرموا » .

(٢) انظر عن تطور هذه التسمية ، حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ١٥٣ .

نُريد أن نقرِّبها من البحر ، ليجتمع لأهلها الجِهَادُ والرِّباط ، فقال لهم عُقْبَة رضى الله عنه : إنّى أخاف أن يطرقها صاحب القُسْطَنْطِينِيّة ، فيهلكها صاحبُ البحر ، لكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا تقصَّر فيه الصَّلاة ، فأهلها مُرَابِطون[1] .

﴿ قلت ﴾ : وقال عُقْبة : إنّ هؤلاء عسكر معقودٌ للجهاد إلى آخر الدَّهر ، /ميِّتُهم فى الجنّة ؛ ومن كان قريباً من البحر فهو حَرَسٌ لهم . وإنّما خصَّ صاحبَ القسطنطينية ، لكونه كان العدوّ الكبير ؛ والله أعلم .

١ : ٨

وكلامهم نصٌّ فى أنّ الرِّباط يحصل بسُكْنَى الأَهْل ؛ ونصوص الفقهاء : أنّ الرِّبَاط إنّما يَحْصُل لمن خَرَج عن أهله وسَكَن بالسّواحل[2] ، وأمّا من استَوْطَن بها فلا يحصل له فَضْل الرِّبَاط ، فانظر ذلك .

﴿ قال ﴾ : فلمَّا اتّفَقَ رأيهم على ذلك قال لهم عُقْبة : قرِّبوها من السَّبْخَة فإنّ أكثر دَوَابّكم الإبل ، فتكون إبانا على أبواب مصرنا فى مراعيها آمنة من غَازِية[3] البَرْبَر والنّصارى ؛ فأجابوه إلى ذلك .

روى عبد الله بن وَهْب ، عن ابن لَهِيعَة ، أنّ عُقْبة بن نَافِع وقف على وادى القَيْروان وقال : يا أهل الوادى[4] ، اظعنوا فإنّا نازلون ،

---

(١) أورد الاستبصار ١١٣ هذا الخبر باختلافات لفظية بسيطة .

(٢) قارن مالك بن أنس : المدونة الكبرى ، رواية سحنون ابن سعيد ٣ : ٥ (مصر ١٣٢٣ هـ) .

(٣) كذا فى الأصول ؛ وفى البيان المغرب ١ : ١٤ « عادية » .

(٤) ردد هذه الأسطورة من المؤرخين القدماء : أبو العرب التميمى : طبقات علماء إفريقية ٨ ؛ إبراهيم الرقيق : انظر الاستبصار ١١٤ ؛ أبو بكر المالكى : رياض النفوس ١ : ٩ ؛ البكرى : معجم ما استعجم ٣ : ١١٠٥ .

وأنّ ما وجدناه قتلناه . قال الرّاوى : فرأينا الحيّات تخرج من أجحارِهن هاربَة حتّى أوجعها حرُّ الشّمس ؛ فلمّا لم يروا منها شيئاً نزلوا الوادى .

﴿ قلت ﴾ : ذكرَهُ غيرُه بأبسطِ من هذا ، وهو أنّ السّبع يخرج إليهم من الغيضة وهو يحمل أشباله ، والذئب يحمل أجراءه ، والحيّة تحمل أولادها ، والعقارب تدب دبيباً ، هاربة سمعاً وطاعة لربّ العالمين . ونادى فى عسكره : كفُّوا عنهم حتّى يرحَلُوا عنّا ، فأقام عُقْبَةَ ثلاثة أيّام يُنَادى بأعلَى صوته : يا أهل الوادى ، قد أجَّلنَاكم ثَلاَثَة أيّام .

﴿ قال ﴾ : فما رأوا منها شيئاً فى ذلك الموضع أَرْبَعين سنةً ، ولو التُمِسَت حيَّةٌ أو عقرب بألف دينار فما توجد .

١ : ٩ وَقال اللّيث بن سَعْد رَحِمَه الله : إنَّ عُقْبة بن عامر / الجُهَنِىّ هُوَ الذّى فعل هذا . رواه أبو العَرَب بن أحمد بن تَميم[١] ، عن أحمد بن أبى سليمان ، عن عبد الله بن لَهيعة ؛ مثله عن سَحْنون ، عن ابن وَهْب ، عن اللّيث ابن سَعْد . وروى عن عيسى بن محمد بن أبى المُهاجر ، عن عبد الله بن وَهْب ، عن عبد الله بن لَهِيعَة مثله . والصحِيحُ أنّ الذّى دعَا على وادى القيران هو عُقْبة بن نافع[٢] ، وهو المشهور على ما سيأتى بعد .

وكان أوَّل شىء اختطَّ منها [الجامع][٣] ، فاختلف النَّاسُ عليه

---

(١) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ٨ —

(٢) المصدر نفسه : ٩ .

(٣) ساقط من الأصول .

فى القِبْلَة ، وقالوا له : إنَّ جميع من بالمغرب يضع قبلته على قبلة هـذا الجامع ؛ فأقاموا أيَّامًا ينظرون مطالعَ الشَّمْسِ ومغارِبَها ، فاختلَفَ رَأْيُهم فى نصْبِها ، فاغْتَمَّ لذلك ودعا الله ، فأتاه آتٍ فى منامه وقال له : إذا أصبحت فاحْمِلْ لواءَك على عاتقك ، فإنَّكَ تسمع بين يديك تكبيرًا لا يَسْمَعُه أحدٌ من المؤمنين غيرك ، فالموضعُ الذى يُقطع عنك التكبير فيه فهو مُصَلَّاك وهو محراب مَسْجدك ، وقد رضى الله أمر هذا العسكر وهذه المدينة ، وسوف يعزّ الله بها دينَه ويذلّ بها من كفر إلى آخر الدهر ؛ فاسْتَيْقَظَ من نومه وهو فى المسجد ومعه أشراف قُرَيْش ، فتوضَّأ ، فلمَّا طلع الفجر صلَّى رَكْعَتَين ، فإذا بالتكبير بين يَدَيْهِ ، فقال لمن حوله : أَتَسْمَعُون شيئًا ؟ قالوا : لا ، فعلِم أنَّ الأمر من قبل الله ـ حيث لم يسمع التكبيرَ غيرُه ـ فأخذ اللِّواءَ وجعله على عاتقه وأقبل يتبع التَّكبير حتَّى أتى مِحْرَابَ المسجد الآن ، فانقطع عنه التَّكْبِير ، فركز لواءَه وقال : هذا محرابكم . فاقتُدِىَ به فى جميع مساجد المغرب .

/ وقد رأيتُ مسمارًا مركوزًا فى المحراب ، وأهل القيروان يقولون إنه جُعِل علمًا على الموضع الّذِى ركز فيه عُقْبَة لواءَه ؛ ثم إنَّ بعض العلماء أزاله لما رأى من افتتان الناس به ، وقَصْدِهِمْ له بالتَّقبيل . ١ : ١٠

ومن فضائل القيروان الّتى تمتاز بها على سائر المغرب أن بها قَبْر أبى زَمْعَة البَلَوِىّ[1] صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وقد قال عليه الصَّلاة والسلام : أيُّما رَجُلٍ من أصحابى ماتَ ببلدةٍ ، فهو قائِدُهم

---

(١) معالم الإيمان ١ : ٨٢ .

ونورُهم يوم القيامة . رواه الإمام الحافظ ، محمـــد بن إسماعيل البُخارى فى تاريخه[١] ، عن [محمّد] بن مُقَاتِل[٢] ، عن مُعَاذ بن خالد ، عن عبد الله بن مسلم [السُّلَمِى][٣] من أهل [مَرْو][٤] ؛ وقال : سمعت عبد الله بن بريدة يقول : [مات والدى بمَرْو ، وقبره بالُحصَيْن][٥] ، وهو قائد أهل المشرق [يوم القيامة][٦] ونورُهم ؛ لأنَّ النَّبىَّ صلَّى الله عليـــه وسلّم قال : أيّما رجل من أصحابى مات ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة . والُحصَيْن مَقْبرة مَرْو ؛ فإذا كان بريدة قائد أهل المشرق لـكونه مات بمَرْو ، فأبو زَمْعَـة قائد أهل المغرب إذ لم يدفن بالمغرب وإفريقِيَّة من الصَّحابة سواه .

﴿ قلت ﴾ : فى هذا نظر ، وذلك أنِّى لما وليت قَضاء قَابِس ، وجدتهم يزورون قبرًا فى بيت لطيفٍ داخل مسجد خارج عن البـــلد من غَرْبِيّها ، يسمَّى مسجد أبى لُبابَة . وفى الحائِط عند رأس القَبْر لوحٌ مكتوب فيه : هذا قبر أبى لُبابة صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وجميعُ من بقابس وسائرِ عَمَلِهَا يقولون ذلك وينقلونه نَقْلًا مُتَوَاتِرًا ، حُرُّهم /وعبدهم ، ويَعدِه النَّاس كَثِيرًا ، ويقوم بذلك المكان رجل يصحُّ له ١ : ١١

---

(١) محمد بن إسماعيل البخارى : التاريخ الصغير ٢٠

(٢) فى أصول المعالم محرف إلى « عبد الله بن مقاتل » . انظر المصدر المتقدم ، والتاريخ الـكبير : قسم ١ جزء ١ : ٢٤٢

(٣) فى الأصول : « الأسلمى » انظر التاريخ الصغير ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦ : ٣٠

(٤) فى الأصول : « برق » .

(٥) فى الأصول : « مات أبى بالحصين » ؛ والتكملة من التاريخ الصغير .

(٦) التاريخ الصغير ٢١

من وِعْدَات النَّاس ما يكفيه هو وعياله برفاهية ؛ فقلت لهم : إنَّ المؤرّخين قالوا : لم يدفن بإفريقية من الصَّحابة غير أبى زَمْعَة بالقيروان ، فقالوا : ما رأينا أحدًا تردَّدَ فيما ذكرناه لك . ثم لمَّا وصلتُ إلى تونس بعد ذلك ، سألتُ شيخَنا أبا الفضل ، أبا القاسم البُرْزُلىّ ، فقال لى : لما حَجَجْتُ زرتُ قبرَه ، ونَقْلُهم فيه متواتر ، فما ذَكره المؤرخون إنما هو فيما عَلِموه ، وذلك يدُلّ على أن غيرهم علم خلاف ما لم يعلموه . فالعملُ على ما ذكره أهل قابس ، ولا قادح يقدح فى نقلهم .

﴿ قال ﴾ : وقال أبو بكر المالكى : لا يعلم أن شعر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ بموضع من المواضع إلَّا بالقيروان ، وذلك أن رسول الله لما حلق رأسه فى حجّة الوداع ، أخذَ من شعره أبو زَمْعَة البَلَوِىّ ـ رضى الله عنه ـ وجعله فى قلنسوته ؛ فلمَّا مات بالقيروان دفن بها معه . فهذه مزيّة لأهل القيروان عظيمة ، ومنفعة جليلة ،لا يشاركهم فيها غيرُهم من بلاد المغرب ، حيث ضَمَّت أرضهم بعض جسد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ومن فضائِل القيروان ما رواه الشَّيخ الإمام أبو بكر بن محمد بن اللَّباد ، عن فُرات بن محمد العبدىّ ، عن حميد بن أسد ، قال : حدّثنى أبو محمد الأنصارى الذَّهبىّ ، قال : رأيت فى المنام أيَّام منصور الطُّنْبُذى ليلة الأربعاء ، وكان الناس ـ تلك الليلة ـ قد باتوا خائفين ؛/ قال أبو محمد : وبتّ أنا مغمومًا مهمومًا معهم ، حتَّى رأيت كأنِّى فى مَوْضع الرَّيْحانة ، فنظرت وإذا بفارس تحته فرس أدهم محجّل ، وبيده لواء أخضر أعلاه

١٢:١

فى السماء وأسفله فى الأرض ، قال : فدنا إليه فقال : يا أبا محمد ، ما لِى أراكَ مغمومًا ؟ فقلت : ممّا أخاف أن يُصَابِحَ هـــــذه المدينة من هذا الرّجل ، فقال لِى : لا تخف يا أبا محمد ، أما علمت أنّ هذه المدينة من السّبع مدائن المدفوع عنها ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا جِبريل . وفى رواية : أنا جبريل بعثت لأمان هذه المدينة .

ورُوىَ أَنَّ بعض الصالحين رأى فى منامه النَّبىّ صلى الله عليه وسلم وهو مقبل إلى القَيْروان على فرس أبيض وعليه ثياب خضر وخَلْفَهُ عَدَدٌ من النَّاس لا يحصون على خيول ، فانتهى إلى باب أبى الرَّبيع ، أحد أبواب القيروان ، فوقف هناك فقال : هــذه القيروان ، فنظرتُ إليها فإذا عليها سورٌ من حديد ، ثم قال لى : انظر ، فنظرتُ فإذا برجال مُصْطَفِّين على السّور متقلين بالسّيوف ، وبأيديهم الحراب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جُعِلَ هذا السّور على هذه المدينة يوم وَضَعَهَا عُقْبَة ؛ ثم قال : وأنا سألت الله أن يجعله عليها ولا يُرفع عنها إلى يَوْم القيامة . والرُّؤْيا طويلة مشهورة ، وأظنّ الرَّأْى هو الشيخ أبو إسحاق السّبأى [١] .

﴿ قلت ﴾ : وقال الشيخ أبو إسحاق ، إبراهيم بن يوسف بن عبد الملك ابن عبد الله بن سالم بن عبــد الملك بن عيسى بن عَوانة القُرشى / الهاشمى الحسينى [٢] ، فى كتاب أُنْس النسّاك المُعْرِب ، عن فضائل علماء قيروان المغرب : ولا امتراء فى أن هــذه الرّؤيا موضوعة غير صحيحة وناقلها مأثوم فى نقلها ، لأنّ النَّبىّ صلى الله عليه وسلم يقول : مــن رآنى فقد رآنى

١ : ١٣

---

(١) المعالم ٣ : ٧٧ .
(٢) المصدر نفسه ٤ : ١٠٣

حقًّا فإنّ الشَّيْطَان لا يتمثّل بى . فلو كانت هذه الرؤيا صحيحة ، ماجرى على القيروان ما جَرَى من نهب العَرَبِ لها ، وسَبْى حريمها ، ودخولها بالسّيف ؛ ولم يبق بهــا دار إلا دُخِلت ، حتى نزلت آبارها ، وهدم ما اتّهم أنّ فيه خَبْءٌ[١] منها ، وبقيت خالية لا أنيس بها ، وأهلها قد ذهلت عقولهم وزهقت نفوسهم ، وفرَّ الخليل عن خايله ، واشتغل كلٌّ بنفســه ، ولم يَبْق بالقيروان أنيسٌ غير رجل واحد حَمّال يعرف بِعَبُّود ، طلع صَوْمَعة جامعها وقام بها مدَّةَ خلائها ، إذا جنّ اللّيل عليه يقوم ينوح ويندب ؛ وتفرَّق أهلها فى الأرض بعد هَلاكِ أكثرهم وتبديد معظمهم .

وأكْثَرَ الشّعراء[٢] فى ذلك ؛ فمن ذلك ماقال أبو عبد الله محمد بن شَرَف فى قَصيدةٍ وَصَف ما كان من صِيَانة الحريم فيها ، ثُمَّ ماصــارت إليه من الانــكشاف فى الحلّ والتّرحَال ، وركوب ظهور الخطوب والأَهْوَال :

بَعْدَ خُطوبٍ خَطَبَتْ مُهْجتى وكان وَشْكُ البَيْن إمهــارَها
ذا كبدٍ أفــلاذها حولهــا قسَّمَتِ الغُرْبَةُ أَعْشَــارَها
أطفالُهــا[٣] ماسمِعت بالفَــلَا قطُّ ، فعَادَتِ[٤] الفلَا دارَها
/ ولا رأت أبصارُها شــاطِئاً ثمّ جلَتْ باللُّجِّ أبصــارَها ١٤ : ١
وكانت الأَسْتَــار آفاقهــا فعــادت الآفاق أسْتَارَهــا

(١) بفتح الخاء ، وتــكسر : ماخبىء وغاب .
(٢) ابن بسام : الذخيرة ، قسم ٤ ، مجلد ١ : ١٨٠ —) وقد نقل العوانى نصــه ولم يسنده .
(٣) فى الذخيرة : « أطافل » .
(٤) فى ط و الذخيرة : « فعاينت » .

ولم تكن تعلو سريرًا علا إلاّ إذا وَافَق مقدارَها
ثم علَت فوق(١) عَثُور الخطى ترمى به فى الأرض أَحْجَارَها
ولم تكن تلحظها مُقْلَةٌ لو كَحَلَت بالشَّمْس أشفارَها
فأصبحت لا تتقى لحظة إلاَ بأن تجمع أطْمَارَها

قوله : وكانت الأستار آفاقَها. البيت . من الكلام الفصيح ، والقلب المليح ، فأجاد فى ذلك كلّ الإجادة . رحمه الله تعالى .

وقال الفقيه الأديب الفاضل أبو الحسن عبد الكريم بن فَضَّال القَيْروانىّ ، ويُعرف بالحلوانى(٢) :

لله منزلة بالقيروان محا آياتها البينُ لا الأيام والقِدَمُ
شققتُ جَيْبَ شبابى بعد فُرْقَتها حُزنًا عليها ولا شيبٌ ولا هَرَمُ
إن فرّق الدّهر عنها شملنا فلنا بصاحب خمس إبرهيم مُعْتَصَمُ

يعنى أبا عبد الله إبراهيم بن محمد الكِنانىّ .

وله فيها(٣) :

ليت شعرى ، ولَيْتَ حرف تمنٍّ ربَّما علَّلَ الفؤادَ السَّقيمَا
كيف يا قَيْروان حالك لمّا نثر البينُ سلكَكِ المنظومَا

---

(١) فى الذخيرة : « كل » .
(٢) ترجمته فى الذخيرة لابن بسام ، قسم ١ ، مجلد ١ : ٢١٩
(٣) انظر الذخيرة ؛ وشرح الشريشى على المقامات ٢ : ٨٩ .

كنت أمّ البلاد شرقاً وغرباً   فمحا الدّهر وشْيَكِ المرْقوما
نحن أبناؤها ولكن عَقَقْنا   بعد أن لم نُطِقْ بها أن نقيما
دِمنٌ كانت البروج وكنّا   أقمراً في قِبابِها ونجومًا

/ وقال ابنُ شَرَفِ القيرواني في قصيدةٍ يصف خلاءَ القَيْروان وجلاءَها[1] :   ١ : ١٥

ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مخالِطٌ   ألا منزل فيه أنيسٌ مُجاوِرُ ؟!
تُرى سيئاتُ القيروان تعاظمت   فجَلّت عن الغفران ، والله غافِرُ ؟!
تُراها أصيبت بالكبائر وحدها   ألم تك قِدْماً في البلاد الكبائرُ ؟!
ترحّل عنها قاطنوها فلا ترى   سوى سائر أو قاطن وهو سائرُ
تكشفت الأستار عنهم وربّما   أقيمت ستورٌ [دونهم][2] وستائر
إذا جاذبت أستارها تبتغي بها   لأقدامها ستراً ، تبدّت غدائرُ
تَبيت على فُرْشِ الحصى ، فغطاؤها   دَوارِسُ أسمال عليها[3] حقائر
فياليت شعري القيروانُ مَواطني   أعائدةٌ فيها الليالي القصائرُ ؟ ؟
ويا روحتى بالقيروان وبُكْرَتي   أراجعة رَوْحاتنا والبواكر ؟
كأن لم تكن أيّامُنا فيك طلقة   وأوْجُهُ أيّام السّرور سَوافِرُ
كأن لم يكن كلٌّ ولا كان بعضه   به قد مضى عصرٌ وتمضى العصائر[4]

وله أيضاً[5] :

ياقيروان وددت أنّى طائر   فأراك رُؤْيَةَ باحثٍ متأمّلِ

---

(١) الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ : ١٨٣
(٢) من الذخيرة ، وفى الأصول : « عنهم » .
(٣) فى الذخيرة : « زوار » .
(٤) فى الذخيرة : « سيمضى به عصر وتمضى المعاصر » .
(٥) الذخيرة : قسم ٤ مجلد ١ : ١٨١

لا كثرة الإحسان تنسى حسرتى ... هيهات تذهب علّةٌ بتعلُّلِ
يا لو شَهِدْتِ إذا رأيتك فى الكرى ... كيف ارتجاعُ صِبَاىَ بعد تَكَهُّل

وقال الكاتب أبو على الحسن بنُ رشيق الأَزْدى القيروانى من قصيدة له فيها :

كم كان فيها من كرامٍ سادةٍ ... بيضِ الوجوه شوامخِ الإيمانِ
١ : ١٦ / متعاونين على الدِّيانة والتُّقَى ... لله فى الإسْرَارِ والإعْلانِ
ومهذّب جَمٍّ الفضائلِ باذِلٍ ... لنواله ، ولعرضِه صوّانِ
وأيمةٍ جمعوا العلوم وهذّبوا ... سُنَن الحديث ومشكِل القرآنِ
علماءَ إن سائَلتهم كشفوا العمى ... بفقاهةٍ وفصاحة وبيَانِ
وإذا الأمور استبهمت واستغلقت ... أبوابُها وتنازع الخصمانِ
حلّوا غوامضَ كل أمر مشكل ... بدليل حقٍّ واضح البرهانِ
هجروا المضاجعَ قانتين لربِّهم ... طلبًا لخير مُعَرَّسٍ ومَعَانِ(١)
وإذا دَجَى اللّيل البهيم رأيتَهم ... متبتّلين تبتُّلَ الرّهْبَانِ
فى جنة الفردوس أكرم منزل ... بين الحسان الحور والولدانِ
تَجَروا بها الفردوسَ من أرباحهم ... نعم التجارة طاعة الرحمن
المتّقين الله حقّ تُقَاته ... والعارفين مكائِد الشيطانِ
وترى جبابرةَ الملوك لديهم ... خُضُع الرّقاب نواكس الأَذْقان
لا يستطيعون الكلامَ مهابةً ... إلّا إشارة أعيُنٍ وبنَانِ
خافوا الإلٰه فخافهم كلُّ الورى ... حتّى ضِراءُ الأُسْدِ فى الغيران

---

(١) المعان : المباءة والمنزل .

تُنسيك هيبتهم شماخة كلِّ ذى ... مُلْكٍ ، وهيبةَ كلّ ذِى سُلْطَانِ
أحلامُهم تزن الجبال ، وفضلهم ... كالشَّمْس لا تخفى بكلِّ مكان
كانت تُعَدّ القيروانُ بهم إذا ... عدّ المنابر ، زهرةَ البلدان
وزهت على مصرٍ وحقّ لها ، كما ... تزهُو بهم ، وعَلَتْ على بغدان
حَسُنَت ، فلمّا أن تكامل حسنُها ... وسما إليها كلّ طَرْف رانِ
وتجمّعت فيها الفَضَائِلُ كلُّها ... وغدت محلَّ الأمن والإيمانِ
/ نظرت لها الأيام نظرةَ كاشحٍ ... ترنُو بنظرة كاشحٍ مِعْيانِ

١٧ : ١

حتى إذا الأقدار حُمّ وقوعُها ... ودَنا القضاء لمدّة وأوانِ
أهدَتْ لها فِتَناً كليلٍ مظلم ... وأرادها كالناطح العيدان
بمصائب من فَادِحٍ وأشالب (؟) ... ممّن تجمّع من بنى دُهْمَانِ
فتكوا بأمّةِ أحمدٍ ، أتُراهم ... أمنوا عقاب الله فى رمضان ؟ !
نقضوا العهودَ المبرمات وأخفروا ... ذِمَمَ الإله ولم يفوا بضَمَانِ
فاستحسنوا غدر الجوار وآثروا ... سَبْى الحريم وكِشْفَةَ النّسوانِ
ساموهم سُوء العذاب وأظهروا ... ـ متعسِّفين ـ كوامِنَ الأضغانِ
والمسلمون مقسّمون تنالهم ... أيدى العصاة بذلّة وهوانِ
مابين مضطرّ وبين معذّبٍ ... ومقتّل ظلماً وآخرَ عانِ
يستصرخون فلا يُغاث صريخُهم ... حتَّى إذا سئِموا من الإرْنانِ
بادوا نفوسهم ، فلمّا أنفذوا ... ماجمّعوا من صامتٍ وصِوانِ
واستخلصوا من جَوْهَرٍ وملابس ... وطرائف وذخائر وأوانِ
خرجوا حفاةً عائذين بربّهم ... من خَوْفهم ومصائبِ ألوانِ[1]
هَرَبُوا بكلِّ وليدة وفطيمةٍ ... وبكلِّ أرملة وكلِّ حَصَانِ

(١) فى الأصول : « مصائب الألوان »

وبكلّ بكر كالمهاة عزيزة تسبي العقول بطرفها الفتّانِ
خود مبتّلة الوشاح كأنّها قمرٌ يلوحُ على قضيبِ البانِ
والمسجد المعمور جامع عُقْبة خرب المعاطنِ مظلم الأركانِ
قَفْر فما تغشاه بعدُ جماعة لصلاة خمسٍ لا ولا لِأذانِ
بيت به عُبِد الإلهُ وأبطلت بعد الغلوّ عبادةُ الأوثانِ
/ بَيْتٌ بوحى الله كان بناؤه نعم البنا والمبتَنى والبانى ١ : ١٨
أعظم بتلك مصيبة ماتنجلى حسراتُها ، أو ينقضى المَلَوانِ
لو أن ثهلاناً أصيب بعشرها لتدكدكت منها ذرى ثَهْلَانِ
حزنت لها كور العراق بأسرها وقرى الشآمِ ومصر والخرْسَان
وتزعزعت لمصابها وتنكّدت أسفاً ، بلاد الهند والسّندان
وعفا من الأقطار بعد خلائها مابين أندلسٍ إلى خُلْوَانِ
وأرى النجوم طَلَعنَ غير زواهرٍ فى أفقهنّ وأظلم القَمرَانِ
وأرى الجبال الشمّ أمست خُشَّعًا لمصابها ، وتضعضع الثّقَلان
والأرضُ من ولهٍ بها قد أصبحت بعد القرار شديدة الميلان
أترى الليالى بعد ماصنعت بنا تقضى لنا بتواصلٍ وتدان
وتعيد أَرْضَ القيروان كعهدها فيما مضى من سَالِفِ الأزمانِ
من بعد ماسابت نظائر حسنها الـأيامُ واختلفت بها مبتان[1](؟)
وغدت كان لم تغن قطّ ولم تكن حَرَمًا عزيز النصر غير مهانِ
أمسَتْ وقد لعب الزمان بأهلها وتقطّعت بهم عُرَى الأقرانِ
فتفرقوا أيدى سبا وتشتّتوا بعد اجتماعهم على الأوْطان

(١) كذا فى الأصول ، ولعلها : « فتّان » إشارة لزغبة ورياح .

قال إبراهيم العَوَّانى : ولو كانت هذه الرؤيا الّتى نقلها صحيحة ماتنكّرت معالم القيروان وأطلالُها وتبدَّلت معاهِدُها وأحوالُها ، ، فأىّ شىء دعاه رحمه الله إلى ذكر حكايةٍ يُقْطَع ببُطْلانها وافتعالها وتزويرها وغفلة قائلها .

﴿ قلت ﴾ : وما نقله عن العوانى ، وإنما هو بعض كلامه ، فإنه أطال نَقْلَ الأَشْعَار / فى ذلك ، وهـذه القصيدة نقلها بكمالها وعدد أبياتها مئة واثنان وعشرون بيتاً ، فحذفت سوى ما ذكرته ، اختصاراً .

١ : ١٩

وسيأتى ذكر سبب خراب القيروان .

﴿ قال ﴾ : وكتب الشّيخ أبو إسحاق السّبائى إلى أبى الفَضْل الغَدَامِسى بالمُنَسْتِير ــ رضى الله عنهما ــ يستشيره فى سكنى القيروان أو المُنَسْتِير عند ما تفاقَمَ أمر بنى عُبَيْد بالقيروان وفشا مذهبهم وإضرارهم بأهل السنّة ، فكتب إليه أبو الفضل : يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فى رؤيا رآها ــ تَرْحَلُ من بلدة معصومة إلى غيرها ؟ ! .

﴿ قلت ﴾ : يحتمل أن يكون المراد أنَّ السّاكن بها لا يزال على دينه إلى يوم القيامة ، بخلاف المُنَسْتِير ، فلا يدرى ما يكون من أهلها فى المستقبل ؛ ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنّه مادام بالقيروان يعصمه الله منهم مع غلبته عليهم ، وكذلك كان بحمد الله تعالى .

﴿ قال ﴾ : وكان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أبى بكر الجبنيانى رضى الله عنه ، إذا قدم أحدٌ من النَّاس إليه سَأله عَنِ القيروان وعن العلماء بها ، ثم يقول : إنّما القيروان كالرَّأْسِ وإفريقية كالجسد ، وإنّما يصحُّ الجسد إذا صحّ الرأس . وفضائلها كثيرة شهيرة ، يخرجنا تَتَبّعها عن الاختصار .

وقد قال أبو القاسم الفِزَاريّ فى قصيدةٍ له طويلة[١] كان أنشدها بين يدى أبى يَزِيد الخارجىّ بمحضر عُلماء القيروان ، يستعطفه بها ويصف بنى عُبَيْد وما هم عليه ، فأنشد فى ذلك :

فَهلْ للقَيْروان وساكنيها … عديلٌ حين يفتخِرُ الفخورُ ! ؟

١ : ٢٠ / بِلادٌ حَشْوُها علم وحِلْمٌ … وإسلامٌ ومعروف وخيرُ

عراق [الشّرق][٢] بغدادوهذى … عراق الغرب بينهما كثيرُ

ولست أقيس بغداداً إليها … وكيف تُقاس بالسّنة الشُهورُ ؟

بلاد تَقْصِفُ [العُظماء][٣] قصفاً … إذا مارامها منهم غَدُورُ

بلاد خَطَّها أصحابُ بَدْرٍ … وتلك اختطَّ ساحَتَها أميرُ

بناها المستجابُ وقد دعا فى … جوانبها دعاء لا يَبُورُ

بناها كلُّ بدرىّ كريم … كأنّ صِفَاحَ أَوْجُهِهِم بُدُورُ

هُمُ صلوا بمسجدها بَراحًا … وليس له جِدارٌ مستديرُ

هُمُ وضعوا له أسّاً وساسًا … فقدّست المواضِعُ والصّخورُ

وقادَهُمُ الأذانُ إليه حتى … أضاء لهم من المحراب نورُ

ولم يسبقهمُ ملك ظلوم … لتأسيس ، ولا ملك كفور

وأصحابُ النبِيِّ له بُناةٌ … ولا عصيانَ ثَمّ ، ولا فُجورُ

أقاموا شطر قبلتهِ سويًّا … إلى البيت العتيق فلم يجوروا

---

(١) وصلنا نصها كاملا عن طريق أبى بكر المالكى : رياض النفوس ٢ : ٢٢٥ أ
(مخطوط دار الكتب ١١٦ تاريخ ضرغتمش)

(٢) من الرياض ، وفى الأصول : « الشام » .

(٣) من الرياض : وفى الأصول : « الجبار » .

[وإنّ عِرَاصَهُ لمقدّسات مُبَارَكة ، وتُرْبَتَهُ طَهورُ][1]

فلما دخل إسماعيل بن أبي القاسم بن عُبيد الله إلى القيروان بعد أن قَتَل أبا يزيد مَخْلَد بن كيداد ، طلب أبا القاسم الفزاريّ هذا ، فاختفى أبو القاسم ولجأ إلى الشّيخ أبي إسحاق السبائى وذكر مايخافُه على نفسه من القَتْل ؟ فقال له أبو إسحاق : ما كان قصدك بقصيدتك ؟ قال : وجه الله ، قال له : آلله ؟ قال : نعم ، قال : اذهب فإنّه لا يلحقك منه مكروه ؛ فساروا به إلى إسماعيل ، فلمّا مثل بين يديه قال له : أنشدنى قصيدتك تلك الرّائية ، فأنشده / إياها ، فلما فرغ منها حَرَّضه بعضُ أشياخه على قَتْله ، فأعرض عنه وأذن له بالانصراف ، ولم يعرض له بمكروه . ١ : ٢١

وقال عليّ بن عبد الغنى الفِهْرى[2] :

ألا سقى الله أرضَ القَيْروان حيًا … كأنّه عبرات مستهلّاتُ[3]

وكَفّ عنها أكُفّ المفسدين لها … ولا عَدَتْها من الخيرات عاداتُ

فإنّها أوْجُه الأحباب[4] ، تربتُها … مسكيّةٌ وحصاها جوهريّاتُ

أرض[5] بها الخير مجموع ، مباركة … لله فيها براهينٌ وآياتُ

حاشا البقاع الثّلاث الطيّبات فقُلْ … خير البقاع تصدّقكَ الشهاداتُ

كم من وليّ بها لله منقطعٍ … حياتُه كلّها نسك وإخباتُ

---

(١) من ش والرياض .

(٢) الحصرى الضرير ، (ــ ٤٨٨ هـ) . انظر الصفدى : نكت الهميان ٢١٣ ، ديوانه (طبع تونس ١٩٦٤) . والأبيات فى الذخيرة ، قسم ٤ مجلد ١ : ٢١٥ ؛ والأبيات : ١، ٣ ، ٤ فى شرح المقامات للشريشي ٢ : ٩٠

(٣) فى شرح المقامات والذخيرة : « عبراتى المستهلات »

(٤) فى شرح المقامات : « كأنها لذة الجنات » .

(٥) فى شرح المقامات : « أرض أريضة أقطار » .

وكم إمام هدى فى مرتقى ملكٍ قد توَّجَتْهُ المعالى والمهابات

﴿ قلت ﴾ : قال العَوَانىّ : ماذكر من قوله :

فإنَّها أَوْجُهُ الأَحْباب ، تُرْبَتُها مسكيَّةٌ وحصاها جوهَرِيَّاتُ

مغيّر اللَّفظ مُختلّ المعنى ، وذلك أنّه جعل تُرْبتَها كوُجوه أَحْبابه فغيّر اللّفظ وأفسد المَعْنَى ، وإنّما الرِّوايةُ فيهاَ :

فإنّهَا لذّة الجنّاتِ ، تربتها مسكيَّةٌ وحصاها جوهَرِيَّاتُ

فانظر كيف حَسُن اللّفظ ههنا والمعنى ، حيث شبَّهها باللذات ، فجعل تربتها مسكاً وحصاها جوهراً ؛ وأمّا تشبيهها بوجوه الأحباب فلا معنى له ولا اللّفظ يقتضيه ، والرواية فيه كما ذكرنا .

* * *

﴿قال﴾ : وأمّا فضل القيروان عمومًا فَمَعْلومٌ على تعاقب الزمان ، متداول بين الأُمَم لا يختلف فيه اثنان ، ناهيك من قَوْم سلَفُهمُ الأوّل أفاضل الصّحابة والتابعين الّذين فتح الله بهم أقطار المَغارب ، / وجالت فى أرجائه منهم أفضلُ الُجيوش والكتائب ، وعلى أيديهم أَسْلَمَ سائِرهُ ، وانتصفت من طائفة الكفر جنودُ الحق وعسا كرهُ ، وأمّا من جاء بعدَهُم فعُلماءُ الدّين ، والقَدوة لسائر المسلمين ، مصابيحُ الظَّلام ، وأيمّة الاقتداء ، وهم الّذين كانت تشدّ إليهم الإبل ، وبالجملة فالّذى كان أهل القيروان عليه قديمًا من قُوّة الإيمان بالله ، والانتصار للحقّ ، والصبر على الأذى فى الله ، والجهاد لإعزاز الّدين ، والقيام بالردّ على أهل الأهواء بالدّلائل القاطعة والحجَج الدّامغة لتثبيت عقائِد عامّة الموحّدين ، فقد ناضلوا بالسُّيوف ، وجادلوا باللّسان فى تقرير الدّين وتثبيت قواعد اليقين ، فذلك كلّه شيء لا يسعه ديوان ، ولا يمليه لِسان ؛ قد امتحنوا باستيلاء الخوارج

١ : ٢٢

عليهم من الصفريّه والإباضيَّه ، وكذلك امتحنوا بخَلْق القرآن فى زمن الواثق ، وعزم محمد بن الأغلب على قَتْل محمد بن سعيد ، فما زالوا على اعتقاد أهل السنّة ، وصبروا على الأذى فى دين الله وما زادهُم إلاّ يقينًا وبصيرة فى دينهم ؛ ولمّا أستَوْلَى العبيديّون على إفريقية وانضافت إليهم طوائف كثيرة من أهل الشّيع الغالبة ، قدموا عليهم من البلاد متوسّلين إليهم بحبّ أهل البيت والتعصّب لهم ، حتى ولوهم الولايات ورفعوا منازلَهم ، ثمّ أظهروا مذهبَهم الفاسدَ فى سَبِّ الصّحابة — رضوان الله عليهم — وتبديل الشّرَائِع والاضرار بأهل السنَّة ، مثل محمد بن عمر المروزىّ لعنه الله ، وعبد الله بن محمد الكاتب ، ومحمد بن [أبى سعيد][1] ، حتى كشف الله/ أستارهم فقتلوا بالعذاب ، وبعد ذلك هجم أهل القيروان على هؤلاء الأشرار بعد ماتولّى المعزّ بن باديس ، فقتلوهم عن آخرهم وطَهَّرَ الله القيروانَ من رجسهم ، والحمد لله ربّ العالمين .

١ : ٢٣

ولم يزل أهل القيروان فى جهادٍ مع الفِرَق الضالَّة والفئة المارقة ، ولم يزل الشيخ الأوحد أبو [عثمان][2] سعيد بن الحدّاد ، وأبو محمّد عبد الله بن إسحاق التَبّان ، يناظران على مذهب أهل السنة ويَرَوْنَ ذلك من أعظم الجهاد ، حتّى أخمد الله نارَهم ، وقلّ عددُهُم ، وظهر حزب الحقّ ، وأعلا الله كلمَتَه ، والحمد لله ربّ العالمين .

﴿ قلت ﴾ : ماذكره من لعنه لما ذكر ، ونَسَبَهم بعد هذا إلى الكُفْر والزّندقة ؛ قال العوانى : فأفرط فى ذمِّهم فى هذا الكِتاب ، ثم إنّه فى كتابه المسمى بواسطة النّظام ، فى تواريخ مُلوك الإسلام ، ذكر ضدَّ ذلك ووصفهم بأوصافٍ حميدة من تغيير المنكر والنّهى عن شُرْب الخمر ، وبَرَّأَهم من المذامِّ كلِّها الّتى نسبت إليهم ، ونسبها لبعض دعاتهم ، وأنَّهم لما اتّصل بهم منها

---

(١) فى الأصول : « محمد بن حسين » والتصحيح من ابن عذارى : البيان المغرب ١ : ٢٣١
(٢) ساقط من الأصول . انظر المعالم ٢ : ٢٠٢

مااتَّصل عن بعض دُعاتهم عاقبوهم أشدَّ العُقوبة على ذلك و تبرَّأوا منهم ؛ وأنَّ المنصور بالله إسماعيل بن أبى القاسم محمد بن عُبيد المهدى كان محسناً لرعيّته ، فصيح اللسان خطيبًا ، منصفًا ، ولم يزل على الحالة الحسنة من العدل والعفو والحلم ، وأسقط الخراجَ عن الرّعية حتّى صَلُحت أحوالُهم ؛ وكان قاضيه محمد ابن أبى المنصور فى غاية الدّين والوَرع والصَّلابة فى الحق إلى أن مات ، فولى بعده عبد الله بن هاشم ، فكان من / أفضل النّاس . ولم يزل المنصور هذا شأنه من حفظ المسلمين وتولية أهل الورع والدِّين ، ومحبَّة الفقهاء والصّالحين . ولما سار إلى السَّاحل مَرَّ بقريةِ عيسى بن مسكين القاضى ، فصلَّى فى مجلسه ركعتين تبرُّكاً به ، وأوصى العامل بحفظ القرية . هكذا ذكره الدباغ فى تأليفه . فليت شعرى على أىِّ قوليه يُعوَّل فى ذلك ؟ هل على ما نقل فى مَعالم الإيمان من ذَمِّهم وتكفيرهم ؟ أو على ما نَقَلَه فى كتاب تاريخ مُلوك الإسلام من الأوصاف الحميدة والسِّيَر المرضية ؟

١ : ٢٤

وكذلك يُعترض عليه فيما ذكره ، حيث أخذ يَصِفُ ما كان عليه أهل القيروان من قُوّةِ الإيمان بالله والانتصار للحقّ ، فقال : إنّ بنى عُبيد لما ملكوا الشَّام وديارَ مصر ، أظهروا مذهَبَهم الفاسد من نقض الشّرائع وتبديلها وسبِّ الصَّحابة رضى الله عنهم ، وبعثوا دعاتهم إلى إفريقيّة يدعون النَّاس إلى مذهبهم الفاسد ويجبرونهم عليه ، فلم يُجبهم أحد إلى ذلك من أهل القيروان ، وأنه قدم مرّة داعٍ لهم فى أيّام باديس بن المنصور ، وأخذ النـاسَ بالعنف والغلظة ، وأنّهم ظفروا ببعض رُسل هذا الدّاعى فقتلوه ، وأكلوا لحمه ولم يتركوا منه إلا رجليه ؛ وهذا مُعترض ، فإنه أراد أن يصِفَ قُوَّة إيمانهم وانتصارهم للحقّ فأفرط فى ذمِّهم ، لكونه نسَبَهم إلى استباحة أكلِ لحم

حَرَّم الله أ كلَه ، ولا يكونُ فى الغَباوة أ كثر من هذا ، وليس كلّ شىء يُنقل من الأخبار صحيح ، بل منه صحيح وسقيم .

﴿ قلت ﴾ : ما نقله عنه لم أجدْهُ فى المعالم بحال ، فهو وهْمٌ .

﴿ قال ﴾ :

ذِكْرُ مساجِد القَيْروان المُتبَرَّكة القَديمة الفاضِلة

٢٥ : ١

[مَسْجِدُ الأَنْصَار]

أوَّلُها فى الفَضْل والوضع مسجد الأنصار ، المشهور بالفضل المعلوم بالخير . اختطَّه — فيما ذُكِر — رُوَيْفع بن ثابت الأَنْصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه من الصَّحابة والتابعين . وذلك سنة سبع وأَرْبعين ؛ قبل أن تخطَّط القيروان .

وهذا المسجد بمَحْرَس الأَنْصَار وعليه بُنِىَ هذا المحرس . ولم يزل الصّلحاء والأَبْدَال يتناوَبُونَه ويعمرونه ، وله بركات مشهورة .

﴿قلت ﴾: وكان شيخنا الفقيه القاضى ، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الفاسى كثيراً مايدخل إلى هذا المسجد ويكثر من الدعاء فيه على طريق التّبرك بآثار من بناه . وللمسجد المذكور نورٌ وهيبة .

[مسجد الزَّيْتُونَة]

﴿قال﴾ : المسجد الثانى مسجد إسماعيل بن عُبيد الأنصارى[1] تاجر الله ، وهو المسجد المعروف بمسجد الزّيتونة ـ بمحرس الأنصار أيضاً ـ وهو معروف بالخير والفضل ، مشهور بإجابة الدعاء فيه . وهو مسجد كبيرٌ جليل

(١) أبو العرب : الطبقات ٢٠ ، ٢٥ ؛ «وكانت المنطقة التى حول الجامع تعرف بسوق مسجد إسماعيل »

فى وسطه ماجِل مستطيل ؛ بُنِىَ هذا المسجد سنة ثلاث وتسعين ، بناه إسماعيل المذكور ، وبهذا المسجد كان أهل القَيْرَوان يجْمَعون إذا كان بجامع عقبة[١] بِناء . ثم إنّه تهدَّم وأقام كذلك أعوامًا حتى قُيِّض له من أهل الرَّغبة فى الخير من بناه وأعادَه على هيئته .

﴿قلت﴾ : قال العَوَانى : بناه الشَّيخ أبو سعيد بن محمّد التّيمالى المعروف بالعود الرَّطب ـ رحمه الله ـ ، وحبَّس عليه حوانيت بمدينة تونس ، وذلك فى سنة ستِّين وستّ مئة . / وهذا المسجد هو اليوم بخارج سُورِها المحدَث بعد القديم ، من الجانب الغَرْبِىّ ، ودائر به رَبْض أولاد غِيث ، وفيه من النّاس نحو المئتين ؛ وكانوا يدخلون المدينة لصلاة الجمعة بجامعها ، فحان وقتُ الصّلاة وجاءت أعرابٌ فلم يجدوا من ينزلهم ، وخافت النّساء منهم فأغلقوا أبوابهن دونهم . فكَلَّمَ بعضُ أولاد الشّيخ أبى رحمة غيث بن قَاسِم الحَكِيمى السلطانَ أبا العباس أحمد[٢] ، فأذن لهم بأن يقيموا الجمعة فى هذا المسجد ، وشاور ـ بتحضرى ـ شيخَنَا أبا الفضل أبا القاسم البُرْزُلى فى جواز ذلك ـ لما خَرَجْنَا للسَّلام عليه حين وُصوله بمحلَّتِه للقَيْرَوان إذ كان هو المفتى بها يومئذ ـ فأفتاه بالجواز عملا بمَا جَرَت به الفتوى قديمًا وحديثًا بتعداد الجمعة فى المصر الواحد ، مع أنّ هذه المسألة أخصّ فى الجواز لما ذكر من غَلْق الباب دونَهم .

١ : ٢٦

فازدحم الفُقَهاء أصحابُنَا فى من يكون إمامًا فى الجامع المذكور لصلاة الجمعة ، فقال شيخُنا المذكور لأولاد الشّيخ المذكور : لا يصلُحُ بكم إلّا فلان ،

---

(١) فى ش : « القيروان » .

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد الحفصى ، بويع فى ربيع الثانى ٧٧٢ هـ واستمر الى وفاته بقصبة تونس فى شعبان سنة ٧٩٦ هـ .

انظر الزركشى : تاريخ الدولتين ٩٩ ، ١٠٤ ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ١ : ٢٠٧ ؛ ابن أبى الضياف : إتحاف أهل الزمان ١ : ١٨٠

يَعْنِينِى بذلك ، فقالوا : إنّما أردنا غيرَه لكونه ربّىَ هو ووالده وجدُّه فى رَبْضنا ؛ وما انتقل والده إلى المدينة إلّا عن قرب ، وليس له فى هـذه الخطّة طريقة أُبُوّة ، فانظر لنا غَيْرَه ممّن يصلح وتكون له أبوّة فى القضاء أو الشّهادة أو هما معًا ، أو من يكون شاهداً أو قاضياً ؛ فقال : لا أرتهن إلافيه ، وارتهن فىَّ عند القاضى يومئذ ، وهو الشيخ الفقيه القاضى ، أبو عبد الله محمد بن قَليل الهَمّ ، وكان/ غرضه تقديم وَلَد بعض القُضَاة ، فقدَّمَنى القاضى بعد التَّأْهِيب يوم الجمعة ، وقال لى : نحنُ عَقَدْنا على رأسك لواء أبيض فاحذر أن تدنِّسْه بما لا يليق ، وبالمشى مع من لا يليق . وكنتُ يومئذٍ ابن إحدى وعشرين سنة ، فخطبتُ بالُخطْبَة المعلومة من ورقة بيدى ، فلمّا كانت الجمعة الثّانية أَلَّفْتُ خطبةً وخطبتُ بِهاَ فبكى الناس منها وفرحوا وفرح بذلك شيخُنا المذكورُ فرحًا شديداً لمَّا أعْلموه ، وأمرنى أن أذكرها فقلت له بعضَها وأنا مستحِيى . وتَمَاديتُ هكذا أخطب فى كلّ جمعة خطبةً جديدةً ، وربَّما أكرِّرهَا عن بعْدٍ فلا يُفهم عنّى أنى كرّرت ، نحواً من أربعة أعوام . ثم انتقلت إلى تونس للقراءةِ بها على شيخنا المذكور لانتقاله إليها مدرِّساً ، فقرأت بها أربعة عشر عاماً ، ثم قُدِّمْتُ قاضِيًا وخطيبًا بجزيرةجِرْبَة ، فأقمت بها ثلاثَة أعوام وخَمسة أشهر أخطب على صِفة ماذكر ، فكان يصدر منّى من النّفع للنّاس بالوعظ مانرجو من الله ثوابَه ، وكان أهل وطن بَاجَة لمـا وليت قضاءها وخطبتَها ، ربّما يأتون يومَ الخميس يظنونه جُمُعَة . وكذلك قُدّمت ببلد قَابِس ؛ وببلد تبسَّة ؛ فكنت أصنع كما ذُكر . وانتهى حالى إلى أنَّه لو قيل لى ــ وأنا فوق المنبر حين أريد أن أخطب ــ أن اُخطب بخطبة جديدة أَفعلُ ذلك .

١ : ٢٧

﴿قال﴾ : والرّباع المحيطة بهذا المسجد كانت حُبساً عليه فبيعت بغير حقّ ، وهى الآن فى أيدى النّاس وهى حبس لا شكّ فيها ولا ريب .

[مسجد أبى مَيْسرة]

١ : ٢٨ المسجد الثّالث وهو المنسوب الآن / إلى أبى مَيْسرة الفقيه أحمد بن نِزَار[١] الزّاهد ، كان هـذا المسجد بناه بعض التّابعين ، ثم جدّدهُ بعد ذلك حسن ابن محمد بن واصل التّميمى ، ولما بنى السّور المحدَث أُخذ منه شيء هو الآن فى الشّارع .

﴿قلت﴾ : وهذا المسجد تُعرّفه الفقهاء بمسجد أبى مَيْسرة كما تقدّم ، وتعرّفه العامّة بمسجد ابن غَلّاب ، يعنون به الشّيخ الصّالح أبا محمّد عبد السّلام بن عبد الغالب المُسْرَاتى[٢] ، لأنه كان يعمل به الميعاد . وهو عن يسار الدّاخل من باب تُونس ، أحد أبواب المدينة المذكورة .

وذكر الشّيخ الدّبّاغ بقيّة المساجد السّبعة ، وهى غير معلومة المكان الآن ، لاستيلاء الخراب على جُلِّ مدينة القيروان ، فحذَفْتُ ذكرَها لذلك .

﴿قال﴾ : فهذه المساجد السّبعة المشهورة بالفضل ، وهى أقدم المساجد بالقَيْرَوان لأنها خُطّت فى أول خطّة .

وبعد هذه ثلاثة مساجد خَطّها التّابعون ، منها :

[مسجد الحُبُلِىّ]

مسجد أبى عبد الرحمن الحُبُلِىّ بدَرْب أَزْهر قُرْب باب تُونس ؛ وقال

---

(١) ابن ناجى : المعالم ٣ : ٥٠ ، ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ٤ : ٨ .

أبو عبد الله محمد بن يوسف الورّاق : هو مسجد الرّباطى ، بناه أبو عبد الرحمن سنه مئة من الهجرة .

﴿ قُلْتُ ﴾ : هذا المسجد هو الآن عامر وعليه أنوار ، وهو السكائن بالدّرْب المعروف بأولاد غِيث .

[مسجد حَنَش الصَّنعانِىّ]

﴿ قال ﴾ : وبعده مسجد حنش بن عبد الله الصنْعانى ، بباب الرّيح .

﴿ قلت ﴾ : الأقرب أنّه الّذى يُقـال له الآن مسجد على ، وهو مسجد أبى إسحاق السّبائى .

[مسجد عُلَىّ بن رَبَاح اللخمى]

﴿قال﴾ : ثمّ مسجد عُلَىّ بن رَبَاح اللَّخْمى ، جوار باب نَافِـع على يمين الخارج قبل أن يخرج .

[مسجد السبت]

وبعد هـذا المسجد مسجد السّبت، ويُعرف بمسجد الدِّمْنَة ،/ وهو بالمدينة منسوب لأبى محمد الأَنْصارىّ الدِّمنى الضَّرير[1] ، وهذا المسجد يُلَاصِق السُّور القديمَ من الَجْبلى ، يجتمع فيه الصّلحاء والقرّاء والحفّاظ ، فيـكون فيه خيرٌ كثير كل يوم سبت من أول النهار إلى الزَّوال . ١ : ٢٩

﴿قلت﴾ : يعنى قبل زمنه ، وكان فى القديم كما ذكر ، ويأتى بَسْطُ الـكلام فيه إن شاء الله تعالى ؛ ويعرف فى زماننا بمسجد العَرْبى ، لرجل يقال له محمّد

---

(١) المالـكى : الرياض ١ : ٣١٨ ؛ ابن ناجى : المعالم ٢ : ٧٣ .

الغَرْبِى كان يقوم به ، ويأتى الناس إليه يقصدونه لزيارة صاحب القبر الّذى به ، وهو قبر أبى محمّد الأنصارىّ المذكور على الصحيح .

[مَسْجِد الخميس]

﴿قال﴾ : ثمّ مسجد الخميس بالقُرْب منه ، بناه أبو إسحاق إبراهيم بن المضاء الزّاهد[1] صاحب سُحْنون ، بالدِّمنة أيضاً ، ويجتمع بهذا المسجد الصّالحاء والقرّاء وأهل الخير كلّ يوم خميس من العصر إلى الّليل .

﴿قلت﴾ : وهو الذى يُقال له اليوم مسجد سيّدتى تَيَّاهَة ؛ لاعتقادهم أن ذلك القبر الّذى هو فيه قبرُها ؛ وليس كذلك ، وإنما هو قبر أبى إسحاق المذكور .
قال شيخنا البُرْزُلى : ولا أعرف من تكون تَيَّاهَة .

[مسجد عبد الله]

﴿ قال ﴾ : وذكر بعض المؤرّخين مثل أبى بكر المالِكىّ ، وأبى عبد الله محمّد ابن يوسف الوَرَّاق : مسجدَ عبد الله ، قيل هو عبد الله بن الزّبير ، وقيل عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح ، وهو عند باب عَبْد الله الأقدم ، وذكر أن باب عبد الله هذا إنّما سُمِّى بعبد الله بن الزّبير ، وقيل بعبد الله بن أبى سَرْح ، ونسبتهُ لعبد الله بن أبى سَرْح أمير الجيش أَقْيَس عندى لنُزوله هناك فى / غَزْوَة العبادِلة سنة سَبْع وعشرين . ١ : ٣٠

وقد اندرس باب عبد الله هذا باندراس رسُوم القَيْروان واندراس المسجد المذكور .

---

(١) ابن ناجى : المعالم ٢ : ١١٥ .

وقد سألتُ من لَقِيتُ من ثقات شُيوخنا القَرَوِيِّين وذوى أسنانهم عن هذا المسجد ، فذكروا عمّن أدركوه من شُيوخ القَيْرَوان وصُلحائهم : أنّ مسجد عبد الله هو الرَّبوة التى بين كُدْيَة القلاَّلين وبين باب نافع الأَقْدَم ، فأمرتُ من كَشف عن ذلك فى سنة أربع وخمسين وستّ مئة ، فوُجِدَتْ أُسُس المسجد ، فبناه قوم من أهل الاحتساب ، ولم يكمل للآن على ما ينبغى لمثل ذلك المسجد .

﴿ قال ﴾ :

ذِكْرُ من نزل القَيْروانَ من الصّحابة رضى الله عنهم

أوّل جيش نزل القيروان من جُيوش المسلمين جيش عبد الله بن أبى سَرْح القُرشى العامرى فى خلافة عُثمان بن عفّان رضى الله عنهما ، سنة سَبْع وعشرين . ثمّ جيش معاوية بن خُدَيْج السَّكونى ثلاث مرات ، ولى ذلك سنة أربع وثلاثين فى خلافة عثمان – رضى الله عنه – أيضاً . ثمّ عُقْبَة بن عامر الجُهَنِى . ثمّ رُوَيفع بن ثابت الأنصارىّ سنة سبع وأربعين . ثم عُقْبَة بن نافِع الفِهْرىّ سنة خمسين ، وفيها اختطَّ القَيْرَوان . وفى كلّ جيش من هذه الجيوش تنزل طائفةٌ من الصّحابة بأرض القَيْروان .

﴿ قلت ﴾ : روى الوَاقِدىّ عن ربيعة بن عِباد الدِّيلى ، قال : أغزانا عثمان – رضى الله عنه – إفريقية ، فخرجنا مع النّاس حتّى قدمنا مِصْر ، فخرج عبد الله بن سَعْد / – وهو أمير الناس – من مصر بمن كان معه وبمن قَدِم عليه من المدينة ، فكانوا عشرين ألفاً ، ونحن نريد بِطْرِيق الروم بإفريقيّة يُقال له جِرْجِير ؛ كان قد غلب على ما هنالك من أرض

١ : ٣١

المغرب . فلمّا فصل عبد الله من مصر : كان يقدّم الطّلائع والمقدّمات أمامه ، وكثيراً مَا أكون فى الطّلائع ، فوالله إنّا لبِطرابُلُس ، إذا مراكِبُ قد أَرْسَتْ بالسّاحل ، فشدَدْنا عليهم فأقاموا ساعة ثمّ استؤسِرُوا ، فكتفناهم وهم مئة ، حتّى لحقنا ابنُ أبى سَرْح فقتلهم . وقد تحصّن منّا أهلُ طرابلس ولم يعرضوا لنا ، فأخذنا ما فى السُّفُن فكانت هذه أوّل غنيمة أصَبْناها ونحن فى وجهتنا ؛ ثمّ لحق بنا النّاس وأقاموا أيّاماً ، كانت السَّرايا فى كلٍّ وجهة تأتى بالبقر والشّاة والعَلَف ، ثمّ تمادينا حتّى وردنا إفريقيّة ، فأقمنا أيّاماً تجرى بيننا وبين جرْجير ملكِهم [الرُّسُل] [1] ، ندعوه إلى الإسلام ، وكلّما دعوناه إلى الإسلام نخر ثمّ استطال ، وقال : لا أقبل هذا أبداً ؛ فقلنا له : تُخرِج خراجاً فى كلّ عام ، فقال : ولو سألتمونى درهماً واحداً لم أفعل . ثمّ إنّا تهيّأنا للقتال بعد الإعذار إليه ، فهيّأنا عبدُ الله بن سَعْد ، فجعل ميمنةً وميسرةً وقَلْبا ، وسار بأصحابه فقال له رجل من قِبْط مصر كان معه : إنّ القوم لا يُصَافونك ، وهم يهربون ، فاجعل لهم كميناً وفرّقهم فى أماكن ، ففعل ذلك عبْدُ الله وغدا بنا على تَعْبِئة ، والرّوم قد رفعوا الصَّليب وعليهم من السّلاح ما الله به عليم ، ومعهم من الخيل ما لا / يُحصى ، فتصَاوَلْنا ساعةً من النّهار حتّى صارت الشّمس قدرَ رُمْحين أو أكثر ، ثمّ حمل عبد الله بالنّاس وحملنا معه ، فكانت الهزيمة عليهم ، وكرّ الكمين عليهم فى كلّ مكان فأكثروا فيهم القَتْل والأسر ، فطلبوا الصّلح ، فصالحهم عبد الله بن أبى سَرْح على خَراج . ١ : ٣٢

روى عن أُسامَة بن زَيْد اللّيثىّ أنّ الذّى صالحهم عليه عبدُ الله بن سعد ألفا ألف دينار .

---

(١) من الرياض ١ : ١٠

وذكر بعضُ المؤرّخين أنّ عبد الله بن سَعْد غزا إفريقيَّة فى جماعةٍ من الصّحابة ، فلقى جرْجير فى سُبَيْطِلَة وهى مدينةٌ على سبعين ميلاً من القَيْروان ، فقُتِل جرْجير وهو فى مئة ألف ، وصالَحَ ابنُ أبى سَرْح أهلَ الحصُون وأهل المدائن على مئة ألف رطل من الذّهب .

قال أبو عثمان سعيد بن عُفَيْر فى تاريخه : ولمّا سمعت الرّوم والأزارقة[١] بخرُوج عبد الله بن سَعْد ووصوله إلى إفريقيّة ، خرجوا إليه ومعهم جرْجير فى جمع كثير من الرّوم ، فلمّا التقى المسلمون بادر جرْجير بالبراز ، فبرز إليه عبدُ الله بن الزّبير ومَرْوان بن الحَكَم ، فقتله ابنُ الزّبير . ومنهم من قال قتلاه جميعاً . ثمّ كانت الهزيمة ، واتّخذ المسلمون ذلك المنزل معسكراً ومنزلاً ، وأصابوا لهم غنائم كثيرة ، وقسم عبد الله الفيْءَ على الصّحابة فبلغ سهم الفارس ثلاثةَ آلاف دينار ، وسهم الرّاجِل ألف [دينار][٢] . وتولّى قسم الغنيمة عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب رضى الله عنهما ؛ ونفَل عبدُ الله بن أبى سَرْح عبدَ الله بن الزّبير ابنةَ جرْجير لأنّه قتل جرْجيرَ أباها ؛ وبلغ / الخُمسُ أربع مئة ألف دينار . ١ : ٣٣

واجتمعت الرّوم بعد قَتْل جرْجير إلى كُورَة من الكور حصينة ، فسار إليهم عبد الله بن أبى سَرْح بمن معه ، فصالحوه على ثلاث مئة قنطار ذهباً ، وهى ألف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار ، فقبضها منهم وانصرف عنهم .

وسُئِل يومئذ بعض الأسارى : من أين كَثُرت أموالكم ؟ فبادر

(١) كذا فى الأصول والرياض ١ : ١١ ؛ ولعلها تصحيف لـ « الأفارقة » ، وهى تسمية قديمة استعملها ابن عبد الحكم والبكرى وغيرهما .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وإفريقية والأندلس ١٨٤ ؛ وفى الأصول : « مثقال » .

إلى شجرة زَيْتون كانت بين يديه ، فأخذ منها عوداً فأراه إيّاه ، وقال : مِن هذا جمعنا هذه الأموال ، نُصيب الزَّيْتَ فيأتينا أهل البحر والجزائر والصّحارى فيبتاعونه منّا ، فمنه كَثُرت أموالنا .

وذُكر أنّ ابنة جرْجير أشرفت على العرب فى عسكرهم فاستقلّتهم، فقالت لأبيها : لا تُسرع بالقتل فى هؤلاء ، وأنحلنيهم ؛ فقال لها : قد نَحَّلتك إيّاهم ، فالتقوا وهى تنظر ، فهزمهم اللهُ وقُتل أبوها جرْجير وهى تنظر ، فتنازع النّاس فى قَتْله ، فقالت : ما للعرب يتنازعون ؟ فقيل لها : فى قَتْل أبيك ؛ فبكت وقالت : قد رأيتُ الذّى أدرك أبى وقتله ؛ فقال عبد الله بن سَعْد : هل تعرفينهَ ؟ فقالت : إذا رأيته فى الحالة التى أدرك أبى فيها عرفتهُ ، قال : فأخذ عبد الله النّاسَ بالعرْض ، فمرّوا بين يديها وهى تنظر ، حتى مَرّ عبدُ الله بن الزّبير رضى الله عنهما ، فقالت : هذا قاتِل أبى ، فقال له عبد الله بن سَعْد : كتمتنا يا أبا بكر قَتْلَك إيّاه ! فقال له : قد علمه الذّى قَتَلْته له . فَنَفَلَه ابنُ أبى سَرْح ابنَةَ الملك ؛ وفى ذلك يقولُ ابنُ الزّبير حين بلغه أنّ أباها نَحَّلها العرب لمّا سألَتْهُ ذلك :

١ : ٣٤ / يَا ابنــة جرْجير تَلَقَّىْ نِحْلتِكْ لقيتِ بالنِّحــلة ثـكلى أبتِكْ
لتأخذن فى الطّريق عقْبَتَكْ لتسقينّ(١) شر ماء قرَبتِــكْ
شرّ عجــوز بالحجاز رَبَّتِكْ(٢)

---

(١) فى ش : لتسقين من شر ماء قربتك .

(٢) رواية ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٨٥ ــ ويحدث عن سعيد بن عفير أنها صارت لرجل من الأنصار فى سهمه — :

يا ابنة جرجير تمشى عقبتك إن عليك بالحجاز ربتك
لتحملن من قبــاء قربتك

وقيل : إنّه لما حضر القتال ، أخرج جِرْجير ابنته وألبسها حُليَّها وثيابَها وأسفر عن وجهها ، وكان عــدّة خدمها اللاّتى صعدن معها الدَّيْدَبان(١) أربعين خادمًا ، فقال جِرْجِير الملك : أتدرون من هذه ؟ فقالوا : نعم ياسيّدنا ، هـذه ابنة الملك ، وهؤلاء خَدَمُها ؛ فقال لهم : وحقّ المسيح والنَّصرانيّــة ، لا يقتل عبدَ الله بن سَعْد منكم رجلٌ إلّا زوّجته ابنتى ، وسُقْت إليه ما معها من الخدم والحلىّ ، وأنزلتُه المنزلة الّتى لا يطمع فيها أحدٌ عندى . فلم يزل يقول ذلك حتى مشى على جميع رجاله ، فحرَّض بذلك الرومَ تحريضًا كثيراً ؛ فلمّا انتهى لعبد الله ابن سَعْد ما فعل جِرْجِير ، نادى فى عسكره وأخبرهم بالّذى كان من جِرْجير ، ثم قال لهم : وحقّ محمد بن عبد الله ، لا يقتل رجلٌ منكم جِرْجِيرَ ، إلّا نفَلْته ابنته وما معها ؛ ثم زحف بمن معه من المسلمين فضرب الله ـ عزّ وجلّ ـ فى وُجوه الرُّوم ، وأدرك عبد الله بن الزُّبير ـ رضى الله عنهما ـ جِرْجير فقَتَله .

قال عبدُ الله بن الزُّبير : هجم علينا جِرْجير ـ فى عسكرنا ـ فى عشرين ومئة ألف ، فأحاطوا بنا من كل مكان ، وأسقِطَ فى يد المسلمين ونحن فى عشرين ألفاً ، فاختلف النّاس على ابن أبى سَرْح ، فدخل فسطاطَهُ ، ورأيتُ غِرَّة من جِرْجِير نظرتُ / بها خَلْف عساكره ١ : ٣٥

(١) من الفارسية « ديده بان » وهو هنا ضرب من الآلات المتحركة يصعد إليها قائد الجيش ليشاهد سير المعركة . انظر : ملحق دوزى على المعاجم العربية ١ : ٤٨١ ؛ البيان المغرب ١ : ٥ ؛ شرح الورد الندى ٣ : ٤٦٣ (مخطوط بدار الكتب المصرية ٢١٧٩٧ ب)

[وهُو] على بِرْذَوْن أشهب ، مَعَهُ جاريتان له تظلّلانِ عليه بريش الطّواويس ، وبينه وبين [جُنْده] (١) أرضٌ بيضاء ليس فيها أحد ، فخرجت أطلب ابنَ أبى سَرْح ، فقيل لى قد خلا فى فُسْطاطه ، فأتيت حاجبه فأبَى أن يأذن لى عليه ، فدرتُ من كِسْر الفُسْطاط فدخلت عليه ، فوجدته مُستلقياً على ظهره ، فلمّا دخلت عليه فزع فاستوى جالساً ، فقلت له : إيه إيه ، كل أزِف (٢) يَفوز ، فقال : ما أدخلك علىَّ يا ابن الزّبير ؟ ! فقلت له : إنّى رأيت عورة (٣) من العدوّ ، فاخرج فاندب إلىَّ النّاس ؛ قال : وما هى ؟ فأخبرته ، فخرج معى سريعًا ، فقال : يا أيها الناس ، انتدبوا مع ابن الزّبير ؛ فاخترت ثلاثينَ فارسًا ، وقلت لسائرهم : اثبتوا على مصافّكم ، وحملت فى الوجه الّذى رأيت فيه جرجير ، وقلت لأصحابى : احموا ظهرى ، فوالله ما نشبْتُ أن خرقت الصّفّ ، فخرجت إليه صابراً لله ، ولا يحسب هو وأصحابه إلّا أنى رسول إليه ، حتّى دنوت منه فعرف الشرَّ فى وجهى ، فثَنَى برذونه مولّياً فأدركته مبادراً ، فدفعت بالسّيف عليه فأصبت يد إحدى الجاريتين فقطعتُها ، واحتززتُ رأسه فنصبته فى رمحى وكَبَّرت ، وحمل المسلمون فى الوجه الذى كنت فيه ، وارفضَّ العدّو فى كلّ وجه ، ومنح الله المسلمين أكتافهم . فلمّا أراد ابن أبى سَرْح أن يُوَجِّه بشيراً إلى عثمان أمير المؤمنين ــ رضى الله عنه ــ قال : أنت أولى مَنْ هُهُنَا بذلك ،

---

(١) من الرياض ١ : ١٤ ؛ وفى الأصول : « جرجير » .

(٢) الأزف : العجل السريع .

(٣) فى الرياض : « غرة » .

انطلق إلى أمير المؤمنين فأُخْبِرُه الخبَر ، فقدمت على عُثمان ـ رضى الله عنه ـ فأخبرته بنصر الله وفتحه ، ووصفت له أَمْرَنا كما كان .

/ وروى عن عبد الله بن نافع وعبد الملك بن حبيب : أنّ عبد الله ابن الزّبير وصل من إفريقية إلى المدينة فى شهر[1] . ١ : ٣٦

وذكر الحسن[2] بن سعيد الخرّاط : أنّه وصل إلى المدينة من سُبَيطِلَةَ فى ثمانية عشر يوما ، وكان يومئذ ابن بضعٍ وعشرين سنة ، فلمّا وصل عبد الله بن الزّبير إلى المدينة وأخبر عثمان ـ رضى الله عنه ـ بما كان من الفتح ، أمره عثمان أن يقوم بذلك خَطيباً فى مسجد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلَّم ـ وقال : أنا وهبت لك ذلك ؛ فقام أمير المؤمنين ـ عثمان ـ خطيباً فى النّاس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها النّاس ، إنّ الله فتح عليكم إفريقيَّة ، وهذا عبد الله بن الزّبير يخبركم خبَرها إن شاء الله ؛ وكان عبد الله إلى جانب المنبر ، فقام وقال[3] :

الحمد لله الّذى ألَّف بيننا بعد الفرقة ، وجعلنا متحابِّين بعد البِغْضَة ، الّذى لا تجحد نعماؤه ولا يزول ملكه ، له الحمد كما حمد نفسه وكما هو أهله ؛ انتخب محمداً صلّى الله عليه وسلّم واختاره بعلمه ، وائْتمنه على وَحْيِه ، واختار له من النّاس أعواناً قذف فى قلوبهم تصديقَه

---

(١) المالكى : رياض النفوس ١ : ١٥

(٢) المصدر نفسه . وفيه : « الحسين بن سعيد الخراط » .

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٦

ومحبّته ، فآمنوا به وعَزَّرُوه ووَقروه ، وجاهدوا فى الله حقَّ جهاده ، فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح والبيع الرَّابح ، وبقى منهم من بقىَ لا تأخذهُ فى الله لومةُ لائم ؛ أيّها الناس ـ رحمكم الله ـ : إنا خرجنا للوجه الّذى علمتم ، فكنّا مع والٍ حافظ حفظ وَصِيَّة أمير المؤمنين ، فكان يَسِيرُ بنا الأَبْرَدَيْن[1] / ويخفّض بنا فى الظّهائر ، ١ : ٣٧ ويتّخذ اللّيل جملًا ؛ يُعجل الترحيل منَ المنزل المَقِر[2] ، ويطيل اللّبث فى المنزل الخصْب ، فلم يزل على أحسن حالة نعرفها من ربّنا ، حتّى انتهينا إلى إفريقيّة ، فنزلنا بها حيث يسمعون صهيل الخيل ورغاء الإبل وقعقعة السّلاح ، فأقمنا أيّامًا نُجِمُّ كراعنا ونصلح سلاحنا ، ثمّ دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه ، فأبعدوا منه ، فسألناهم الجِزْية عن صَغارٍ أو الصُّلْح ، فكانت هذه أَبْعَد ، فأقمنا فيهم ثلاث عشرة ليلة ننتظر بهم وتختَلِفُ رسلُنا إليهم ، فلما يئسنا منهم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر فَضْلَ الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ؛ ثم نهز إلى عدوّه ، فقاتلناهم أشدّ القتال يومَنا ذلك ، وصبر الفريقان فكانت بيننا وبينهم مقتلة كبيرة ، واستشهد الله رجالًا من المسلمين ، فباتوا وبِتْنَا وللمسلمين دويٌّ كدويّ النحل ، وبات المشركون فى ملاهيهم وخمورهم ؛ فلما أصبحنا أخذنا مصافّنا كالّذى كنّا عليه بالأمسِ ، فزحف بعضنا إلى بعض ، فأفرغ الله عَلَيْنا صَبْره

---

(١) الأبردان : طرفا النهار .

(٢) المقر : المقفر المجدب .

وأنزل علينا نَصْره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة وفَيْئاً واسعا ؛ فبلغ فيه الخمس مئة ألف يصفق[1] عليها مَرْوَان بن الحَكَم ؛ فتركتُ المسلمين قد قَرَّت أعينهم وأغناهم النَّفَل ، وأنا رسوله إلى أمير المؤمنين أُبَشِّره وإيّاكم بما فتح الله من البلاد ، وأذلَّ من الشّرك ، فاحمدوا الله عبادَ الله على آلائه وما أحلّ على أعدائه من بأسه الّذى لا يُرَدّ عن القوم المجرمين .

١ : ٣٨ ثمّ صمت فنهض إليه / أبوه الزّبير — رضى الله عنه — وقَبّله بين عينيه ، وقال : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾[2] ، والله يا بُنَىّ مازِلْتَ تنطق بلسان أبى بكر حتى صَمَتَّ .

وعن عيسى بن مسكين أنّه قال : حدَّثنى أحمد بن محمد اللّخمى ، قال : قال عبد الله بن أبى حسّان : سمعت عثمان — رضى الله عنه — لَمّا أمر عبدَ الله بن الزّبير أن يقوم خطيباً بما كان من أَمْر النّاس ، فكان أول مقام قَامه ، فانتهى ذلك إلى أبيه الزّبير ، فأقبل مسرعاً وهو يقول : غفر الله لأمير المؤمنين ، عرض هذا الغلام بهذا المقام بين أظهر الناس وهو حديث السنّ . فلمّا دخل المسجد رآه قائماً فرمى بنفسه فى آخر الناس ، ثم سأل الله تسديدَه وتثبيتَه ، فلم يزل عبد الله موفّقاً فى خطبته

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف ٥ : ٢٨ : « ابتاع مروان بن الحكم خمس الغنيمة بمئة أو مئتى ألف ، فكلم عثمان فوهبها له ؛ فأنكر الناس ذلك » وانظر ابن عذارى : البيان المغرب ١ : ٩ . وتبدو هذه الجملة مقحمة على النص ؛ انظر صفحة ٤٢ التالية .

(٢) آل عمران ، الآية ٣٤

حتّى فرغ ؛ فعجب النّاس لبيانه ، وهُنِّىءَ بذلك الزّبير ، فقال : بأبى وأمّى ، لقد سمعت من كلامه ما أذكرنى فُوَّهاتِ[1] جدّه أبى بكر الصدّيق .

وأقام ابن أبى سَرْح بسُبَيطِلة ، وهو الأمير على عسكره والحاكم بينهم ، فلما رأى الرّوم الّذين بالسّاحل ما حلَّ بجرْجير وأهل سُبَيطِلة ، غارَتْ أنفُسهم وتجمّعوا وكاتَبَ بعضُهم بعضًا ، وأمّلوا حرب ابن أبى سَرْح ، فخاف منهم لما معه من الغنائم ، فكتب إلى خَليفته بمصر يأمره أن يندب إليه مراكب فى البحر يجعل فيها غنائم المسلمين ، فوصل كتابه إلى مصر وأخذ خليفته فيما أمره به ؛ واتّصل بالروم قصدُ ابن أبى سرح إيّاهم واستقبالُه حربَهم ، فخافوه وراسلوه ودار بينهم تشاجر ، فجعلوا له جعْلًا / على أن يرتحل بجيشه ولا يعترضونه لشىء معه ، فأجابهم إلى ذلك ، ووَجّهوا إليه مئة قنطار ذهبًا ، فقبضها منهم وانصرف عنهم راجعًا إلى مصر بعد أن أقام بإفريقيّة سنة وشهرين ؛ فلما وصل إلى طرابلس وافَتْه المراكب ، فحمل فيها أثقال جيشه ونَفَذ هو وأصحابه إلى مصر سالمين . ووَجّه إلى عثمان رضى الله عنه بالأموال التى معه من الخُمس وغيره ، فوقعت الفِتْنَةُ بإثر ذلك ، واستشهد عثمان رضى الله عنه .

١ : ٣٩

ووَلِىَ بعده علىٌّ رضى الله عنه ، وبقيت إفريقيّة على حالها إلى ولاية مُعاوية ، فلما ولى مُعاوية عزل عبدَ الله بن سَعْد بن أبى سَرْح عن

---

(١) الفوهات (بضم الفاء وتشديد الواو) : المقالات .

مصر وإفريقيـة ، وولى عليهما مُعاوية بن خُدَيْج الـكِنْدى من أصحاب رسول الله ، وكان ذلك فى سنة أربعين ، فأراد معاوية غزوَ إفريقية ، فأغزاها معاوية بن خُدَيْج ، فخرج معاوية من مصر وهو عامل مُعاوية ابن أبى سفيان عليها سنة خمس وأربعين ، ومعـه عبدُ الله بن الزّبير وجماعةٌ من الصحابة وغيرهم من التّابعين ، وكان معه أيضًا عبد الملك ابن مَرْوان ، ويحيى بن الحَـكَم ، والأَكْدَر بن حَمام اللّخمىّ ، وكُرَيْب بن [أَبْرَهَة بن الصّباح][1] وخالد بن ثابت الفَهْمِى ، وأشرافٌ من جند مصر[2] ، حتّى وصل إلى إفريقيّة ، فقصد جلولاء وعليها عامل لجِرْجير الرّومىّ الذى كان ملك سُبَيْطِلة ، فنزل بجيشه على قَمُّونِيّة وهى قَيْروان إفريقية ، فرحل منها إلى جَبَل يُقالُ له القَرْن ، ويُقال إنّما سمّى القَرْن / لقول مُعاوية : ارحلوا بنا إلى ذلك القرن . ويقال إنّه نزل جبلًا بإفريقيّة يقال له مَمْطور ـ غربىَّ مدينة قمّونية علىفراسخَ منها ـ فأصابه مَطَرٌ شديد ، فقال : إنّ جبلنا هذا لمَمْطُور ، فَسُمِّىَ مَمْطوراً إلى اليوم ، فعند ذلك قال : اذهبوا بنا إلى ذلك القَرْن ؛ ثمّ رحل منه إلى مدينة جلولاء ، فلما وصل إليها امتنعوا منه وتحصّنوا ، فحاصرهم حتى فَتَحها . وكان سبب فَتْحها أنّ مُعاوية لمّا طال مقامه عليها ، رحل عنهم يريد التحول ، فلما سار عنهم قليلًا ذكر رجلٌ من عَسْـكره أنه نَسِىَ قوسًا

١ : ٤٠

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٢٣٨؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٨ : ٤٣٣ ـ ؛ وفى الأصول مصحف إلى : « كريب بن أبيزة بن الصماح » .

(٢) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ١٩

بمعسكره فرجع فى طلبه ، فرأى ركنًا من أركان جلولاء قد انهدم ، فلحق مُعاويةَ فأخبره . ويقال إنه لما انصرَف جعل فرسان النَّاس ووحماتهم على سَاقَةِ العسكر ، فساروا غير بعيد ثمّ نظروا ، فإذا خلفهم غبارٌ شديد ووَهْج ، فوقف العسكر وخَفّ من كان على السَّاقَة نحو ذلك الغُبار حتى وقفوا على مدينة جلولاء ، فإذا هى قد وقع حِصْنُها من ناحية واحدة من ركن إلى ركن فلم يبق منه شىء إلّا لصق بالأرض ، فانصرف العَسْكَر إليها فنزلوا على حصنها من جهة الهَدْم وألقوا بأنفسهم إلى الموت ، فقاتلوهم قتالًا شديداً فهُزِم الرّوم وقُتل رجالهم وأنجادُهم ، ودخلوها بالسيف فأصابوا فيها سَبْيًا كثيراً وغنائم . ويقال : إن معاوية بن خُدَيْج مضى إليها بجميع عسكره ، فغنم كلَّ ما كان فيها ، ثمّ أنفَذَ الغنائم إلى مُعاوية بن أبى سُفْيان بالشَّام . ويُقال : إنّ الّذى نسِىَ القوس عبدُ الملك بن مَرْوان .

قال أبو بكر المالكى[1] ، قال أبو العرب[2] : إنّ معاوية بن خُديج / غزا إفريقية ثلاث غزوات ، الأولى سنة أربع وثلاثين فى خلافة عُثمان رضى الله عنه ، وكانت تلك الغَزْوة لا يعرفها كثير من النّاس ؛ وأمّا الثانية فسنة أربعين ؛ وأما الثّالثة فسنة خمسين من الهجرة .

١ : ٤١

وقال محمد بن يوسف الوَرّاق القيروانى : إنّ معاوية بن خُدَيج

(١) رياض النفوس ١ : ١٨
(٢) الطبقات ١٥ ؛ ابن عبد الحكم : الفتوح ١٩٣

غزاها سـنة أربع وثلاثين ، وهى أول غزواته ، ثم غزاها عُقْبَة ابن نافع بن عبد القيس [بن لَقيط] [(١)] بن عامر بن أميّة [بن الظَّرِب] [(١)] بن الحارث بن فِهْر بن مالك سنة اثنين وأربعين ، وقيل سنة واحدوأربعين ، ثمّ غزاها معاوية بن حُدَيج ؛ وهى حَرْبٌ كلّها .

وغزا مُعاوية جزيرة صقِلّية فى مئتىْ مركب وأصاب فيها غنائم كثيرة ، وانصرف إلى قَمُّونِيَّة فقسم عليهم فَيْئهم وبعث بالخمس إلى مُعاوية بن أبى سُفْيان وهو إذ ذاك خليفة ؛ وهـذه الغزوة هى غزوة مُعاوية بن خُدَيج الثّانية ؛ كانت سنة خمس وأربعين ، وقيـل سنة واحد وخمسين . انتهى كلام الوَرَّاق .

قال المـالـكى[(٢)] : فلما وصلت الغنائم إلى مُعاوية بن أبى سُفيان ، أعان[(٣)] مُعاوية بن خُدَيج بجيوش الشّام ومصر إلى إفريقيـة ، وكان ذلك سنة خمسين ، ومعه عَبْدُ الملك بن مَرْوان ؛ فوصَلَ إلى إفريقيَّة ، واحتفر الآبارَ التى تُسَمَّى اليوم آبار خُدَيْج بباب تونس ، وإنما احتفرها إذ كان عَسْـكَرُه[(٤)] هناك .

ثمّ غزا منها بَنْزَرْت وغنم غنائم كثيرة من نواحيها ، ورجع قافلاً إلى قَمُّونية ، وبنى بناحيـة القَرْن مساكن وسمّاها قيرواناً ، وموضع القَيْروان غير مسـكون ولا معمور . ثمّ رحل معـاوية بن خُدَيْج من إفريقيّة إلى معـاوية بن أبى سفيان فرفع الغنائم إليه . فعزله مُعاوية

(١) ابن حزم: جهرة أنساب العرب ١٧٦ ـ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٤٢٠ ، وقد اضطرب النسب فيه من جده « أمية » .
(٢) رياض النفوس ١ : ١٩
(٣) كذا فى ط ، ع ، ز ، والرياض ؛ وفى ش : « أعاد »
(٤) فى ش : « إذ كان عسكر هنالك » .

١ : ٤٢ عن مِصْر وولّى عليهـا مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد الأنصارىّ . فوجّه/ مَسْلمةُ خالِدَ بن ثابت [الفَهْمِىّ](١) إلى إفريقية ، وكان من التـابعين ، فخرج فى محرّم سـنة خمسين ، فانتهى إلى مواضع منهـا وأصاب غنائمَ كثيرة ، ثم عزله مسلمة وولّى أبا المهاجر مولاه بجيشٍ من قِبَله ، فوصل إلى إفريقية فأخذ عُقْبَةَ بن نافِع الفِهْرىّ لحبسه وضَيَّق عليه ، فبلغ خبرُه إلى مُعَاوِيَة فـكتب إلى أبى المهاجر يأمره بتخليته ويعنّفه فيما صنع به ، فأطلقه أبو المهاجر وأرسلَه برُسُلٍ من قِبَـله حتّى أخرجه من قابس ، فمضى وهو حَنِقٌ على أبى المهاجر ، وَدعَا الله عزّ وجلّ أن يمكّنَه منه ، فلم يزل أبو المهاجر خائفاً من دعائه ؛ وقال : هو عبدٌ لا تُردّ له دعوة .

ثمّ إنّ أبا المُهَاجر صالَحَ بَرْبر إفريقيَّة وفيهم كَسِيلَةَ الأَوْرَبى وأحسن إليه واتّخذه صديقاً وصالح عجم إفريقية ؛ وخرج بجيوشه نحو المغرب ففتح كلّ ما مَرَّ به ، حتّى انتهى إلى العيون التى تسمّى اليوم عيون أبى المُهَاجِر نحو تِلِمْسان ، ولم يستخلف على القَيْروان أحداً ينظر فيها لأنّ أكثرهم خرج معه ولم يبق بها إلاّ شيوخ ونساء وأطفال ، ثمّ رجع إليها فأقام بها . انتهى كلام المالـكى(٢) .

وقال محمد بن يوسف الوَرّاق : إنّ عُقْبَة بن نافِع الفهرىّ

---

(١) فى الأصول : « الفهرى » . وقد ولى خالد هذا بحر مصر سنة إحدى وخمسين ، وأغزاه مسلمة إفريقية ، وورد له ذكر فى فتح بيت المقدس . انظر : ابن حجر : الاصابة ١ : ٤٠١ ؛ أبو العرب: الطبقات ١٩ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ١٩ ؛ البلاذرى : فتوح البلدان ١ : ١٦٥ وتقدم اسمه (صفحة ٤٣) فيمن دخل إفريقية مع معاوية بن خديج .

(٢) رياض النفوس ١ : ٢١

غزا إفريقية غزوته الثّانية فى سنة ستٍّ وأربعين من الهجرة ، فافتتح كثيراً من حُصونها وأثخن فى قتل الروم والبربر ، واختطَّ مدينةَ القيروان وتحوّل بها أيَّاماً . ثمّ قدِمَ أبو المهاجر دينار مولى مَسْلَمَة بن مُخَلَّد الأنصارىّ إلى إفريقيّة سنة خمس وخمسين ، فعزل عقبة وقَيّده وحبسه وخرَّب ما كان / اختَطَّه وبناه بالقيروان ، واختطّ مدينة تاكروان[1] ، وهى بجوفىّ إفريقية على نحو ميلين ، وجدَّ فى بنائها وتشييدها ؛ ولم يزل عُقْبة فى حَبْسِه حتّى أتاه كتاب الخليفة مُعاوية بن أبى سُفْيان يأمره بإطلاقه .

١ : ٤٣

قال المالكى[2] : ولما سرح عُقْبة من ثِقَافه توجَّه إلى مُعاوية ابن أبى سُفيان ، فوجده قد توفّى وَوَلِىَ بعده ابنُه يَزيد ، فدخل عليه وأخبره بما فعل أبو المهاجر بالقَيْروان وما حلَّ به منه ، وقال : فتحتُ إفريقيَّة وبنيت المسجدَ الجامع فبعثتم عَبْدَ الأنصار فأهاننى وأساء عَزْلى ؛ فغضب اليَزيدُ وقال : أدركوها قبل أن يخرّبها . وردَّ عقبةَ إليها وأزال ولاية مَسْلَمَة عنها وأَقَرَّه بمصر وذلك سنة اثنين وستّين . فقدم عُقْبَة إليها فى عشرة آلاف فارس ، فوصل إلى القَيْرَان فأخذ أبا المهاجر فحبسه وقَيَّده وأخذ منه ما وجد بيده من الأموال فبلغ ذلك مئة أَلْف دينار ذهباً ؛ وجدّد بناء القَيْرَوان وشيّدها ونقل إليها النّاس ، فعمرت وصلُح شأنها وعلا قدرُها وأعزّ الله بها الإسلام ، وأَقَرَّ بها أعينَ الأنام .

ثم إنّ عقبة خرج بأصحابه وبكثير من أهل القَيْرَوان إلى المغرب ،

---

(١) ابن أبى دينار : المونس ٢٦ : « تيكروان » ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢٢ : ١٣ : « تيكيروان »

(٢) الرياض ١ : ٢٢

واستخلف عليهـا عمر بن عليّ القُرَشيّ وزُهَير بن قَيْس البلوىّ ، وخرج بأبى المهاجر معه موثوقاً . ولمّا خرج عقبة دعا بأولاده ، فقال لهم :

إنّى بِعتُ نفسى من الله ولا أدرى ما يقضى علىّ فى سـفرى ، ثمّ قال : يا بنىّ ، إنّى أوصيكم بثلاث خِصال فاحفظوها ولا تضيّعوها : إياكم أن تملؤوا صدورَكم شعراً وتتركوا القرآن ، / أملؤوا صُـدورَكُمْ من ١ : ٤٤ كتاب الله فإنّه دَليل على الله ، وخذوا من كلام العَرَب ما تهتـدى به ألسنتكم ويدلّـكم على مكارم الأخلاق ، ثمّ انتهوا عمّا وراءه ؛ وأوصيكم أن لا تَدَاينوا ولو لبسْتُم العبـاء ، فإنّ الدَّيْن ذلّ بالنّهـار وهَمٌّ باللّيل ، فدعوه تسـلم لـكم أقدارُكم وأعراضُـكم وتبقى لـكم الحرمة مع النّاس ما بقيتم ؛ ولا تقبلوا العلم من المَغْرورين المرخصين [فيُجَهِّلوكُمْ][1] دينَ الله ويفرّقوا بينـكم وبين الله ، ولا تأخذوا دِيناً إلاّ من أهل الورع والحيطة فإنّه أسلم لـكم ، ومن احْتَاطَ سَلم ونَجَا . ثمّ قال : وعليـكم سلام الله ، وأرانى لا ترونى[2] بعـد يومكم هذا . [ثمّ قال : اللّهم تقبّل نفسى فى رضاك ، واجعَلْ الجهادَ رَحْمَتى من دار كرامَتى عندك][3] .

ثمّ سار لا يُدافِعه أحدٌ حتّى انتهى إلى بَاغاى ، والرّوم يهربون من طريقه يميناً وشمالاً ، فحاصرها وقد اجتمع بها الرّوم ، فقاتلهم قتـالاً شـديداً وحاصرهم ؛ ثم انهزم عدوّهم فقتلهم قتـلاً ذريعاً وغنم أموالَهم ، ثم كَرِه أن يُقيم عليهم فرحل عنهم ونزل على تِلِمْسـان وهى من أعظم

---

(١) من الرياض ، وفى الأصول : « فيحلوكم » .

(٢) فى الرياض : « وأراكم لا ترونى » .

(٣) زيادة من حاشية ش ؛ انظر الرياض ١ : ٢٢

مدائِنِهم وانضمَّ إليها مَنْ حولها . فخرجوا إليها فى عدد لا يعلمه إلَّا الله ، فقاتَلَهم حتّى ظَنَّ المسلمون أنّه الفناء ، فضرب الله فى وجُوه الرّوم ، فقاتلهم إلى باب حِصْنهم وأصاب النّاس منهم غنائم كثيرة ، ثم كَرِه المقام عليهم فرحل يريد الزَّابَ ، فسأل عن أعظم مدائِنه ، فقيل له : مدينة يُقال لها آذِنَة وهى دار ملكها ، وكان حولها ثلاث مئة قرية وستّون قرية كلّها عامرة ، فلمّا بلغهم قُدوم المسلمين عليهم هربوا إلى حِصْنهم وإلى الجبال ؛ فلمّا قدِم عُقْبة نزل على وادٍ منها على ثلاثة / أميال أو أكثر قليلا ، فلقوه عند الوادى فى وقت المساء ـ وكان وقت نزوله ـ فكره قتالهم باللّيل ، فتواقف القوم اللّيل كلّه ، لا راحة لهم ولا فَتْرة ولا نوم ، فسمّاه النّاس إلى اليوم وادى سَهَر ، لأنّهم سهروا عليه ؛ فلمّا أصبح عُقبة صلّى الصّبح ، ثُمّ أمر المسلمين بقتالهم ؛ فقاتلوهم قتالًا ما رأى المسلمون قتالًا مثله قَطّ ، حتّى يئس المسلمون من أنفسهم ؛ ثم أعطاهم الله الظَّفر فانهزم الرّوم وقُتِل فُرسانهم وأهل النِّكاية والبأس منهم ، واستولت الهزيمة على بقيّتهم .

١ : ٤٥

وفى هذه الغزوة ذهب عزّ الرّوم من الزّاب وذَلّوا ؛ فكره عُقْبة المقام عليهم وقد تحصّنُوا ، فرحل منها يريد المغرب حتّى نزل تاهَرْت ، فاستغاث الرّوم بالبربر فأجابوهم ونصروهم ، فقام [عُقْبة] فى النّاس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أيّها الناس : إن أَشْرَافَكم وخيارَكم الّذين رضى الله عنهم وأنزل إليهم كتابه ، بايعوا رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بيعة الرّضوان على من

كَفَر بالله إلى يوم القيامة ، وهم أشرافكم والسّابقون منكم للبَيْعة ، باعوا أنفسهم من ربّ العالمين بجنّته بيعة رابحة ، وأنتم اليوم فى دار غُرْبة ، وإنما بايعتم ربّ العالمين وقد نظر إليكم فى مكانكم هـذا ؛ ولم تبلغوا هذه البلاد إلّا طلباً لرضاه وإعزازاً لدينه ، فابشروا فكلّما كثر العدوّ كان أخزى لهم وأذلّ إن شاء الله ، وربّكم ــ عز وجل ــ لا يُسْلِمُكم ، فالقوهم بقلوب صادقة ، فإنّ الله جعلكم بَأْسَه الّذى / لا يُرَدّ عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوّكم على بركة الله وعَوْنِه . ٤٦:١

فالتقى المسلمون معهم فاقْتَتَلوا قتالًا شديداً ، فلم يكن لهم بقتال العرب من طاقة ، فولّى الروم هاربين ، فقتلهم المسلمون قَتْلاً ذريعاً أبادوا فيه فُرْسَان البربر ، وتفرّق جمعهم وأَقْيالهم وقليلٌ مَنْ نَجَا منهم .

ثم رَحَلَ حتّى نزل طَنْجَة فنزل على البحر المحيط وهو بحر الأندلس ، فقيل له : ذلك بحر لا يرام وعليه ملِك عظيم الشّأن ، وما أظنك تقدر أن تجوز هذا البحر ، فقال لهم : دلّونى على رجال البربر والرّوم ، فقالوا له : قد تركت خلفك الرّوم وقد أفْنَيْتهم ، وما أمامك إلّا البربر وهم فى عدد لا يعلمه إلّا الله وهم أنجاد البربر ؛ فسألهم عن موضعهم فقالوا له : السُّوس الأدنى ؛ فأمر عقبةُ الجيشَ بالرّحيل على بركة الله وعونه ، فرحل يريد السّوس الأَدْنى فلقيَ البَربرَ فى عدد لهم لا يعلمه إلّا الله ، فانهزموا فقتلهم قتلًا ذريعاً ، وأمعنت خيل المسلمين فى البلاد ؛ ثم رحل إلى السّوس الأَقْصى فاجتمع عليه البَرْبَر فى عدد لا يُحصى ، فاقتتلوا قتالًا شديداً حتّى كثر القَتْلى من الفريقين ، ثم إن الله

بمَنِّه وكرمه وفَضْله ضرب فى وجوههم ، فهزمهم المسلمون وقتَّلوهم وغنموا أموالَهم وسبوْا نساءَهم ؛ ــ فبلغنا أنّ الجارية منهم بلغ ثمنها بالمَشْرق أَلْفَ دينار ــ ثمّ هربوا من بين يَدَيْه .

وَرحل يُريد البَحْر المحيط فانتهى إليه وأَقْحم فيـه فرسه ــ لا يقف بين يديه أحدٌ ولا يرومه بشر ــ ثمّ نادى بأعلَى صَوْته وهو يُشير / بسَوْطه : السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال له بعض أصحابه : ١ : ٤٧ على من تسـلّم ياولىّ ربّ العالمين ؟! فقال : على قوم يونس من وراء هذا البَحْر ، وَلَوْلَاه[١] لوقفت بكم عليهم ؛ ثم رفع يديه إلى السّماء ، ثم قال : اللّهمّ اشهد أنى قد بلَغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل من كفر بك حتّى لا يُعْبد أحدٌ من دونك .

ثمّ انصرف راجعاً يُريد إفريقيّة ، وداخل البربرَ منه رعبٌ عظيم وتفرّقوا فى الجبال ، فلمّا دنا منهم أمر أصحابه أن يتفرّقوا فوجًا فوجا إلى إفريقيّة ؛ فلمّا انتهى إلى ثَغْر إفريقيّة وهو [طُبْنَة][٢] ــ وبينها وبين القَيْروان ثمانية أيام ــ أَذِن لمن بقى معه بالانصراف إلى القَيْروان ، وقال[٣] هو متياسر عن [طُبْنَة] ؛ فلمّا انتهى إليها نظر الروم فى خيل يسيرة[٤] ، فقرب لينظر إليها

---

(١) من الرياض : ١ : ٢٤ وفى ط ، ع : «ولولا هو» ، و فى ش : «ولولا هذا» .

(٢) من الرياض والاستبصار ١٧٥ ، وفى الأصول : « طنجة »

(٣) ورد هذا النص مضطرباً فى جميع الأصول ، وصوابه كما فى الرياض ١ : ٢٥ : « ومال فى خيل يسيرة يريد تهودة ، لينظر قدر ما يكفيها من الخيل ... الخ »

(٤) فى ش : « الى تهوذية »

ويعرف قَدْرَ ما يكفيها من الخيل فيقطع ذلك إليها ، ـ وجُيوشه مُتَياسِرة عن [طُبْنَة] ـ فلمّا انتهى إليها نظر الرّوم إلى قلّة من معه من الخيل ، فقالوا : فى[1] هـــذه الخيل قتل أهل الأرض كلّهم ، وظنوا أنّ ذلك هو[2] عسكره ، فأغلقوا باب حصنهم دونه وأقبلوا يَرْمونَه بالحجارة وهم فى ذلك يشتمونه ، و[هو][3] يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فلما توسَّط البلاد نزل . وبعث الرّوم إلى كَسِيلَةَ الأَوْرَبى فأعلموه بقلَّة من معه ، فجمع له جمعاً كثيراً من الرُّوم والبربر وتسارعوا إليه ؛ ثمّ زحف إليه ليلًا حتّى نزل بالقُرْب منه وأَحاطَ بعسكر عُقْبة ، وأقام كذلك حتّى أصبح ، فلمّا رأى ذلك عُقْبَة / استعدَّ له وأمر أصحابه ألَّا يركب منهم أحد ، ويئس المسلمون من أنفسهم ، وقاتل المشركون قتالا شديداً حتّى بلغ البلاء وتـكاثرت فيهم الجراح وتـكاثر عليهم العدوّ ، فاستشهد عُقْبةُ رضى الله عنه وجميع من معـــه رضى الله عن جميعهم . واستشهد معه أبو المهاجر وكان موثوقاً فى الحديد .

١ : ٤٨

وقيل أنّ كَسِيلَةَ الأَوْرَبى إنّما أتى قاصداً إلى أبى المُهَاجِر لأنّه كان صديقاً له ، فلمّا التحم القتال بين الفِئَتَيْنِ قُتل أبو المهاجر معهم ولم يعلم به .

وقيل أنّ أبا المهاجر حارب كَسِيلة مع البربر حتى ظفر به ، فعرض عليه الإسلام فأسلم ، وأحسن إليه أبو المهاجر ؛ وكان فى عَسْكَر المسلمين

---

(١) فى ز ، م : « فى قتل هذه الخيل » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، وفى ش : كان .

(٣) فى الأصول : « وكل ذلك يدعوهم » .

حتّى عُزِل أبو المهاجر وقَدِم عُقبة ، فأراد أن ينهض إلى طَنْجَة فقال له أبو المهاجر : ليس بطَنْجة عدوّ لك لأن الناس قد أسلموا ، وهذا رئيس البلاد ـ يريد كَسيلَة ـ فابعث معه والياً ؛ فأبَى عقبة إلّا أن يخرج بنفسه ، فخرج فنزل ماسَّة[١] بمكان من السُّوس الأقصى فبنى بها مسجداً ، ثم أتى بذود غَنَم للعسكر فذُبح الذّودُ بأمر عُقْبة وأمر كَسيلَة أن يسلخ مع السَّلّاخين ، فقال له كَسيلَة : أصلح الله الأمير ، هؤلاء فتيانى وغلمانى [يَكْفونَنى][٢] ،فنهره عُقْبة ، فقام كَسيلَة مغضباً ، فكان كلّما دَحَس فى الشّاة مسح لحيتَه بما علق بيده من بلّة ذلك ؛ وجعل العرب يمرّون به وهو يمسح ويقولون له : يا بربرىّ ، ما هذا الّذى تصنع ؟ فيقول : هذا جَيِّد للشَّعْر ، فمرّ به شيخٌ من العرب فقال : كَلَّا ، إنّ البربرىَّ يتوعَّدكم ، فقال أبو المُهاجر لعُقْبة : أصلح الله الأمير ، ما هذا / الّذى صنعته ؟! كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يتألَّف جبابرةَ العرب : الأقرعَ بن حابِس التّيمى و [عُيَيْنَة بن حِصْن] الفَزارىّ[٣] ، وأنت تجىء إلى رجلٍ خيار قومه فى دار عزّه قريب عهد بالكفر ، فتقسى قَلْبَه ! توثّق من الرّجل فإنّى أخاف فَتْكَه . فتهاون عُقْبة ؛ فلمّا انصرف نكث البَرْبرىُّ ما كان عليه ، وأقبلت النَّفرة إلى عُقْبة ، فقال له

١ : ٤٩

---

(١) البكرى : المغرب ١٦١ ، ورسمها فيه بالتاء المفتوحة « ماست » .

(٢) من الرياض ، وفى نقل ابن ناجى تصرف .

(٣) فى الأصول : عقبة بن زيد الفزارى ، وهو تحريف لاسم عيينه ، وقد كان من المؤلفة قلوبهم ، ومن الأعراب الجفاة . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ١٦٦ ـ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٢٦

أبو المهاجر : عاجِلْه قبل أن يجمع أمره ، فزحف إلى عُقْبة فتنحّى من بين يديه ، وهو فى خمسين ألفاً ونحن فى خمسة آلاف لأنّ العسكر افترق ، فغشى كَسِيلةُ عقبةَ بقرب تَهُودَة فى كثرة لا يعلمها إلّا الله ، فنزل عُقْبة عن فرسه فركع ركعتين ، وقال : أطلقوا أبا المهاجر ، ثمّ قال له عقبة : [الحَقْ بالقَيْروان وَ] [١] قُمْ بأَمْر المسلمين وأنا أغتنم الشهادة ، فقال له أبو المهاجر : وأنا أغتنم ذلك ؛ فكسر كلُّ واحدٍ منهما غمد سَيْفه ، وكسر المسلمون أغماد سُيوفهم وقاتلوا حتّى قتلوا جميعاً ، رحمة الله عليهم .

وقيل أنّ عُقبة أمر بتَخْلِيَة أبى المُهاجر ، فأعجله القتال ، فقاتل حتّى قُتِل وهو موثوق بالحديد .

وذُكر أنّ أبا المُهاجِر تمثّل بقول أبى مِحْجَن [٢] حيث يقول :

كفى حَزَناً أن [تُقرَعَ] [٣] الخيل بالقنا
وأُترك مشدوداً عَلَىَّ وِثَاقِيا

إذا قمتُ عَنّانى الحديد وغُلّقت
مَصَارِعُ أبوابٍ تُصِمُّ المنادِيَا

وروى عن وَهْب بن منبّه وشَهْر بن حَوْشب ، أن هذه البقعة التى يُقال لها تَهُودَة كان النّبى صلّى الله عليه وسلم نهى عن سكناها ، وقال : سوف يقتل بها

---

(١) الرياض ١ : ٢٧ ؛ النويرى : نهاية الأرب ٢٢ : ١٧

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١ : ٣٨٧ ؛ البغدادى : خزانة الأدب ٣ : ٥٥٠

(٣) فى الأصول : « تقنع » وهو تحريف النساخ للنص الذى أثبته الرياض ١ : ٢٧ ؛ ورواية الديوان ٢٦ (مخطوط أيا صوفيا ٣٨٨ A) والشعر والشعراء : « تطعن » .

رجال من أمتّى على الجهاد فى سبيل / الله ، ثوابهم ثواب أهل بَدْر وأُحُد ، ١ : ٥٠
واشوقاه إليهم ! منها يُحْشَرون يوم القيامة .

وروى[١] أنّ عقبة مرّ بعبد الله بن عمرو بن العاص وهو بمصر فى وقت عودته إلى إفريقية ، فقال له عبد الله : لعلّك من الجيش الذّين يدخلون الجنّة برحالهم . قال : فمضى بجيشه حتى قاتل البربر وهم كفّار فقُتِلوا جميعاً .

قال المالكى[٢] : فلمّا استشهد عُقْبة وأصحابه جمع كَسِيلة أهل المغرب[٣] وزحف بهم يُريد القَيْروان ، فانقلبت إفريقيّة ناراً وعظم البلاء على المسلمين ؛ ومضى كَسِيلة بالعساكر حتّى جاوز القَيْرَوان ، فخرجت العرب منها هاربة ولم يكن لهم بحَرْبِهِ من طاقة لعظم ما اجتمع عليه من الرّوم والبربر ، وأسلموا القَيْرَوان وبقى بها أصحاب العيال وكلُّ مُثْقَلٍ من التجّار وأهل الذمّة ، فحار النّاس ولم يدروا كيف يصنعون ، فأرسلوا إلى كَسِيلة يسألونه الأمانَ ـ ووثقوا بَدعْوَة عُقبة رحمه الله ـ فأجابهم إلى ذلك ودخل القَيْرَوان إلى الموضع الذى كان فيه عُقبة ، وأقام بها أميرا وبقى بقيّة المسلمين تحت يده ، ومضى الذّين هربوا حتى قدمُوا على يزيد فوجدوه توفّىَ وذلك فى سنة أربع وستين .

وذكر أبو العرب[٤] : أنّ زُهَيْر بن قَيْس البلوىّ ـ خليفة عُقبة ـ لمّا بلغه

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وإفريقية والأندلس ١٩٩

(٢) الرياض ١ : ٢٧ ـ بسنده إلى أبى العرب التميمى .

(٣) من ش ، وفى بقية الأصول والرياض : « أهل الغرب » .

(٤) لا يوجد هذا النص فى مختصر الطلمنكى لطبقات علماء إفريقية ، ولعله من نصوص أصله أو من بعض كتب أبى العرب الأخرى . ونقل المالكى (الرياض ١ : ٢٨) هذا الخبر عن أبى العرب أيضا .

ما جرى على عُقْبة رعب زعباً عظيماً وأراد الانصراف إلى مصر ، فأتاه ابن حيّان الحضرمى وقال له : لا تفعل فإنّها هزيمة إلى مصر . فكان أوّل من برز وضرب خباه مبارزا للعدّو . فلما رأى زُهيرٌ عزمه عزم معه ؛ وكان مع المسلمين فى / عسكرهم تُبَيْع[1] ابن امرأة كَعْب الأحبار ، فقال له زُهير : لمن تراها ؟ فقال : أراها لرجل من غسَّان وأنت من بَلى ، فقال زُهَير : أنا والله من نوافل العرب ، وأنا من غَسَّان ، جنى جدّى جنايةً فى قومه فلجأ إلى بَلى فغلب عليه نسبهم ؛ فقال عند ذلك لتُبيع : ما علامة الفتح لنا ؟ قال : يطيش رجلٌ من أصحابك فيستشهد ؛ فلما تدانت الخيل طاش رجل من أمداد اليمن فقُتِل ؛ وكان اللّقاء بقصر أبى عُبَيد ، ويقال إنه بمَمَسّ . ويقال إنّ تُبَيْعا قال لزُهير : علامة صاحب الفتح أن يفتضّ ذلك اليوم بِكراً ، قال : فأدنى إليه زهير رأسه وقال : إنّه لم يجفّ بعد ، وأنا طهرت من اقتضاض بكر السّاعةَ . فقال له تُبيع : أخرج على بركة الله وعَوْنِهِ .

١ : ٥١

فثبت زهيرٌ بالقيروان حتّى زحف إليه كَسيلة البربرىّ ، وخرج الروم من حصونهم ونقضوا العهد ، ووافق جميعهم عيد الأضحى ، فاعتدَّ زُهير هو ومن معه وكانوا ستّة آلاف : ألفان من البربر ، وأربعة آلاف من العَرب ؛ فلمّا رأى زهيرٌ ما حلّ به من البربر والرّوم ، بعث إلى الرّوم وقال لهم : إنّا وإيّاكم أهل كتاب ، وقد حَضَرَنا عيدٌ نعظّمه ، فأخِّروا حَرْبنا حتّى نقضى العيد ، فأجابوه إلى ذلك ، فلمّا انقضى العيد زحف إلى كَسيلة وقاتله قتالاً

---

(١) ابن ماكولا : الإكمال ١ : ٩٦ ب ؛ ابن حجر : التهذيب ١ : ٥٠٨

شديداً ، فانهزم كَسِيلة وقُتل من أصحابه ما لا يُحصى ، ومضت تلك الجموع وهرب الروم وتفرّقوا ، فأقام زهيرٌ يسيراً بالقيروان ثم خرج إلى مصر ، فوصل إلى لُوبيَة ومَرَاقِيَة وذلك فى سنة خمس وستين ، فوجد يزيد قد تُوُفِّى وعبد الله بن الزّبير خليفةً / بمكة ومَرْوان بن الحكم أميراً بالشّام ، فاجتمع المسلمون إلى مَرْوان بن الحَكَم فسألوه أن يبعث الجيوشَ إلى إفريقية لخلاص من فيها من المُسلمين من يد كَسِيلة ، وأن يعزّ بها الإسلام كما كان فى أيّام عقبة ، فقال لهم : ومن يوجد مثل عُقْبة ؟ ! فاتّفق رأيهم ورأىُ المسلمين على زُهَيْر بن قَيْس البَلَوِىّ رضى الله عنه ، وكان من رُؤساء العابدين وأشراف المهاجرين ، فوجّه إليه عبدَ الملك بن مَرْوان يأمره بالخروج على أعِنَّة الخيل فيمن معه من المسلمين لغَزْو إفريقيّة حتى يعود إليها الإسلام كما كان .

١ : ٥٢

فلمّا اتّصل ذلك بزُهير سرَّه ذلك وسارع إلى الجهاد ، وكتب إلى عبد الملك يُخبره بقلّة من معه من الرّجال وقلّة الأموال ، فأرسل عبد الملك رجالَ العرب وأشرافَهم يحشدون عليه النّاس من مدائن الشّام ، وأفرغ عليه أموال [مصر][1] ، فتسارع النّاس إلى الجهاد واجتمع منهم خلق عظيم ، فأمرهم أن يلحقوا بزُهير . فلمّا وصلوا إليه خرج بهم إلى إفريقيّة ، فلمّا دنا من القيروان نزل بقرية يقال لها قَرْشَانَة ، وكان ذلك فى سنة تسع وستّين ، فبلغ ذلك كَسِيلة وكان فى خلق عظيم من الرّوم والبربر ، فدعا كبارَهم وأشرافهم وشاورهم فى أمره ، وقال لهم : إنى رأيتُ أن أرحل إلى مَمَسّ فأنزل

(١) من الرياض ١ : ٢٩ ؛ وفى الأصول : « الأموال » .

عليها لأنى أخاف إذا التقينا مع القوم والتحم القتال أن يركبنا مَنْ فى القَيْروان من المسلمين فنهلك، لـكن ننزل بعكسرنا على مَمّسّ لأن ماءها كثير ؛ ويَحمِل[1] عسكرُنا ، فإن هزمناهم دخلنا معهم طَرَابُلْس وقطعنا آثارَهم / من الدّنيا وتـكون إفريقيّة لنا وفى ملـكنا إلى آخر الدّهر ، وإن هزمونا كان الجبـل منّا قريباً فتحصّنا به ؛ فأجابه النّاس إلى ذلك فرحل إلى مَمّسّ فنزل بها .

١ : ٥٣

فبلغ ذلك زهيْرًا وكان ينتظره أن يخرج إليه من القَيْروان ، فلمّا نزل كَسيلة مَمّسّ رحل زُهَير بعسكره فنزل القَيْروان وأقام بها ثلاثة أيّام حتّى استراح وأراح أصحابُه خيلَهم ؛ ونظر إلى ما يعمل كَسيلة فإذا به يُريد قتاله ، فزحف إليه زهيرٌ يوم الأربعاء صباحاً ؛ فسار نهارَه أجمع حتّى أشرف على عسكر كَسِيلة فى آخر النّهار ، فأمر النّاس بالنّزول فنزلوا ، وبات النّاس على مصافّهم ، فلمّا أصبح زهيرٌ صلّى الصّبح غَلَسًا ثم زحف إليه بمن معه ، فالتقى الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى كثر البلاء فى الفريقين جميعاً ، فضرب الله فى وجه كسيلة فانهزم هو وأصحابُه وقُتِلوا قتلاً ذريعاً ، وأثخن العرب فيهم القتل ، وقُتِل كَسيلة بمَمّسّ ولم يتجاوَزْها ، وتمادت العرب فى طلب أصحابه حتّى سـقوا خَيْلهم من مَلَوِيَّة ـ وادٍ بطَنْجَة ـ وأفنوا رجال الرّوم . وفتح شِقَّبَنَارِية وقلاعاً [أخر][2] . ثمّ رحل إلى القَيْروان وقد فزع منه جميع الروم والبربر .

---

(١) فى الأصول : « وهو يحمل عسكرنا » . والجملة ساقطة من نص الرياض .
(٢) الرياض ١ : ٣٠

ثم إنّ زهيراً رأى من إفريقيّة رفاهية العيش وملكاً عظيماً فأبى من المقام، وقال : إنّما قدمت للجهاد ولم أقدم لحبّ الدّنيا ؛ــ وكان رضى الله عنه من رُؤساء العابدين ــ فراوَدَهُ أصحابه على المقام بإفريقّة فأبَى ورجع إلى المشرق ونزل ببَرْقَة ، وكانت له بها وقائع كثيره مع المشركين .

١ : ٥٤ / وكانت الرّوم لمّا بلغهم أنّ زهيراً خرج غازياً إلى إفريقية لقتال الرّوم والبربر وأيقنوا أنّه خرج من بَرْقَة أمكنهم ما يُريدون ، فخرجوا إليها فى مراكب كثيرة وقُوّة عظيمة ، فأغاروا على بَرْقَة فأصابوا منها سبياً كثيراً وقتلوا وأَفْسَدُوا وذهبوا ؛ فوافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى بَرْقَة فأخبروه بالذّى حلّ بهم من الرّوم ، فأمر عسكره أن يمضى على الطّريق وعدل هو إلى السّاحل فى خيل يَسيرة من فرسان أصحابه وأنجادهم ، وطمع أن يدرك شيئاً من سَبْى المسلمين . فلمّا انتهى إلى السّاحل أشرف على الرّوم فإذا هم فى خلق ، فلم يقدر أن يرجع ، واستغاث ذرارى المسلمين وصاحوا والرّوم يدخلونهم فى المراكب ، وعسكرُ الرّوم بوَفْرة فى البرّ ، فنادى زهيرٌ بأصحابه وقال : انزلوا رحمكم الله ، فنزل المسلمون وبرز الرّوم لقتالهم ، فالتقى الفريقان فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى عَانَقَ بعضهُم بعضاً ، وتكاثر عليهم الرُّوم فاستشهد زهيرٌ وكلّ من معه من المسلمين رضى الله عنهم أجمعين ، ولم يفلت منهم إلاّ رجُلٌ واحد ؛ فأدخل الرّوم خيلهم وسلاحهم والسّبيَ الذّى كان معهم فى المراكب . فلمّا وصل الخبر إلى عبد الملك اشتدّ عليه وعلى المسلمين ذلك . وكانت المصيبة بزُهير وأصحابه رضى الله عنهم مثل المصيبة بعُقْبَة بن نافع وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

فسأل عبدَ الملك أشرافُ المسلمين أن ينظر إلى أهل إفريقية من يؤَمّنهم

١ : ٥٥ من عدوِّهم ، ويبعث الجيوش إليهم ، فقال عبدُ الملك : ما أعلم أحداً / أكفأ بإفريقيَّة من حَسّان بن النّعمان الغَسّانى ؛ فبعثه عبد الملك أميراً على إفريقيّة فى سنة تسع وستّين ، وفى جيش فيه نحوٌ من ستّة آلاف ، وهو أول من دخل إفريقيّة من أهل الشام فى زمن بنى أميّة ؛ فخرج حسّان بجيوشه حتى وصل إفريقية[(١)] ، فسأل أهل إفريقيّة[(١)] عن أعظم مَلِكٍ بإفريقيّة[(١)] ، فقالوا : صاحب قَرْطَاجَنّة ، فرحل إليه حسّان ، وفى قرطاجَنَّة من الرّوم ما لا يعلمه إلا الله ، وهى على شاطىء البحر تُسمى تِرْشِيش ، وهى من مدينة القيروان على مئة ميل وميل ، فمشى حسّان حتّى نزل على مدينتهم تِرْشيش ووَجّه خيله إلى قَرْطَاجَنّة ولم يكن فيها بَحْر ، فضيّق عليهم حسّان ، وتوافق[(٢)] القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً فقُتِل رجالهم وفرسانهم .

واجتمع رأى الرّوم أن يهربوا فى البحر وكانت لهم سُفُنٌ كثيرة فتحمّلوا فيها ، فمنهم من هرب إلى صِقِلّية ومنهم من هرب إلى الأَنْدُلس ؛ فدخلها حسّان بالسّيف فسباها وغنم ما فيها وقتل الرّجال . وأرسل إلى ما حولها من العمران ، فاجتمعوا إليه مُسْرعين خوفاً منه ، فأمرهم بهدم قَرْطَاجَنَّة وقَطْع القناة عنها ؛ ثمّ جَمَّع عليه الرّومُ وعقدوا عليه عسكراً عظيماً لا يعلمه إلاّ الله وأمدَّهُم[(٣)] البربر ، وذلك بموضع يُسَمّى صَطْفُورَة ، فزحف إليهم حَسَّان

(١) كذا بالأصول ، والنص عند المالكى : الرياض ١ : ٣١ « فسار حسان إلى إفريقية ، فسأل عن أعظم من فيها من الملوك فقالوا : صاحب قرطاجنة » الخ .

(٢) كذا فى الأصول ، ولعلها كما فى الرياض : « توافف » وتقدمت فى صفحة ٤٩

(٣) من ش ، وفى بقية النسخ : « ومعهم » .

فقاتلهم قتالاً شديداً وأصيب من أصحابه رجالٌ [كثيرون] [١] ، رضى الله عنهم .

ثمّ إن الله تعالى بمنّه وفضله وإحسانه ضرب فى وجوه الرّوم والبربر فانهزموا بعد بلاء عظيم ، فقتلهم حسّان قتلاً عظيماً واستأصلهم وحمل / بأعنّة الخيل عليهم فما ترك فى بلادهم موضعاً إلاّ وطأه بخيله ، ولجأ بقيّة الرّوم خائفين هاربين إلى مدينة بَاجَة فتحَصّنوا فيها ، وهرب البربر إلى إقليم بُونَة ، واخترق[٢] حسّان البحر فاحتفره وجعل دار الصِّناعة وأخرج[٢] البحر إليها ؛ ثمّ انصرف إلى مدينة القَيْرَوان فأقام بها حتّى برئت جِراح أصحابه .

١ : ٥٦

ثمّ سأل حسّان عن أعظم ملك بإفريقيّة وعمن إذا قُتل دانت إفريقيّة لقاتله ، فقيل له : ليس بإفريقية أعظم قدراً ولا أبعد صيتاً ولا أشدّ حرباً من امرأة يقال لها الكاهِنة ، وهى فى جَبَل أُورَاس ، وجميع من فى إفريقيّة يخافُها ، والرّوم سامعون مطيعون لها ، فإن قتلتها يئس الرّوم والبربر من إفريقية ، فإنها لهم ملجأ[٣] ؛ فلمّا سمع ذلك حسّان عزم على غزوها ، فخرج إليها بجيُوشه ، فلمّا بلغ موضِعاً يقال له مَجّانَة نزل بها ـ وكانت قلعةً لم تفتح ـ فتحصّن بها الرّوم فمضى وتركهم . وبلغ الكاهنةَ أمرهُ فزحفت من جبل أُورَاس فى عدّة لا يعلمها إلاّ الله ، فنزلت بمدينة بَاغَاى[٤] ، فأخرجَت من بها وهدمتها وَظنّت أنّ حَسَّان يُريد حِصناً يتحصّن به .

---

(٢) من الرياض ، وفى الأصول : « كثيرة »

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الرياض ١ : ٣٢ « وأخرق »

(٣) فى الرياض : « يئس الروموالبربر أن يكون لهم ملجأ » .

(٤) فى ش : باغاية ، انظر البكرى : المغرب ٥٠

ثمّ أقبل حسّان ـ حين بلغه الخبر ـ إلى وادٍ يقال له [مِسْكِيَانَة][1] ، فقيل له أنّها قد أقبلت فى عدد لا يُحصى ، فقال لهم : دلّونى على ماء يسع العسكر الذّى أنا فيه ، فمالوا به إلى نهر فنزل عليه ، وزَحَفَت[2] الكاهِنة حتّى أتت إلى أسفل النّهر فنزلت عليه ، فكان يشرب هو وأصحابه من أعلا النهر ، وتشرب هى من أسفله . فلمّا دنا بعضهم من بعض وَتواقفت الخيل ، أبىَ / حَسّان أن يُقاتِلها باللّيل ، فوقف كلّ فريق على مصافّهم ، فلمّا أصبحوا زحف بعضهُم إلى بعض فاقتتلوا قتالاً شديداً فَعَظُم البلاء بينهم وظنّ المسلمون أنّه الفناء ، وانهزم حسّان بعد بلاء عظيم وقُتِل من العرب خَلْقٌ كثير ، فَسُمِّيَ ذلك النّهر نهر البلاء[3] ؛ فاتبعتْه الكاهنة بمن معها حتّى خرج من حدّ قابِس ، فأسْلَمَ إفريقيّة ومضى على وجهه ؛ وأَسَّرت من أصحابه ثمانية رجال ، وقيل أنها أَسَّرت ثمانين رجلاً ؛ منهم خالد بن يزيد العَبْسِىّ وكان رجلاً مذكوراً .

١ : ٥٧

فلما فصل من قابِس كتب إلى أمير المؤمنين بخبر ما نزل بالمسلمين من البلاء وبخبر الكاهِنة ، وطفق يرفق فى سيره طمعاً فيمن نجا من أصحابه أن يلحقوا به .

ثمّ إنّ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كتب إليه : إنه بلغنى أمرك وما لقيتَ ولقى المسلمون ، فحيثما لَقِيك كتابى هذا فأقم ولا تبرح حتّى يأتيك أمرى .

(١) فى ط ، ع م والرياض ١ : ٣٣ : « مكناسة » وفى ش : « مسكانة » . والتزمت رسم البكرى : المغرب ٥٠ ، ١٤٥ .
(٢) فى الرياض : « رجعت » .
(٣) فى الرياض ١ : ٣٣ « فسمى ذلك اليوم يوم البلاء » .

فلقيه كتابهُ وهو نازِل بالموضع الذّى يُقال له اليوم قصور حَسّان ، فابتنى هنالك قصراً لنفسه وأقام بذلك الموضع هو ومن معه ثلاث سنين ، وملكت الكاهنة إفريقيَّة كلّها .

وكانت الكاهِنَة حين أسّرت أصحاب حسّان أساءت أسرهم إلاّ رجلاً واحداً وهو يزيد بن خالد العبسىّ ، تبنّته[1] الكاهنة ، ثمّ عمدت إلى دقيق شعير مُفْلَق ، فأمرت به فلُتَّ بزيت ـ والبربر تسمى ذلك بَسِيسَة ـ ثمّ دعت يزيد بن خالد وابنين لها فأمرتهم فأكل ثلاثتهم ، وقالت لهم : أنتم الآن قد صرتم إخوة . وذلك عند [البربر][2] من أعظم العهود فى جاهليتّهم إذا فعلوه .

١ : ٥٨ ثمّ / إنّ حسّان بعث رسولاً إلى يزيد وهو عند الكاهنة ، فأتاه فقال : إن حسّان أرسلنى إليك وهو يقول لك : ما منعك من الكتب إلينا بخبر الكاهِنَة ؟ فكتب يزيد كتاباً إلى حسّان مع رسوله وجعله فى خُبزة مِلّة قد أنضجها ثمّ دفعها إلى الرّسول ليخفى الكتاب وليظنّ من رأى الخبزة أنّه زادٌ للرّجل ، فلم يغب شخص الرّسول عنهم حتّى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهى تقول : يا معشر بَنِى ، ذهب ملككم ودنا هلاككم فيما يأكل النّاس ؛ وكرّرت ذلك ثلاث مرات .

---

(١) فى الرياض ١ : ٣٣ « . . . . يزيد بن خالد العبسى ، وكان أذكر من كان مع حسان ، فخبأته عندها ، ثم عمدت . . الخ » .

(٢) من الرياض ، وفى الأصول : « العرب » .

ومضى الرّسول حتّى قدِم على حسّان بالكتاب وفيه كلّ ما يحتاج إليه من خَبَرَ الكاهنة ، يقول فيه : إن البربر يعقدون عساكرهم بالنّهار ويفترقون باللّيل ؛ وليس لهم حزم فى الرّأى ، وإنّما ابتلينا بأمر قَدّره الله وأكرم به من أراد منّا بدرجة الشّهادة ، فإذا نظرت فى كتابى هذا فاطْوِ المراحل وجدّ السَّيْر فإنّ الأمر إليك ، ولست أسلمك إن شاء الله ، ولا حول ولا قُوّة إلّا بالله العلىّ العظيم .

ثم إنّ يزيد كتب بعد ذلك إلى حسّان بخبر الكاهنة ، ثمّ عمد إلى قَرَبُوس[1] فنَقَرَه ثمّ وضع فيه الكتاب وأطبق عليه القُربوس وأخفى مكان النّقْر منه ، ثم حمل رسولا على دابّة بالكتاب إلى حسّان ، فلما فصل الرّسول بالكتاب خرجت الكاهنة ناشرة شَعْرها وهى تقول : يا بَنِى قد دنا هلاككم فى شيء من نبات الأرض ، وهو بين خشبتين ـ وكانت أعلم أهل زمانها بالكهانة ـ ومضى الرّسول حتّى / قَدِم على حسّان ١ : ٥٩ فلمّا بلغ الكاهنة أنّ حسّاناً مقيم بقُصوره لا يبرح ، قالت للبربر والرّوم : إنّما طلب حسّان من إفريقية المدائن والذّهب والفضّة والشّجر ، ونحن إنّما نُريد المراعىَ والمزارع ، فما نرى لكم إلّا خراب إفريقية ؛ فوجّهت البربر يقطعون الشّجر ويهدمون الحصون التّى بها ؛ وكانت إفريقيّة ظِلًّا واحِداً من طَرَابُلْس إلى طَنْجَة ، قُرًى متّصلة ؛ فأخربت ذلك كلَّه الكاهنة ، فخرج من النصارى ثلاث مئة رجل يستغيثون بحسّان فيما نزل

---

(١) القربوس : حنو السرج .

بهم من الكاهنة من خراب الحصون وقَطْع الشّجر . وكان قد وَجَّه إليه عبدُ الملك بن مَرْوان يأمره بالنّهوض إلى إفريقيّة قبل أن تخربها الكاهنة ، فوافق ذلك وصول الرّوم إليه وقدوم رسول يزيد بن خالد إليه ، فرجع بجميع عسكره إلى إفريقيّة . فيقال أنه لمّا رحل من قُصوره بجميع عسكره إلى إفريقية ، خرجت الكاهِنَة ناشرةً شعرها ، فقالت : يا بنىّ ، انظروا ماذا ترون فى السّماء ؟ فقالوا : نرى شيئاً من سحاب أحمر ، فقالت لهم : لا وإلهى ، إنّما هو رَهْج[1] خَيْل العرب أقبلت إليكم ؛ ثمّ قالت ليزيد بن خالد الّذى كانت أسَّرته من المسلمين : إنّما كنتُ تبنّيتك لمثل هذا اليوم ، أمّا أنا فمقتولة ، ولكن أوصيك بأخويك هذين خيراً ـ تريد ولَدَيْها ـ ، فانطلِقْ بهما إلى العرب فخذ لهما أماناً ؛ فانطلق بهما يزيد إلى العرب فأخذ لهما أماناً ، ولقى حسّاناً وهو مُقبل يريد الكاهنة ، فأخبره خبرها وأخذ لهما أماناً . وكانت مع حسّان جماعةٌ من البربر ، يُقال لهم / البُتْر ، فولى عليهم الأكبرَ من ولَدَىْ الكاهِنة وأكرمه وقرَّبه . ثمّ مضى حَسّان ومن معه يُريد الكاهِنة ، فوصل إلى قابس فلقيته الكاهنة فى جُيوش عظيمة ، فقاتلهم حسّان فهزمهم الله ، وهربت الكاهنة منهزمة تريد قلعة بِشْر[2] تتحصن بها ، فأصبحت القاعة لاصقة بالأرض ، فمضت تريد جبال أُورَاس

١ : ٦٠

(١) الرهج : الغبار .

(١) كذا فى الأصول ، والرياض ١ : ٣٥ ، وانظر ابن الأثير : الكامل ٤ : ٤٢٨ ؛ وفى ابن عبد الحكم : الفتوح ٢٠٥ : «قلعة بسر» ، نسبة لبسر بن أبى أرطاة الذى افتتحها .

ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده ، يُحمل بين يديها على جَمل ؛ فتبعها حَسّان حتّى قرب من موضعها ، فلما كان اللّيل قالت الكاهنة لابْنَيها : إنّى مقتولة ، وأرى رأسى تركض به الدّواب يُمْضَى به إلى المشرق من حيث تطلع الشّمس ، وأراه موضوعا بين يدى الملك ، ملك العرب الأعظم الّذى بعث إلينا بهذا الرّجل ؛ فقال لها يزيد بن خالد وولداها : فإذا كان الأمر هكذا عندك فارحلى وخلِّى له البلاد ، فقالت : وكيف أفرّ وأنا ملكة ـ والملوك لا تفرّ من الموت ـ فأقلِّدُ قومى عاراً إلى آخر الدّهر ؟! فقالوا لها : ألا تخافين على قومك الموت ؟! فقالت : إذا أنا متّ فلا أبقى الله منهم أحداً فى الدّنيا ؛ فقال لها يزيد بن خالد وولداها : فما نحن صانعون ؟ فقالت : أمّا أنت يا يزيد بن خالد ، فستنال ملكاً عظيما [عند الملك الأعظم ، وأمّا أولادى فسيدركون مُلْكاً بإفريقيّة][(1)] مع الملك الّذى يقتلنى ، ثم قالت لهم : اركبوا واستأمنوا إليه ، فركب يزيد بن خالد وولداها باللّيل متوجّهين إلى حسّان .

ولمّا أصبح حسّان زحف إلى الكاهنة ، وأقبلت الكاهنة زاحفة إليه ، فلقيت أعنّةُ الخيل خالداً وولديها فسلّموا عليهم ومضوا بهم إلى حَسّان ، فدخل يزيدُ بن خالد على / حَسّان وأخبره بما قالت الكاهنة وأنها وجهت إليه بولديها ، فأمر بهما حَسّان فأدخلهما عسكره ووكّل

١ : ٦١

(١) ساقطة من الأصول ، والتكملة من الرياض : ١ : ٣٦

بهما أقواما ؛ وقَدَّم يزيدَ بن خالد على أعنّة الخيل ؛ فالتقى القوم ووضعوا السّلاح ووقع الصّبر حتّى ظنّ المسلمون أنّه الفناء ، فانهزمت الكاهنة وقُتِلت عند بئر سمّاه النّاس بئر الكاهِنة ، فنزل حسّان على الموضع الّذى قتِلت فيه . ويُقال أنّها قُتلت عند طَبَرْقَة . فعجب النَّاس من خلقتها ، وكانت الأترجة تجرى فيما بين عَجِزَتها[1] وأكتافها .

ثمّ إنّ الرّوم تحزّبوا على قتال حسان ، واجتمعوا فزحفوا إليه وقاتلوه فهزمهم الله ، فخافه البربر واستأمنوا إليه ، فلم يقبل أمانَهم حتّى يعطوه — جميعُ قبائلهم — اثنى عشر ألف فارس تكون مع العرب برَسْم الجهاد ، فأجابوه إلى ذلك وأَسْلموا على يديه ، فعقد لولدى الكاهنة بعد إسلامهما ، لكل واحد منهما ستّة آلاف فارس من البربر [وجعله][2] والياً عليهم ، وأخرجهم مع العرب يفتحون إفريقيّة ويقتلون الرّوم ومن كفر من البربر ، فمن ذلك صارت الخطط بإفريقيّة للبربر ، فكان يُقسم الفىء والأراضى بينهم ؛ فحسنت طاعتهم له ودانت له إفريقيّة ودَوَّن الدَّواوين .

ثمّ قدِم القيروان فأمر بتجديد بناء المسجد الجامع ، فبناه بناء حسناً وجدّده ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة أربع وثمانين من الهجرة ، ثم رحل يريد قَرْطَاجَنّة ؛ فانتهى إلى [طُنُبُذَة][3] ، فوجّه أبا صالح

---

(١) العجز : ثني العنق .

(٢) من الرياض .

(٣) فى الأصول : « طنجة » ، وفى الرياض ١ : ٣٧ « طبنة » ، وقد صوبتها استناداً لما يرد بعد هذا من النص ، ولوجود طنبذة فى منطقة حركة الفتوح التى يتحدث عنها . انظر البكرى : المغرب ٣٨ (وقد سماها : طنبد) ؛ رحلة التجانى ٨

مولاه إلى قلعة [زَغْوَان][1] ، فنزل بموضع فَحْص أبى صالح وبه سُمّى ،
فقاتل أهلَها / ثلاثة أيّام فلم يقـــدر عليهم ؛ فخلَّى حَسّان عسكره ١ : ٦٢
[بطُنبُذَة][2] ، ثمّ رحل إلى [زَغْوان][1] فى خيل مجرّدة فافتتحها
صُلْحًا وانصرف إلى [طُنبُذَة][2] . ثم سار إلى قرطاجنّة فنزل بموضع
دار الصّناعة ـ وحسان هـــذا هو الّذى خرق البحر إليها وجعلها دار
صناعة ، فأخرج إليها المـاء وأجراه من البحر إليها ـ فخرج إلى حسّان
أهل قَرْطاجنّة بأجمعهم فحاربوه حرباً شديدةً[3] فهزمهم الله ـ عزّ وجلّ ـ
بين يديه ، وملَكَ حسّان رضى الله عنه فَحْص تونس ، وقرطاجنّة ؛ فلمّا
رأت الرّوم شدّتَه وقهره لهم وعلموا أنّهم لاقِوام لهم به ولا طاقة سألوه
الصُّلح وأن يضع عليهم الخراج ، فأجابهم حسان إلى ذلك ووافقهم
عليه ، فأدخلوا عند ذلك ثُقْلَهم فى مراكب كانت معدّة عندهم فى البحر ،
وهربوا ليلاً بأَجمعهم من باب يقال لَه باب النّسـاء ، وحسّان [بن النّعمان][4]
رضى الله عنه لا علم عنده بمـا فعلوه من هربِهِم ، وتركُوا مدينتهم
خاليةً لا أحـــد فيها ، ونزلوا بجزيرة صِقِلّية ، ومَضَى بعضُهم إلى بلاد

(١) من الرياض ، وفى الأصول : « زعفران » .

(٢) من الرياض ، وفى الأصول مصحف الى : « طنبزه »

(٣) فى الأصول : « شديداً » .

(٤) فى الأصول : « بن ثابت » .

الأندلس . فدخل عند ذلك حسّان إلى المدينة وبَنى بها مسجداً وخرّب بناءهُم بها ، ورحل عنها راجعاً إلى مدينة القَيْرَوان ـ حرسها الله تعالى ـ فأَقَام بها ، وعمرها المسلمون وبنوا بها المساكن وانتشروا فيها وكَثُرُوا وأَمنوا من أعدائهم وقطَعُوا شوكتهم ، وأقرّ الله ـ سبحانه ـ أعينَهم وعلموا أن الله ـ عزّ وجلّ ـ قَبِل دعوةَ عُقْبَة بن نافع فيما دعا لهَمْ .

وَولّى حسّان بن النّعمان الغسّانى على صدقات النَّاس والسّعْى عليهم / حَنَشَ بن عبد الله الصّنعانىّ التّابعىّ رضى الله عنه . ١ : ٦٣

ثمّ إنّ حسّان بن النّعمان لمّا تمهّدت بلادُ إفريقية وأمن على أهلها ، رحل بما معه من [السَّبْى][1] والغنائم والأموال قاصداً إلى عبد الملك ابن مَرْوان ، ومعه خمسة وثلاثون ألف فارس[2] من سَبْى البربر ، وكان معه من الذّهب ثمانون ألف دينار قد جعلها ـ حياطةً عليها ـ فى قِرَب الماء .

واستقامت إفريقيّة كلّها وأمن أهلها وقطع الله ـ عزّ وجلّ ـ مدّة[3] أهل الكفر ؛ وصارت القَيْروان دار إسلام وجميع مدن إفريقيّة إلى يومنا هذا وإلى آخر الدّهر إن شاء الله تعالى[4] ، وذلك ببركة من

---

(١) من الرياض ١ : ٣٨ ؛ وفى الأصول : « المسلمين » .

(٢) فى الرياض : « رأس » .

(٣) فى حاشية ش : « مادة » .

(٤) إلى هنا ينتهى الدباغ من نقله عن المالكى : الرياض ١ : ٨ ـ ٣٨

اختَطَّها ودخلها من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورضى الله عنهم أجمعين .

ونحن نذكر من نزلها منهم معتمدين فى ذلك على مانقله ثقات الرّواة ، مثل : عبد الله بن وَهْب ، وعبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم ، ومحمد بن سُحْنون ، وأبى سعيد بن يونس ، وأبى العرب محمّد بن أحمد ابن تَميم ، وغيرهم . وسنروى عن كلّ واحد منهم حديثاً مُسْنَدًا تبرّكا باتصال السند بهم ، والرّواية عنهم رضى الله عنهم وعن أتباعهم . والله ولىّ الإرشاد والتّوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فمنهـــم :

١ ● أبو سَعيد ، المِقْداد بن عمرو [البَهْرَانِيّ][(١)] القُضَاعِيّ

وقيل له : ابن الأسود ، لأنّ الأَسْود بن عبـد يَغوث كان تبنّاه ، فنُسب إليه .

١ : ٦٤ { قلت } : سبق له فى خطبته أنه رتَّب الصَّحابة الأعلام على / قدر سابقيّتهم فى الإسلام ؛ بخلاف من جاء بعدهم ، فإنّه جعل ترتيب أسمائهم على ترتيب تاريخ وفاتهم .

قال العوانيّ : ثمَّ إنّه ـ رحمـــه الله تعالى وغفرَ له ـ خاط فى ترتيب القوم رضى الله عنهم فقدّم منهم ـ على ما اشترطه ـ مَن ينبغى أن يؤخّر ، وأخّر من ينبغى أن يُقدّم ؛ فابتدأ بذكر المقداد وثنّى بذكر كَعْب بن عَمْرو الأنصاريّ وخَمّس فى الترتيب بأبى ذرّ الغِفَاريّ ؛ فقد اختلف فيمن كان أوّل الرّجال إسلامًا ، فقيل أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وقيل علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، وقيل زيد بن حارِثَة رضى الله عنه ، وأيّهم كان الأول ، فأحد الباقين هو الثّانى فى الإسلام . وذكر أبو عمر بن عبد البرّ أنَّ سعد بن أبى وقّاص رضى الله عنـــه ثالث من أسلم من الرّجال . وروى عن أبى ذرّ الغِفاريّ رضى الله تعالى

---

(١) فى الأصول: « البرهانى » ، وفى الإصابة ، والرياض : « النهرانى » . من ولد بهراء القضاعى ، ابن حزم : الجمهرة ٤١٢ .

ترجمه ابن سعد : الطبقات ٣ : القسم الأول ١١٤ ؛ ابن عبد البر : الإستيعاب ٣ : ٤٥١ ؛ المالكى: رياض النفوس ١ : ٤٨ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٤٣٣ ؛ تهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٥

عنه أنّه قال : كنت رابع من أسلم ، أسلم قبلى ثلاثة وأنا الرّابع . وعلى هذا فهو المقدّم على كلّ من دخل إفريقيّة من الصّحابة رضى الله عنهم على السّابقة فى الإسلام ؛ فلا هُوَ ذكرهم على ترتيب فضائلهم ، ولا على ترتيب موالدهم ، ولا على ترتيب وفاتهم ، وربّما فعل ذلك فى بعضهم ثم عاد فخلط ، وكذلك فيمن بعدهم وخصوصاً فى أواخر الكتاب ؛ ومن طالع كتابه ممّن له أُنْسٌ بالنّقل انكشف له ما أشرتُ إليه .

﴿ قال ﴾ : وكان المقداد من فُضلاء الصّحابة ونُجبائهم ، وهو أوّل من غزَا به فرسه فى سبيل الله ؛ وكان قديم الإسلام ، شهد بدراً وللشاهِدَ / كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم . ١ : ٦٥

﴿ قلتُ ﴾ : وكان لم يقْدم على الهجرةِ ظاهراً فأتى مع المشركين من قُريش ، هو وعُتْبة بن غَزْوان ليتوصّلا بالمسلمين فانحازا إليهم ، وذلك فى السّريّة الّتى بعث بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عُبَيْدةَ ابن الحارث إلى ثَنِيّةِ المَرْوة ، فلقوا جَمْعًا من قُريش عليهم عِكْرِمة بن أبى جَهْل ، فرمى سَعْد بن أبى وَقّاص يومئذ بسَهْم ، فكان أوّل سَهْم رُمِىَ به فى سبيل الله ، وهرب عُتْبة بن غَزْوان والمِقْداد بن الأسود إلى المسلمين . وشهد المقداد فى ذلك العام بدرًا .

ورُوى عن ابن مَسْعود رضى الله عنه أنّه قال : أول من أظهر الإسلام سَبْعة ، فذكر منهم المقدادَ .

وعن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وَجْهَه أنّه قال : قال رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم : ألاَ لم يكن نبيٌّ إلاّ أعطى سبعة نجباء ، وزراء ورفقاء ، وإنى أعْطِيت أربعة[1] عشر : حَمْزة ، وجَعْفر ، وأبو بكر ، وعُمر ، وعلىّ ، والحسن ، والحسين ، وعبد الله بن مسعود ، وسَلْمان ، وعَمَّار ، وحُذَيفة ، وأبو ذَرّ ، والمقداد ، وبِلال .

﴿ قال ﴾ : روى بُرَيدة بن [الحُصَيْب][2] ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : إن الله أمرنى بحبّ أربعة وأخبرنى أنّه يُحبّهم ، وهم : علىّ ، والمقداد ، وأبو ذرّ ، وسَلْمان .

وعن عبد الله بن مَسْعود رضى الله عنه ، قال : لقد شهدتِ مِنَ المقداد مشهداً ، لَأن أكونَ صاحبَه ، أحبّ إلىّ ممّا طلعت عليه الشمس ، وذلك أنه أتى النبىّ صلّى الله عليه وسلم وهو يذكر المشركين ، فقال : يا رسول الله ، لا نقول / لك كما قال أصحاب موسى : ﴿ اذهَبْ أَنْتَ وربّك فقاتِلا إنّا هَهُنا قاعِدون ﴾[3] ولكن نُقاتل بين يديك ومن خَلْفك وعن يمينك وعن شمالك ، قال : فرأيت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أشرق وَجْهُهُ لذلك ، وسَرّهُ وأعْجبه .

١ : ٦٦

﴿ قلت ﴾ : وعن أَنس رضى الله عنه ، أنّ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم سمع رجلاً يقرأ ويُرَجّع صَوْته بالقرآن ، فقال : أَوّاب ؛ وسمع آخرَ يرفع

---

(١) من ش ، وفى الأصول : « سبعة عشر » .

(٢) فى الأصول مصحف الى «الخطيب»؛ انظر : جمهرة أنساب العرب ٢٤٠ ؛ أسد الغابة ١ : ١٧٥

(٣) المائدة ، الآية ٥

صوته ، فقال : مُرَائى ؛ فنظروا ، فإذا الأوّابُ المقداد بن عمرو [البَهْرانىّ][1] رضى الله تعالى عنه .

﴿ قال ﴾ : شهد المقداد فَتْح مصر ، وغزا إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح . قاله أبو سَعيد بن يونس .

وذكر عبد الله بن وَهْب فى جامعه قال : أخبرنى عبد الله بن لَهِيعَة ، أنّه سمع يزيد بن أبى حَبيب يذكر أنّ المقداد بن الأسود كان قد غزا مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح إفريقيَّة ، فلمّا رحلوا قال عبد الله بن سَعْد للمقداد فى دارٍ بناها [فى مصر][2] : كيف ترى بُنيان هذه الدّار ؟ فقال له المقداد : إن كانت من مال الله فقد أفْسَدْتَ ، وإن كانت من مالك فقد أسْرَفْتَ ؛ فقال عبد الله : لولا أن يقول قائلٌ أفسدتَ مرّتَيْن لهدمتُها .

﴿ قلتُ ﴾ : نقل هذه الحكاية أبو بكر المالكىّ وغيرُه[3] .

﴿ قال ﴾ : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمّد الأنصارىّ ، قال : أخبرنا أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوال ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمّد بن عَتّاب ، عن أبيه ، عن أبى أيوّب سليمان بن خلف ابن عَمْرون ، عن أبى عبد الله محمد بن يحيى بن الفرج ، عن / محمد بن أيوّب الرّقيق ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمرو البزّار ، قال : حدّثنا ١ : ٦٧

---

(١) فى الأصول : « البرهانى » .

(٢) زيادة من الرياض .

(٣) الرياض ١ : ٨ ؛ ابن عبد الحكم : الفتوح ١١٠ ؛ ٢٦٦

محمّد بن بشّار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : حدّثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن هَمَّام ، عن المقداد عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : إذا رأيتم المَدّاحِينَ فاحثوا فى وجوههم التّراب .

﴿ قال ﴾ : وحدّثنا محمّد بن مسكين ، حدّثنا عبد الله بن صالح ابن عبد الرحمن بن جُبَيْر بن [نُفَيْر][1] الحَضْرمِىّ ، عن أبيه ، عن المقداد بن الأسود كان يقول : إنّ السّعيد لَمَنْ جُنِّب الفتن . كرّر ذلك ثلاث مرّات .

﴿ قلتُ ﴾ . واعترض العوانىّ ذكر هذا الحديث وما بعدهُ ، بِقوله : إنّه أطال بذكر الأحاديث المرفوعة ، ومعلوم أنّ كتابه إنّما هو مَثل وُضِعَ لبيان أخلاق القوم وفضائلهم ، لا للأحاديث ، ولكلّ مقام مقال ؛ ولو كانت فى الزّهد لكان الأمر أخفّ ، لأنّ أحاديث الزّهد وما فى معناها ممّا يليق بكتابه ؛ لكنّها من كلّ فنّ وذلك ممّالاَ يليق بكتابه أيضاً ؛ فإنّه ذكر فى كتابه أحاديثَ منها ما هو صحيح ومنها ما هو سقيم ، ومعلوم أنّ جمهورَ النّاس يخفى عليهم الصّحيح من غيره ، فستْرُ ذلك عليهم غشّ .

وروى عن المقداد جماعة كبيرة من كبار التّابعين ، منهم : طارق

---

(١) انظر الإستيعاب ٣ : ٥٣١ ؛ أسد الغابة ٥ : ٣٧ ؛ وفى الأصول مصحف إلى « نمير » .

ابن شِهاب ، وعُبَيْد الله بن [عدِىّ][1] بن الخِيار ، وعبد الرحمن بن أبى لَيْلى ، وغيرهم رضى الله عنهم .

﴿ قال ﴾ : وتوفّى المقداد وهو فى أرضه بالجُرُف ؛ فحمل إلى المدينة على رقاب الرّجال ودفن بها . وصلّى عليه عُثمان بن عفّان رضى الله عنهما ، وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ، وهو ابن سبعين سنة .

ومنهـــــم :

١ : ٦٨ / ٢ ● أبو اليُسْر ، كَعْب بن عمرو الأنصارىّ[2]

﴿ قال ﴾ : شهد العقبة وبَدْرا وهو ابن عشرين سنة ، وهو الذّى أَسَرَ العبّاس بن عبد المطّلب يوم بَدْر ، وكان رجلاً قصير القامة والعبّاس رجلاً طويلاً ضخماً ؛ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد أعانك عليه يا كعب مَلَكٌ عظيم .

وكعب هو الذّى انتزع راية المشركين يوم بَدْر وكانت بيد أبى عَزِيز ابن عُمَيْر .

وشهد صِفّين مع علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وتوفّى بالمدينة سنة خمس وخمسين .

---

(١) فى الأصول : « على » وهو تحريف ، ترجمة ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٤ . وانظر من روى عن المقداد فى الإصابة ٣ : ٤٣٤ .

(٢) ترجمه ابن عبد البر : الإستيعاب ٣ : ٢٧٤ ؛ ابن حجر : الإصابة ٤ : ٢١٧ ؛ تهذيب التهذيب ٨ : ٤٣٧ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٢٤٥ ؛ الذهبى : سير أعلام النبلاء ٢ : ٣٨٥ ؛ تاريخ الإسلام ٢ : ٣٣٩

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكىّ الإسكندرانىّ ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طَاهِر أحمد بن محمّد الأصبهانى ، قال : أخبرنا جعفر ابن محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبى ، عن عُبادة بن الوليد ، قال : سمعت أبا اليُسْر يقول : أشهد أنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : من أَنْظَر معسراً أو وضع له ، أظلَّه الله فى ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه .

﴿ قلت ﴾ : وروى عنه [حنْظلة][1] بن قيس ، وعبادة بن الوليد ، ورِبْعِىّ بن خِرَاش .

ومنهم :

٣ ● عبد الله بن أُنَيْس الجُهَنِىّ[2] ، حَليفُ الأنصار .

﴿ قلت ﴾ : وقيل هو حَليف لأبى سَواد من بَنِى سَلَمَة ، وقيل هو من الأنصار ، دخل فى جُهَينة . واختُلِف فى كُنيته ، فقيل كنيته أبو يحيى ، وقيل أبو أَيمن[3] . وهو أحد الذين كسروا آلهة بنى سَلَمَة ، وشهد أُحُدًا وما بعدها .

﴿ قال ﴾ : صحب النّبى صلّى الله عليه وسلّم وصلّى معه القِبْلَتين ،

---

(١) فى ش : « طلحة » ، وفى بقية الأصول : « طلقة » وهو تحريف ؛ انظر تهذيب التهذيب ٣ : ٦٣ ؛ ٨ : ٤٣٧ .

(٢) ترجمه ابن عبد البر : الإستيعاب ٢ : ٢٤٩ ؛ المالكى : رياض النفوس ١ : ٤٥ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٢٧ ؛ تهذيب التهذيب ٥ : ١٥١ ؛ مسلم بن الحجاج : كتاب الكنى ١١٨ (مخطوط الظاهرية بدمشق) ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ١١٩

(٣) فى ش : « يمن » .

١ : ٦٩ وكان مُهاجريًّا أنصاريًّا عَقَبيًّا . وهو الذّى سأل / النّبى صلّى الله عليه وسلّم عن ليلة القَدْر ، فقال : يا رسول الله ، إنى شَاسِـع الدّار ، فَمُرْنِى[1] بِلَيْلَةٍ أَنْزِلُها [إلى هذا المسجد][2] فقال : انزِلْ ليـلة ثلاث وعشرين . وتُعرف الليلة بليلة الجُهَنِىّ بالمدينة .

وبعثه النّبى صلّى الله عليه وسلّم لخالد بن سُفْيان سريّة وحده ، فقتله .

قال أبو سعيد بن يونس وغيرُه : شهد فتح إفريقيَّة مع عبـد الله ابن سَعْد بن أبى سَرْح .

حدثنا أبو محمد عبد الوهاب بن ظافِر القُرَشى ، قَال : أَخبرنا الحافظ أحمد بن محمد السِّلَفِىّ ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن أحمد الرّازى ، قال : أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السّعدى ، قال : أخبرنا عبد الله بن محمد بن بَطّة العُكْبَرِىّ ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد البَغَوِىّ ، قال : أخبرنا وَهْب بن بقيَّة ، قال : حدّثنـا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمّن بن إسحاق ، عن محمد بن زيد القُرَشىّ ، عن عبد الله بن أبى أُمامة ، عن عبد الله بن أُنَيس ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أكبر الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغَموس . والذّى نفسى بيـده ، لا يحلف أحدٌ يمين صَبْر وإن كان على مثل جناح بعوضة إلاّ كانت نـكتة فى قلبه إلى يوم القيامة .

---

(١) الرياض ١ : ٤٥ ؛ وفى الأصول : « فر لي » .

(٢) من سنن أبى داود (كتاب الصلاة) . وتفسير المالكى « أن أراد نزول القرآن » غير صحيح . انظر الموطأ ١ : ٣٢٠ (كتاب الاعتكاف) .

وخرّجه التِّرْمِذىّ[١] عن عَبْد[٢] بن حُميد ، عن يونس بن محمّد ، عن اللَّيث ابن سَعْد ، عن هشام بن سَعْد[٣] ، عن محمّد بن زَيْد ، عن أبى أُمَامَة ؛ فذَكَرَه .

وتوفى سنة أربع وخمسين ، ودُفنت معه مخصرة كان أعطاها له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال له : تخصّر/ بها حتّى تلقانى بها يَوْم القيامة ، فإن أقلّ النّاس المتخصّرون يومئذ . فلمّا مات جُعلت على بطنه ودفنت معه . ١ : ٧٠

﴿ قلت ﴾ : رَوَى عنه أَبو أُمامَة ، وجابر بن عبد الله ؛ وروى عنه من التّابعين : اللّيث بن سعد ، وبنوه : عطيّة وعمرو ، وضَمْرة[٤] ، وعبد الله بن عبد الله بن أُنيس الجُهَنىّ .

ومنهـــم :

٤ ● أبو عبد الرّحمن ، عبد الله بن عُمر بن الخطّاب[٥] ، رضى الله عنهما .

﴿ قال ﴾ : أمُّه زَيْنَب بنت مَظْعُون[٦] ، وكان شقيق حَفْصة أمّ المؤمنين .

---

(١) جامع الترمذى ٣٢٩ (باب تفسير سورة النساء) .
(٢) فى الأصول : « عبد الله » .
(٣) فى الأصول : « سعد بن هشام » .
(٤) فى ز ، ط : « حمزة » .
(٥) ترجمه ابن عبد البر : الإستيعاب ٢ : ٣٣٢ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٤١ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٣٣٨ ؛ تهذيب التهذيب ٥ : ٢٢٨ ؛ الذهبى : تذكرة الحفاظ ١ : ٣٥ ـ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٢٢٧ .
(٦) فى ط ، ش : « مصعون » . انظر الإصابة ٤ : ٣١٢

﴿ قلت ﴾ : كان من أهل الورع والعلم ، كثير الاتّباع لآثار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، شديد التّحرِى والاحتياط والتّوَقّى فى فَتْواه .

﴿ قال ﴾ : أسْلم بمكّة بإسلام أبيه وهو صغير .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيرُه فى هذا القول : وهاجر مع أبيه إلى المدينة ، وقيل أنّ إسلامه كان قبل إسلام أبيه ؛ والصّحيح أن هجرته كانت قبل هجرة أبيه ، وإسلامه كان بعد إسلام أبيه .

﴿ قال ﴾ : وأوّل مشاهِده الخَنْدَق وهو ابن خمس عشرة سنة .

﴿ قلتُ ﴾ ما ذكره هو الصّحيح ؛ وقيل عُرض على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بَدْرٍ فَرَدَّهُ ، ويوم أُحد فَرَدّه لصغر سنّه ؛ وشهد الحُدَيْبِيَة وبايع بيعة الرّضوان .

﴿ قلتُ ﴾ : وقال بعضُ أهل السِّير : إنّه أوّل من بايع يومئذ . والصّحيح أنّ أوّل من بايع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بيعة الرّضوان بالحُدَيْبِيَة تحت الشّجرة ، أبو سِنان الأسدى .

﴿قال﴾ : وكان يحفَظُ ما سمع من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذَا حَضر / ويسأل من حَضر عمّا فَاتَه ؛ وكان رضى الله عنه ملازماً للجهاد فى سبيل الله ؛ ما تخلّفَ عن سَرِيَّة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبَعْده حتّى وقعت الفِتْنة ، فترك الغَزْوَ ولازم الحجَّ حتّى مات . وذكر أنّه حَجَّ ستّين حجّة .

١ : ٧١

﴿ قلت ﴾ : يُرِيدُ كما قال غيرُه ، بعد حَجَّة الوَداع مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

﴿قال﴾ : وأَفْتى النّاسَ فى الإسلام ستّين سنة . وقال النّبى صلّى الله عليه وسلّم لحفْصة بنت عُمَر أمّ المؤمنين : إنّ أخاكِ عبد الله بن عُمَر رجلٌ صالح لو كان يقوم من اللّيل ؛ فما ترك ابنُ عمر بعدها قيامَ اللّيل .

﴿قلتُ﴾ : وعن ابنِ عُمر رضى الله عنهما ، قال : رأيت فى المنام كأنّما فى يَدى قطعة إسْتَبْرَقٍ ، ولا أشير بها إلى مكان من الجنّة إلّا طارت بى إليه ، فقَصَصْتُها على حَفْصة ، فقصّتها حَفْصَة على النّبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنّ أخاكِ رجلٌ صالح ؛ أو قال : إنّ عبد الله رجلٌ صالح . أخرجاه فى الصّحيحين(١) .

وقال سعيد بن المسيّب : لو كنت شاهداً لأحَدٍ أنّه من أهل الجنّة لشَهِدْتُ لعبد الله بن عُمر .

وعن نَافِع ، قال : دخل ابنُ عمر الكعبةَ فسمعته وهو ساجد وهو يقول : قد تَعلَمَ ما يَمْنَعنى من مُزاحمة قُرَيْش على هذه الدّنيا إلّا خَوْفك .

وعن عائِشة رضى الله عنها ، قالت : ما رأيت أَلْزَمَ للأمر الأوّل من عبد الله بن عُمر .

﴿قال﴾ : وقال جابرُ بن عبد الله رضى الله عنهما . ما أحدٌ إلّا مالت به الدّنيا ، إلّا عمر بن الخطّاب وابنه عبد الله . وكان إذا

(١) البخارى : الجامع الصحيح ٩ : ٣٧ (باب التعبير) ، وفيه : « كأن فى يدى سرقة من حرير ولا أهوى بها » ؛ صحيح مسلم (أبواب المناقب ١٣ : ٢٢٢) . وانظر الإصابة ٢ : ٣٣٩

١ : ٧٢ أعجبه شيء من ماله خرج / عنه لله عزّ وجلّ . وكان ربّما تصدّق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وكان يأتي عليه الشّهر ما يأكل فيه غلّة لحم ؛ وما مات حتّى أعتق ألف رقبة وأكثر .

ورُوى أنّه أُعطِيَ في نافعٍ مولاه عشرة آلاف دِرْهَم أو ألف [دينار][1] ، [ف]قال : هو حُرٌّ لوجه الله .

وكان رضوان الله عليه يتصَدّقُ بالسّكّر لأنّه كان يُحِبُّه ؛ يتأوّل قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[2] .

﴿ قلت ﴾ : عن عبد الرّحمن بن أبي الزّناد ، عن أبيه ، قال : اجتمع عند الحجَر مُصْعب ، وعُرْوَة ، وعبد الله بن الزّبير ، وعبد الله بن عُمر ، فقالوا : تمنّوا ، فقال عبد الله بن الزّبير : أمّا أنا فأتمنّى الخلافَة ؛ وقال عُرْوَة : أمّا أنا فأتمنّى أن يؤخذ عنّي العِلْم ؛ وقال مُصْعب : أمّا أنا فأتمنّى إِمْرَةَ العِرَاق ، والجمع بين عائشة بنت طَلْحة وسكينة بنت الحسن بن على بن أبي طالب ؛ وقال عبد الله ابن عمر : أما أنا فأتمنّى المغفرة . فنال كُلّ واحد منهم ما تمنّى ، ولعلّ ابن عمر قد غُفِر له .

وروى أنّ مَرْوان بن الحكَم دخل في نَفَرٍ على عبد الله بن عمر

---

(١) من الإصابة ٢ : ٢٤٠ ؛ وفي الأصول : « درهم » .

(٢) آل عمران ، الآية ٨٦

بعد ما قُتِل عُثمان ، فَعَرضوا عليه أن يُبايِعُوا له ؛ قال : كيف لى بالنّاس ؟ فقالُوا : تُقاتِلُهم [ونُقاتِلُهم معك][1] ، فقال : والله لو اجتمع عَلَىَّ أهل الأرض إلا أَهْل فَدَك ما قاتلتُهم . فخرجوا من عنده ومَرْوان يقول :

والمُلْكُ بعد أبى لَيْلَى لمنْ غَلَبَا[2]

﴿ قال ﴾ : غزا عبدُ الله إفريقيَّة مَرَّتين : الأولى مع عبد الله بن سَعْد ابن أبى سَرْح ؛ والثانية مع مُعاوية بن خُدَيْج سنة أرْبَعٍ وثلاثين ؛ وَفى هذه السّنَة / ماتت بُنَيّة له من أمّ وَلَد ، فدَفنها بباب سَلَمَ الآن ، فلمّا خُطّت القَيْرَوَان اتّخِذَت تلك البُقْعَة مقبرةً من ذلك الوقت ، وسُمِّيت مَقْبرة قُرَيْش بتلك الصَّبِيَّة . ذكر ذلك كلّه أبو العَرَب محمّد ابن أحمد بن تَميم[3] ، وغيره من أهل العلم بالتاريخ .

١ : ٧٣

﴿ قال ﴾ : حدّثنا الشّيخ الصّالح أبو محمد عبد السّلام بن عبد الغالب الصُّوفى ، قال : أخبرنا أبو الحسن على بن أبى الكرم بن البنّاء ، قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرّحمن بن محمّد الدّاودى ، أخبرنا عبد الله

---

(١) تكملة من الاستيعاب .

(٢) تكنى العرب بأبى ليلى عن العاجز من الرجال عن القيام بالأمر . والبيت قديم ، وصدره :

* إنِّى أرى فتنةً تَغْلِي مَرَاجلُها *

انظر ابن قتيبة : المعارف ٣٥٢ ؛ المسعودى : التنبيه والإشراف ٣٠٧

(٣) طبقات علماء إفريقية ١٨

ابن أحمـــد بن حمويْه ، أخبرنا محمّد بن يوسف الفَرَبْرى ، أخبرنا البُخارىّ[١] ، قال : حدّثنا علىّ بن عبد الله ، حدّثنا محمد بن عبد الرّحمن أبو المُنْذِر الطُّفاوىّ ، عن الأعمش ، قال : حدّثنا مُجَاهِد ، عن ابن عُمر رضى الله عنهما ، قال : أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلم بمَنْـكِبِى ، فقال : كُن فى الدّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سَبيل .

وكان ابن عُمر يقــول : إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصّباح ، وإذا أَصبحتَ فلا تنتظر المساء ، وخُذْ من صحّتك [لمرضِك][٢] ، ومن حياتك لموتك .

وتوفِّى بمكَّة سنة ثلاث وسَبْعين ، وهو آخر من مات بها من الصَّحابة ؛ وصلَّى عليه الحجّاجُ بن يُوسِف ، ودُفن بذى طُوَى ، وهو ابن ستٍّ وثمانين سنة .

﴿ قلت ﴾ : وكان قد كفَّ بصرُه وأوصى أن يدفن فى الحِلّ ، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجّاج بن يُوسف ، فدُفن بمقبرة المهاجرين بذى طُوَى . وقيل صلَّى عليه عبد الرّحمن بن عَوْف . وقيـــل توفِّى وهو ابن أربع وثمانينَ سنة ، ويقال سَبْع .

---

(١) الجامع الصحيح ، (كتاب الرقاق) ٨ : ٨٩

(٢) فى الأصول : « لسقمك » .

١ : ٧٤

/ ومنهـــــم :

٥ ● أبو ذَرّ الغِفَارِىّ [(١)] ، رضى الله عنه

﴿ قال ﴾ : اسمُه جُنْدُب بن جَنَادَة ، غلبت عليه كنيته .

﴿ قلت ﴾ : ماذكر من أنّ اسمه جُنْدُب هو أشهر الأقوال الثّلاثة ، وقيل جُنْدُب بن عبد الله ، وقيل جنــدب بن سكن . وأُمّه رَمْلَة بنت الوقيعة من بنى غِفَار أيضا .

﴿ قال ﴾ : كان أبو ذَرّ من كبار الصَّحابة وأفاضلهم ، قديم الإسلام ؛ وروى عنه أنه قال : كنت رابعَ الإسلام ، أسلم قبلى ثلاثة ، وأنا الرّابع .

﴿ قلت ﴾ : وقيل أنّه أسلم بعد أَرْبَعَة .

﴿ قال ﴾ : روى عبــد الله بن الصَّامت قال ، قال لى أبو ذَرّ : يابن أخى ، صَلَّيتُ قبل الإسلام بأربع سنين . قال ، قلت من كنتَ تعبد ؟ قال : إله السّماء . قلت : فأين كانت قبلتك ؟ قال : حَيْثما وجّهنى اللهُ .

---

(١) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ٢١٤ ، ٤ : ٦٢ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٤٧ ؛ ابن حجر : الإصابة ٤ : ٦٣ ؛ تهذيب التهذيب١٢ : ٩٠ ؛الذهبي : تذكرة الحفاظ ١ : ١٧ ؛ سير أعلام النبلاء ١ : ٣٠١ ؛ ابن الأثير :أسد الغابة ١ : ٣٠١ أبو نعيم : حلية الأولياء ١ : ١٥٦ ـ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ٢٢٩

أَسْلَمَ بمكة ثمّ رجع إلى قومه فأقام معهم حتى مضتْ بدرٌ وأُحُد والخَنْدَق ، ثمّ قَدِم على النّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم وصَحِبَهُ إلى أن مات .

﴿ قلت ﴾[1] : وله فى إسلامه خَبَرٌ حسن عن ابن عبّاس رضى الله عنهما ، قال : لمَّا بلغ أبَا ذَرّ مبعثُ النّبىِّ صلَّى الله عليه وسلم بمكّة قال لأخيه أنيس : اركب إلى هذا الوادى واعلم لى عِلْم هذا الرّجل الّذى يزعم أنّه يأتيه الخبر من السَّماء ، واسمع من قوله ثمّ ائتنى . فانطلق حتّى قدم [مَكَّةَ] وسمع من قوله ، ثمّ رجع إلى أبى ذَرّ ، فقال : رأيتُه يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت كلامًا ماهو بالشّعر ، قال : ما شفيتَنى فيما أردتُ ، فتزوَّدَ وحمل شَنَّة[2] له فيها ماء ، حتّى قدم مَكَّةَ ، فأتى المسجد فالتمسَ / النّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو لا يعرفُه ـ وكَرِهَ أن يسأل عنه ، حتّى أدركه اللّيل فاضطجع ، فرآه علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال : كأنَّ الرّجل غريب ؟ قال : نعم ، قال : انطلِقْ إلى المنزل ، قال : فانطلقت معه لا يَسْأَلُنى عن شىء ولا أسألهُ ، قال : فلمَّا أصبحت من الغَدِ ، رَجَعْت إلى المسجد فبقيت يومى حتّى أَمْسيت ، وصِرْت إلى مضجعى ، فمرَّ بى علىّ ابن أبى طالب فقال : أما آن للرَّجل أن يَعْرف منزلَه ؟ فأقامنى وذهب بى معه ولا يسأل واحدٌ منَّا صاحبَه عن شىء ؛ حتَّى إذا كان

١ : ٧٥

(١) نقل ابن ناجى هذا الخبر بنص ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤ : ٦٢

(٢) الشنة : القربة

اليوم الثالث فعل مثل ذلك ، قال : فأقامنى علىّ معه ، ثم قال لى : ألا تحدّثنى ما الّذى أَقْدَمَكَ هذا البلد ؟ قال : إن أعطيتنى عهداً وميثاقاً لترشدنى فعلتُ ، ففعل ، فأخبره علىٌّ أنَّه نبىٌّ ، وأنَّ ما جاء به حقّ ، وأنَّه رسول الله ؛ فإذا أصبحتُ فاتبعنى [فإنّى إن رأيتُ شيئاً أخاف عليك ، قُمتُ كأنّى أريقُ الماء ، فإن مَضيتُ فاتبعنى][1] حتّى تدخل معى مَدْخلى ، قال : فانطلقت أَقْفُوه حتّى دخل على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ودخلتُ معه ، وحيّيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بتحيّة الإسلام ، فقلتُ : السّلام عليكَ يا رسول الله ـ فكنت أوّل من حيَّاه بتحيّة الإسلام ـ فقال : وعليك السّلام ، من أنت ؟ قلتُ : رَجُلٌ من بنى غِفَار ، فعرض علىَّ الإسلامَ فأسلَمْتُ وشهدت أن لا إله إلّا الله وأن محمّدًا رسول الله ؛ فقال لى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ارجع إلى قومك فأخبرهم ، واكْتم أمرَكَ عن أهل مكّة فإنّى أخشاهم عليك ؛ فقلتُ : والّذى نَفْسى بيده لَأُصَوِّتَنَّ / بها بين أظهرهم ، فخرج حتّى أتى المسجد فنادى بأعلى صَوْته : أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله ؛ فثار القوم إليه فضربوه حتّى أضجعوه ، [وأتى][2] العبّاس فأكبّ عليه وقال : وَيْلَكم ، ألستم تعلمون أنَّه من غِفَار ، وأنَّ طريق تجارتكم إلى الشَّام عليهم ؟ فأنقَذَه منهم . ثمّ عاد من

١ : ٧٦

---

(١) من الاستيعاب ، وقد سقطت من الأصول سهواً من النساخ .

(٢) من الاستيعاب ، وفى الأصول : « فنادى » .

الغد إلى مثلها ، وثاروا إليه فضربوه ، فأكبّ عليه العبّاس فأنقذَهُ ، ثم لِحَق بِقَوْمِه .

فكان هذا أوّل إسلام أبى ذَرّ رضى الله عنه .

﴿قال﴾ : وكان يقول : إنّى لأقربكم مجلسًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وذلك أنّى سمعت رسول الله يقول : إنّ أقربكم منّى مَجْلسًا يوم القيامة من خرج من الدّنيا كهيئة ما تركتُه فيها . وإنّه والله ما منكم من أحد إلاَّ وقد تَشَبَّثَ منها بَشىء ، غيرى .

وقال عليه الصَّلاة والسّلام : ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغَبْراء أصدقَ لهجةً من أبى ذَرّ .

وقال عليه الصّلاة والسّلام : أبو ذَرّ فى أُمَّتِى ، على زُهْد عيسى ابن مَرْيم .

وقال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه : وَعَى أبو ذَرّ علماً عجز عنه الناس ؛ ثمّ أَوْكَأَ(١) عَلَيْه فلم يُخرج منه شَيْئاً .

﴿قلت﴾ : روى إبراهيم بن الأشتر ، عن أبيه ، عن أبى ذَرّ ، قال : كان قُوتى على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صاعاً من تمْر ، فلست بزائِد عليه حتّى ألقى الله عزّ وجل .

---

(١) أوكأ : ربط

﴿ قال ﴾ : وقال أبو بكر المالكيّ[١] : شهد أبو ذَرّ غزوَ إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد بن أبي سَرْح / مشاهِدَهَا كلَّها .

١ : ٧٧

﴿ قال ﴾ : حدّثنا أبو الحسن على بن هبة الله الشّافعى ، أخبرنا أبو القاسم علىّ بن أحمد المقرى ، أخبرنا أبو نُعَيْم الحافِظ[٢] ، حدّثنا [عبد الله بن] محمد ابن جَعْفر ، حدّثنا الحسين بن علىّ بن هُذَيْل الواسطىّ] والطوسى ، [قالا] : أخبرنا محمدّ بن حَرْب ، حدّثنا يحيى بن أبى زكرياء الغَسّانى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن بديل بن مَيْسرة ، عن عبد الله بن الصّامت ، عن أبي ذَرّ الغِفَارىّ ، قال : أوصانى خَليلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بستّ : حبّ المساكين ، وأن أَصِلَ رَحِمِى وإن أدبرت ، وأن لا أسأل النّاس شيئًا ، وأن أنظر إلى من هو تحتى ولا أنظر إلى من هو فوْقى ، وأن أقول الحقّ ولو كان مُرًّا ، وأن لا تأخذنى فى الله لومةُ لائم .

وبإسنادنا إلى البُخارىّ[٣] ، قال : حدّثنا قُتَيبة بن سعيد ، حدّثنا جرير عن عبد العزيز بن رُفَيع ، عن زَيْد بن وَهْب ، عن أبى ذَرّ ، قال : خرجت ليلةً من اللّيالى فإذا رسول الله يمشى وحده ليس معه إنسان ، قال : فظننتُ أنّه يكْرَه أن يمشى معه أَحَد ، فجعلت أمشى فى ظلّ القمر ، فالتفَتَ فرآنى فقال : من هذا ؟ فقُلْت : أبو ذَرّ ، جعلنى الله فداءك ، قال : يا أبا ذَرّ تعالَ ، قال فمشيتُ معه ساعةً ، فقال : إن المُكْثِرِينَ هم المُقِلّون

(١) الرياض ١ : ٤٧ ؛ مع اختلاف فى التعبير .
(٢) حلية الأولياء ١ : ١٥٩ ، وعنها صوبت السند
(٣) الجامع الصحيح (كتاب الرقاق) ٨ : ٩٤ ؛ وهو حديث طويل رواه الدباغ مختصراً

يوم القيامة إلاّ من أعطاه الله [خيْرا][(١)] فنفح فيــه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه [وعمل] فيه خَيْرًا .

وتوفّى أبو ذَرّ رضى الله عنه بالرَّبَذَة سنة اثنَتَيْن وثلاثين ؛ وصلّى عليه ابنُ مَسْعود رضى الله عنْه .

﴿ قُلتُ ﴾ [ذكر على بن المدينى ، قال : أخبرنا يحيى بن سليم ، قال : حدّثنى عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، عن مُجاهِد ، عن إبراهيم بن][(٢)] الأَشْــتَر ، عن أبيه ، عن أمّ / ذَرّ ــ زوجة أبى ذَرّ ــ قالت : لما حَضرت أبا ذَرّ الوفاةُ ، بكيتُ . فقال لى : ما يبكيك ؟ فقلتُ : ومالى لا أبكى وأنتَ تموتُ بفَلاةٍ من الأرض ، وليس عنــدى ثوب يسعك ــ لى ولا لك ــ ولا طاقة لى بجهازك[(٣)] . قال : لا تبكى وأبشرى ، فإنّى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول[(٤)] لنَفَرٍ ــ أنا فيهم ــ : ليموتَنّ رجلٌ منــكم بفَلاةٍ من الأَرْض يشهده عصابة من المُؤْمنين . وليس من أولئك النّفر أحدٌ إلاّ وقد مات فى قريةٍ وجَماعة ، فأنا ذلك الرَّجل ، والله ما كذبتُ ولا كُذِبت ، فأبصرى الطَّريق ، فقالت : أنَّى وقد ذهب

١ : ٧٨

(٢) عن الجامع الصحيح ، وفى الأصول : « مالا » .

(٢) من الاستيعاب ؛ وقد جاء هذا السند فى الأصول : « عن ابن نعيم عن الأشتر . . . الخ » وفى الرياض ١ : ٤٧ : « عن إبراهيم بن أسيد عن أبيه » [ويلاحظ تصحيف الأشتر إلى أسيد] ، والخبر بسنده منقول عن ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ٢١٥

(٣) الاستيعاب : « ولا يد لى للقيام بجهازك » .

(٤) سقط من النص الجملة التالية ، ــ وهى ساقطة من الرياض أيضاً ــ : « لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا . وقد مات لنا ثلاثة من الولد ؛ وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول » لنفر . . . الخ .

الحاجُّ وانقطعت[١] الطَّريق ؟ قال : اذهبى فتبصَّرى ، قالت : فكنت أشتدّ إلى الكثيب ، فأنظر ثم أرجع إليه فأُمَرّضه ، فبينما هو وأنا كذلك ، إذا أنا برجال على رحالهم كأنهم الرُّخم تحثّ[٢] بهم رواحلُهم ، فأسرعوا إلىّ حتى وقفوا علىّ ، فقالوا : يا أَمَة الله ، مالك ؟ فقلت : امرؤ من المسلمين يموت ، تكفّنوهُ ؟ قالوا : من هو ؟ قلت : أبو ذَرّ ، قالوا : صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ ! قلتُ : نعم . قالت : فَفَدّوه بآبائهم وأمّهاتهم وأسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه ، فقال لهم : أبشروا ، فإنّى سمعت رسول الله يقول لنَفَرٍ أنا فيهم . ليموتنَّ رجلٌ منكم بفلاةٍ من الأرض تَشهده عصابةٌ من [المؤمنين][٣] ، وليس من أولئك النّفر أحدٌ إلاّ وقد هلك فى [قَرْيةٍ][٤] وجماعة ؛ ما كَذِبْت ولا كُذبت ، ولو كان عندى ثوبٌ يَسَعُنى — لى أو لامرأتى — لم أُكفَّن إلاّ فى ثوب هو لى أَوْلَها ، وإنى أنشدكم الله أن لا يكفّننَى رجلٌ منكم كان أميرًا أو عريفًا / أو بريدًا أو نَقيبا ؛ وليس من أولئك النفر أحد إلاّ وقد قارفَ بَعْضَ ما قال ، إلاَّ فتًى من الأنصار ، قال : ياعمّ ، أنا أُكفّنك فى ردائى هذا أو فى ثَوْبين فى عَيْبَتى من غَزْل أمّى ، قال : أنتَ تكفّننى . قالت : فكفَّنه الأنصارىّ وغسله فى النّفر الذّين حَضَروه ، وصلّوا عليه ودفنوه رضى الله عنه ، وعنهم أجمعين .

١ : ٧٩

(١) الاستيعاب : « تقطعت » .

(٢) فى الرياض : « تجد » .

(٣) الاستيعاب والرياض ؛ وفى الأصول : « المسلمين » .

(٤) الاستيعاب والرياض ؛ وفى الأصول : « نفر » .

ومنهـــــم :

٦ ● أبو عبد الله ، عَمْرو بن عَوْف المُزَنِيّ[١]

وهو جدُّ كَثِير بن عبد الله بن عَمرو بن عَوْف .

﴿ قال ﴾ : هو من أهل الصُّفَّة ، قديمُ الإسلام .

﴿ قلت ﴾ : يقال إنّه قَدِم مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ . ويقال إنَّ أوّل مشاهده الخَنْدق . وله مَنْزل بالمدينة ، ولا يعلم حَيٌّ من العرب لهم مَنْزل[٢] بالمدينة غير مُزَيْنَة .

﴿ قال ﴾ : ممّن صلّى مع النّبي صلى الله عليه وسلّم القِبْلَتَيْن ، وهو أحد البَكّائين الذّين قال الله تعالى فيهم ﴿ تولَّوْا وأَعْيُنهم تفيضُ من الدَّمْع حَزَنًا ألاَّ يجدوا ما يُنْفِقون ﴾[٣] .

غزا إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح ؛ قاله أبو العرب.[٤] فسكن المدينةَ ومات بها فى آخر خِلافة مُعاوية رضى الله عنه .

حدثنا أبو الحسن علىّ بن هبة الله الشّافعى الخطيب ، قال : حَدّثَتْنا

---

(١) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٤/٢ : ٧٩ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ١٢٤ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٩ ؛ تهذيب التهذيب ٨ : ٥٨ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ٣٣ . وورد اسمه فى ش و ع محرفا الى « عثمان بن عوف » .

(٢) فى ش : « مجلس » .

(٣) التوبة ، آية ٩٣

(٤) طبقات علماء إفريقية ١٧

شَهْدَة بنت أحمـد بن أبى الفرج الأبرى ، قالت : أخبرنا أبو الفتح أحمد بن محمد الأصبهانى ، قال : أخبرنا إسماعيل بن نيال[١] المَرْوَزِىّ ، قال : حدّثنا [محمّد][٢] بن أحمد بن مَحْبُـوب ، قال : حدّثنا أبو [عيسى][٣] التِّرْمِذِىّ[٤] ، قال : / حدّثنا عبد الله بن عبد الرّحمن ، ١ : ٨٠ قال : حدّثنا إسماعيل بن [أبى] أُوَيْس ، قال : حدّثنـا كَثير ابن عبد الله بن عَمْرو بن عَوْف المُزَنىّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : إنَّ [الدِّين][٥] بدأ غَريبًا وَيرْجع غريبا ، فطوبَى للغُرباء الّذين يُصلحون ما أفسد النّاس [من] بعـدى من سُنَّتِى .

﴿ قلت ﴾ : وخرَّج عنـه البخارىّ[٦] ، فذكر عن إسماعيل ابن [أبى] أُوَيْس ، عن كَثير بن عبد الله بن عَمْرو بن عَوْف المُزَنىّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : كُنَّا مع النَّبىّ صلى الله عليه وسلم [حين][٧] قدم المدينة ، فصلَّى نحو بَيْت المَقْدِس سَبْعة عشر شَهْرًا .

---

(١) كذا فى الأصول ، وسماه ابن العماد : شذرات الذهب ٣ : ٢١٩ « ينال » .
(٢) محرف فى الأصول الى : « أحمد بن أحمد » .
(٣) محرف فى الأصول إلى : « أبو على » .
(٤) صحيح الترمذى . كتاب الإيمان (باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبا) ١٠ : ٩٦ .
(٥) فى الأصول : « الإسلام » .
(٦) خرجه البخارى فى التاريخ الكبير قسم ٢ الجزء ٣ : ٣٠٧ ؛ وتعبير ابن ناجى ينصرف إلى الجامع الصحيح .
(٧) فى الأصول : « حتى » .

ومنهـــــم :

٧ ● سَلَمة بن [عَمْرو] بن الأَكْوَع الأَسْلَمِيّ[١]

هكذا قال أبو عمر بن عبد البرّ . والأَكْوَع هو سِنان بن عبد الله ابن قَيْس بن أَسْلَم بن أَفْصَى .

﴿ قال ﴾ : كنيته أبو مُسْلِم .

﴿ قلت ﴾ : ماذكره هو أحد الأقوال الثّلاثة ، وقيل أبو عامر ، وقيل أبو إياس ؛ وبه قال الأكثر ، كُنِيَ بابنه إياس .

﴿ قال ﴾ : كان ممّن بايع رسول الله صلَّى الله عليه وسلم تحت الشَّجرة .

﴿ قلت ﴾ : روى[٢] عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عُبَيدة ، عن إياس بن سَلَمة بن الأَكْوَع ، عن أبيه ، قال : بينا نحن قائلون ، نادى منادٍ : أيُّها الناس ، البيعةَ البيعةَ ، فثُبْنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشَّجرة فبايَعْناه ؛ فذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[٣] .   ١ : ٨١

---

(١) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٤ قسم ٢ : ٣٨ — ؛ مسلم بن الحجاج : الكنى والأسماء ٩٤ ب ؛ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/١ : ١٦٦ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٨٥ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٢ : ٣٣٣ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٦٥ ؛ الخزرجي : الخلاصة ١٢٦ ؛ النووي : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٢٩

(٢) الاستيعاب ٢ : ٨٧

(٣) الفتح ، آية ١٨

﴿قال﴾ : وهو الّذى كلّمه الذِّئْب ؛ رُوِىَ عنه أنَّه قال : رأيت ذِئْبًا أخذ ظَبْيا ، فطلبته حتَّى نزعْتُه منــــه ، فقال : وَيْحك ! مالى ولك ؟ عمدتَ إلى رزقٍ من رزق الله رَزَقنيه ، ليس من مالك ، نَزَعْتَه منِّى ! قال ، قلت : عبادَ الله ، هذا العجب ! ذئبٌ يَتَـكلَّم ! قال الذِّئب : وأعجب من هذا أنَّ النَّبىَّ صلَّى الله عليه وسلَّم فى أصول النَّخْل يدعوكم إلى عبادة الله ، وتأبون إلَّا عبادة الأوثان . قال : فلحقت بالنَّبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم فأسْلَمت .

﴿قلت﴾[١] : ذكر ذلك ابن إسْحاق ، بعد ذكر رافع بن عُمَيرة الّذى كَلَّمه الذِّئب .

﴿قال﴾ : وكان سَلَمة خَيِّرًا فاضِلًا ، وشجاعًا راميًا . وقال ابنــه إياس : ما كَذِبَ أبى قَطّ .

﴿قلت﴾ : يعنى فى عِلْمِه ، أَوْ سمع ذلك من أبيه .

﴿قال﴾ : وغَزَا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم [سبع][٢] غزوات ، ومع أبى بكر وزَيْد بن حارثة تسع[٣] غزوات .

﴿قلت﴾ : يعنى خَرج معهما فى زَمَنه عليــه الصّلاة والسَّلام مع

---

(١) استدراك ابن ناجى هــذا هو نص ابن عبد البر . انظر الاستيعاب ٢ : ٨٦ . وقد سقطت هذه الفقرة من ش .

(٢) زيادة من الاستيعاب .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى الاستيعاب « سبع » .

البُعوث . وروى ابنُه إياس عن أبيه عن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلم أنَّه قال : خير رجالتنا سَلَمَة بن الأكْوَع .

﴿ قال ﴾ : وغزا سَلَمَة إفْريقيَّةَ ـ فيما قاله [أبو] سعيد بن يونس وغَيْره ـ مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح .

حدّثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحنفى ، قال : حدّثنا محمد ابن على بن سَرايا ، قال : أخبرنا أبو الوَقْت عبد الأوَّل بن عيسى ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن محمّد بن المظفَّر ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد ، قال : أخبرنا محمد بن يوسف ، قال : أخبرنا محمّد ابن إسماعيل البُخارىّ[1] ، قال : أخبرنا/ [أبو عاصِم][2] عن [يزيد][3] ابن أبى عُبَيْد ، عن سَلَمَة ، قال : بَايَعْتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم عدت إلى ظلِّ شجرة ، فلما خفَّ النَّاس قال : يا ابن الأكوع ، ألا تُبَايع ؟ قلت : قد بايعت يارسول الله ، قال : وأيضاً ، فبايعْتُه الثَّانية . فقلت :[4] ياأبا مسلم ، على أيِّ شيء كنتم تُبايعون يومئذ ؟ قال : على المَوْت .

١ : ٨٢

(١) الجامع الصحيح . كتاب الأحكام ٤ : ٤٠٣

(٢) فى ط : « مكى بن إبراهيم » ، وفى ش : « بكير بن إسماعيل » والتصويب عن صحيح البخارى .

(٣) فى الأصول : « زيد » . انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١ : ٣٤٩

(٤) رواه البخارى عن عبد الله بن مسلمة عن حاتم بن يزيد . (كتاب الأحكام) ٤ : ٤٠٢

وبهـذا الإسناد عن يزيد بن أبى عُبَيد، قال : رأيتُ أثَر ضربةٍ فى ساقِ سَلَمَة ، فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه ؟ قال : هى ضَرْبة أصابتْنى يوم خَيْبَر ، فقال النَّاس : أُصيب سَلَمَة ، فأتيت النَّبىَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فَنَفَثَ فيها ثلاثَ نفثات ، فما اشتكيتُها حتَّى الآن .

وَعَمَّرَ سَلَمَة عمرًا طويلا ، قيل ثمانين سنة ، وقيل غير ذلك .

سَكَنَ الرَّبَذَة ، وتُوفِّى بالمدينة سنة أربع وَسَبْعِين .

﴿قلت﴾ : روى عَنْه ابنُه إياس ، ومولاه يَزيد بن أبى عُبَيْد ، وروى عنه يزيد بن خُصَيْفة .

ومنهـم :

٨ ● أبو زَمْعَة ، عُبَيد [بن أَرْقَم] البَلَوِىّ[1]

غَلَبَتْ عليه كُنْيَتُه .

﴿ قال ﴾ : شهد بيعةَ الرِّضوان ، وبايَع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تَحْت الشَّجرة ، وشهد فَتْح مِصْر ، وغزا إفريقيَّة مع مُعاوية

---

(١) فى الأصول : « عبيد الله بن آدم » و« عبيد بن آدم » ؛ وقد ورد اسمه مضطرباً فى كتب الصحابة ؛ فترجمه ابن الأثير فى جعفر (أسد الغابة ١ : ٢٨٦) وفى عبد ــ غير مضاف إلى اسم الله ــ (أسد الغابة ٣ : ٣٣٦ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٤٢٥) وفى عبيد بن أرقم (أسد الغابة ٣ : ٣٤٦ ؛ الإصابة ٢ : ٤٣٤) . وترجمته فى قسم الكنى : أسد الغابة ٥ : ٢٠٠ ؛ الإصابة ٤ : ٧٧ ؛ الاستيعاب ٤ : ٨١ ؛ الذهبى : التجريد ٢ : ١٧٩ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/٢ : ٣٧٢

ابن خُدَيْج سنة أربع وثَلاثين ، ومات بالقَيْروان ودفن بها بالبُقْعَة التى تُعرف الآن بالْبَلَوِيَّة ؛ سُمِّيت به من ذلك الوقت . وأمرهم أن يستروا[1] قَبْره ، ودَفَن معه قَلَنْسُوَته [وَ] فيها من شَعْر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . ذكره الشَّيخ أبو/القاسم ، عبد الرَّحمن بن محمّد بن رَشيق[2] ، فى كرامات أهل إفريقيَّة .

١ : ٨٣

﴿ قلتُ ﴾ : ونعْرف من حِفْظى أنّه كان فيها ثلاث شعرات ، وأنّه أَوْصَى أن تُعْمَل شعرة على عينه اليُمنى ، وشعرة على عينه اليُسرى ، وشعرة على لِسانه .

﴿ قال ﴾ : ولم يَثْبت أَنَّ أحدًا مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ودُفِن بالمغرب سواه .

﴿ قلتُ ﴾ : وقد تقدَّم .

﴿ قال ﴾ : وأبو زَمْعَة قائد أهْل المغرب ونورُهم يوم القيامة ، لقول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما من أحدٍ من أصحابى يموت بأرضٍ إلَّا بُعِث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة .

قال أبو العرب[3] : وحدثنى بعضُ أصحابنا أن بعض الصَّالحين

---

(١) فى ش : « يميزوا » ؛ وفى فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ٣٠٥ ، وطبقات أبى العرب ١٧ : « فأمرهم أن يسووا قبره بالأرض » .

(٢) المعالم ٣ : ٢٣١

(٣) لم يرد هذا النص فى مختصر طبقاته ؛ ولعله من نصوص الأصل .

رأى نورًا فى ليالى متعدِّدة صاعداً من ذلك الموضع إلى السماء .

وقبر أبى زمعة : الغالب والأصح أنه معيّن فى البلويّة ، فإنَّ هناك سَارِيَة يقول كثيرٌ من الصَّالحين أنَّها عَلَم على قبره ، إمَّا بمنامات[1] رَأَوْها ، أو بأنوار يرونَها عليها ؛ ويذكرون أنَّهم يَرَوْنَ عليها طائراً يأوى إليها لا يراه إلَّا الأولياء ، فلا يقدرون على القُرْب منها حتى يطير عنها ؛ والله أعلم .

وقال أبو العرب[2] : حدَّثنى بعضُ أصحابنا ، أنَّه حضر [حَفْرَ] قبرٍ بالبَلَوِيَّة ، لحفروا فى أرض شديدةٍ لم يحسبوا أنَّ أحدًا حفر فيها ، فظهروا على رجل مدفونٍ لم يتغيّر منه شىء فظنُّوا أنَّه أبو زَمْعَةَ صاحب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

﴿ قلتُ ﴾ : إلى غير ذلك ممَّا يحكى عن الصَّالحين وغيرهم من إجابة الدُّعاء فى ذلك المَوْضع ؛ فَجُدِّدَ قَبْرُه ـ رضى الله عنه ـ حيثُ تلك السَّارية ، وبُنِيَتْ عليه قُبَّة / مُثَمَّنَة الوَضْع ، وجُعل لها حَرَمٌ يَدُورُ بها من جِهَاتها الأَرْبع مُصَانٌ بالبناء وَالْغَلْق ؛ وَجُعِلَ فى تِلك الْقُبَّةِ ـ حيث كان العمود عند رأسه ـ لوحٌ من رُخام رُسم فيه اسمه

١ : ٨٤

(١) فى حاشية ش كتب التعليق التالى بخط كاتب النسخة : « قوله أما بالمنامات الخ . ويحتمل أن يكون بالنقل والتواتر كما هو فى زماننا هذا ، فإن بعض الصالحين لهم معرفة بقبور الأولياء دون غيرهم من العامة ، وذلك نقلوه عن سلف قبلهم وهكذا الى من يعرف صاحب ذلك القبر » .

(٢) طبقات علماء إفريقية ١٧

وَحُقِّقَ فيه أَنَّهُ موضع قَبْرِهِ رضى الله عنه ؛ وَكُتِبَ فيـه : هذا قَبْرُ أبى زَمْعَةَ الْبَلَوِىّ صاحب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ . إلى غير ذلك مما شَمِلَهُ اللَّوح(١) ، وليس لهم مُسْتَنَدٌ فى ذلك غير ماذكرناه ؛ وإنَّما لم يأمر الْعُلَمَاء بدفنهم فى مقـبرته خشيةَ مُصادفة قبره من جِهة احترامه ـ رضى الله تعالى عنه ـ وَخَوْفَ وُقوع الدَّفن عليه ، والله أعلم .

﴿ قال ﴾ : حدَّثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مَـكِّى الإسكندرىّ ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد [السِّلَفى](٢) ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمدّ بن أحمد الرّازى ، قال : أخبرنا أبو الفضل محمد ابن أحمد السّعدى ، قال : أخبرنا عبد الله بن محمد البَغَوِىّ ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا عُثمان بن صـــالح السّهمىّ ، أبو يحيى ، قال : حدثنا ابن لَهيعة ، عن عبيد الله بن المغـيرة ، عن أبى قيس(٣) مولى بنى جُمَح ، قال : سمعت أبا زَمْعة صاحب رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم وكان من أصحـاب الشَّجرة ، ممّن بَايَعَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تحتَها ؛ وأتى يوماً إلى مسجد الفُسْطاط وقد بلغه عن عبد الله ابن عُمَر التّشديد ، فقال : لا تشدّدوا على النّاس ، فإنّى سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : قتل رجل من بنى إسرائيل ثمان وتسعين نفساً ، ثم أتى / راهباً فقال : إنى قتلت ثمان وتسعين نفساً ، فهل تجد لى من ١ : ٨٥

---

(١) فى ز : « مما سلمه القوم » .

(٢) فى الأصول : « السلمى » .

(٣) كذا بالأصول ، وفى فتوح مصر وأخبارها ٣٠٥ ، أن أهل مصر رووا هذا الحديث من طريق ابن لهيعة عن ابن المغيرة عن أبى فراس عن أبى زمعة .

تَوْبة ؟ فقال : لا ، فقتله ؛ ثم ذهب إلى راهب آخر فقال له : إنّى قتلت تسعاً وتسعين نفساً ، فهل تجد لى من توبة ؟ فقال : لقد تحمَّلْتَ شرًّا ، ولئن قلتُ إن الله ليس غفوراً رحيماً لقد كذبْتُ ، فتُبْ إلى الله ، فقال : أمّا أنا فلا أفارقك بعد قولك هذا . فلزمه على أن لا يعصيه ، فكان يخدمه فى ذلك ، فهلك يوماً رجل ، فأكْثر [الثّناء عليه] ، فلما دُفن جلس على قبره فبكى بكاء شديداً ، فأنكر أصحابه ذلك ؛ ثم هلك آخر فذكر بخير ، فلّما دفن جلس على قبره فضحك ، فأنكر أصحابه ذلك ، واجتمعوا إلى رئيسهم وقالوا له : كيف تأوى قاتل النّفوس وقد صنع ما قد رأيت ؟ فوقع ذلك فى نفسه وأنفسهم وكانوا يزهدون فيه ، فأتى إلى صاحبهم حَزَنٌ من ذلك وهو مع صاحب له يكلّمه ، فقال له : ماذا تأمرنى به ؟ فقال له : اذهب فأوقد التَّنُّور ، ففعل ، ثم أتى يخبره أنه قد فعل ما أمره به ، فقال له : ألق نفسك فيها ، فلَها عنه الرَّاهب ، وذهب الآخر فألقى نفسه فيها ، ثم استفاق الرَّاهب فقال : إنى لأظنَّ الرَّجل قد ألقى نَفْسَهُ فى التنور بقولى ، فَذَهَبوا فوجدوه جالساً التّنور فعرق ، فأخذ بيده فأخرجه من التنور ، فقال له الراهب : ما ينبغى أن تخدمنى ، وإنما أكون أنا أخدمك ، أخبرنى عن بكائك عن الميت الأول ، وعن ضحكك من الآخر ، قال : أمّا الأول فلما دفن رأيت ما يلقى من الشرِّ ، فذكرت ذنوبى فبكيت ؛ وأما الآخر ، فلما دفن رأيت ما يلقى من الخير فضحكت ؛ وكان بعد ذلك من عظماء بنى إسرائيل .

رَوى عن أبى زَمْعة : أبو سالم الجَيْشانى ، وأبو فِراس مولى عمرو ابن العاص ، وأبو قَيْس مولى بنى جُمَح .

ومنهـــــم :

٩ ● أبو سَعيد ، المُسَيَّب بن حَزْن بن أبى وَهْب المَخْزُومِىّ(١)

أوّل اسمِ أبيه حاء مُهْمَلة مَفْتوحة ، ثمّ زَاىٌ ساكِنة ، ثمّ نون .

﴿ قال ﴾ : هو والدُ سَعيد بن المسـيّب . وكان ممّن بايع تحت الشَّجرة ؛ وشهد غَزْوَ إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح .

﴿ قلت ﴾ : وكان أبوه حَزْن من المُهاجرين ومن أشراف قُرَيش فى الجاهليّة ، وهو الّذى أخذ الحجَر من الـكعبة حتّى فرغوا من قواعد إبراهيم صلوات الله عَليه ، فما نَزَل الحجر من يده حتّى رجع مكانَه .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم لِحَزْن : ما اسْمُك؟ قال : حَزْن ، فقال له رسول الله : بل أنت سَهْل ، فقال : لا أغيِّر اسماً سمَّانى به أبى(٢) . قَال ولدُه سـعيد بن المسيّب الفقيه : فما زالت تلك الحُزُونَة تعرفُ فينا حتّى اليوم . وكان هاجر مع أبيه حَزْن .

---

(١) ترجمه ابن ماكولا : الاكمال ١ : ٢٠٤ أ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ٥٦ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ : ٤٢١ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤ / ١ : ٢٩٢ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٤٠٠ ؛ تهذيب التهذيب ١٠ : ١٥٢ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٣٦٦ . وورد اسمه فى ش ، ط ، م « أبو سعيد بن السيب » خطأ .

(٢) فى ش : « اسمتق به أمى » .

﴿ قال ﴾ : حدّثنا أبو الفَضْل محمّد بن أحمد، أخبرنا أبو المُهاجر سَعيد بن الحسن المأمونيّ، أخبرنا محمّد بن الفَضْل الصّاعِدى ، أخبرنا عبد الغافر بن محمّد الفارسيّ ، أخبرنا أبو أحمد محمّد بن عيسى الجلُوديّ ، أخبرنا إبراهيم بن محمّد ، عن سُفيَان ، / حدثنا مُسلم بن الحجّاج[1] ، حدثنا حَرْملة بن يَحْيى التُّجيبّي ، حدثنا عبدُ الله بن وَهْب ، حدَّثنا يونُس ، عن ابن شِهاب ، قال : أخبرنى سعيدُ بن المسيَّب ، عن أبيه ، قال : لما حَضَرَتْ أبا طالب الوفاةُ ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلّم فوجد عنده أبا جَهْل وعبد الله بن [أبى] أُمَيَّة بن المُغيرة ، فقال رسول الله : يا عَمِّ ، قل لا إلٰه إلاّ الله ، كلمةً أشهدُ لك بها عند الله . فقال أبو جَهْل وعبد الله بن [أبى] أُمَيَّة : يا أبا طالب ، أترغبُ عن مِلَّة عَبد المطَّلب ؟ قال : فلم يزَلْ رسول الله - صلّى الله عليه وسلَّم - يَعْرِضُها عليه ، ويُعيدَانِ له تلك المَقالَة ، حتّى قال أبو طالب آخر ما كَلَّمَهم : هو على مِلَّة عبد المطّلب ؛ وأبَى أن يقول لا إلٰه إلاّ الله ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : أما والله لأَستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنكَ ؛ فأنزل الله - عَزّ وجلّ - ﴿ ما كان للنَّبِيِّ والذّين آمنوا أَن يستْغفروا للمُشركين ولو كانوا أولى قُربَى من بعد ما تَبَيَّن لهم أنَّهم أصحابُ الجحيم ﴾[2] وأنزل الله تعالى فى أبى طَالب ﴿ إنّك لا تهدى

١ : ٨٧

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان . (باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت)
١ : ٥٤

(٢) التوبة ، آية ١١٣

من أَحْبَبْتَ ولكنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشاء وهو أَعْلَمَ بالمهتَدِين ﴾[١] .

ولم أقف للمسيّب على تاريخ وفاة .

ومنهـــــم :

١٠ ● أبو عبد الرّحمن ، جَرْهَد بن خُوَيلد الأَسْلَمىّ[٢]

هكذا قَال ، وماذَ كَرَه مِثلُه قَالَهُ الزّهرىّ . وقال غيرُه : جَرْهَد بن [رِزَاح][٣] بن عَدِىّ بن سَهْم الأَسْلَمِىّ . وجعل ابنُ أبى حاتِم[٤] : جَرْهد ابن خُوَيلد هـذا ، غير جَرْهد بن [رِزَاح][٥] ؛ قال ابن عبد البرّ[٦] : وهوَ غلط ، وهو رَجلٌ واحد من أَسْلَم .

١ : ٨٨

﴿ قال ﴾ : كان من أَهـل الصُّفَّة ، وشهد الحُدَيْبِيَة ، وبايع بيْعة الرِّضوان ؛ ثم شهد فتحَ إفريقيَة مع عبد الله بن سعد ؛ قاله أبو سَعيد ابن يُونس وغيره .

---

(١) القصص ، آية ٥٦

(٢) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ٢٥٧ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ١ : ٢٧٧ ؛ أبو نعيم: حلية الأولياء ١ : ٣٥٣ ؛ ابن حجر : الإصابة١ : ٢٦٧ ؛ تهذيب التهذيب٢ : ٦٩ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٥٤ ، وفيه حرفت نسبته إلى : « السلمى » . وهو من بنى أسلم بن أفصى . انظر ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٢٤٠ ؛ وفى ش و ع : « يزيد بن خويلد » .

(٣) فى الأصول « دراج » ، وصوبته عن الاستيعاب وهو أصل هذا النص . انظر أيضاً الجمهرة وأسد الغابة وتهذيب التهذيب .

(٤) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/١ : ٥٣٩

(٥) فى الأصول : « دراج » ، وقد أشار ناشر الجرح والتعديل إلى أن الاسم جاء فى أصل الكتاب هكذا : « دراح » ؛ مهملا ؛ ومن اشتباه حرف الدال بالراء فى الرسم القديم جاء التصحيف .

(٦) الاستيعاب ١ : ٢٥٨

حدّثنا أبو الفَضْل بن أحمد بن محمّد السَّعدىّ ، أخبرنا الحافِظ أبو طاهر أحمد بن محمّد الأصبهانىّ ، أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد الحدّاد ، أخبرنا أبو نُعَيم[1] أحمد بن عبد الله الحافظ ، قال : أخبرنا أبو بكر بن خَلّاد ، حدّثنا محمد بن [غالب ، حدّثنا القَعْنَبِىّ ، عن مالك بن أَنَس ، عن أبى النضر ، عن زَرْعَة بن] عبد الرّحمن بن جَرْهد ، عن أبيه ، قال : [كان] جَرْهَد من أصحاب الصُّفَّة ؛ وأنّه قال : جلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عندنا وفَخِذى مُنْكَشِفة ، فقال : أما علمتَ أن الفَخِذ عَوْرَة .

وتوفّى سنة إحدى وثلاثين .

ومنهم :

١١ ● أبو محمد ، فَضَالَة بن عُبَيْد الأنصارىّ الأَوْسى[2]

﴿ قال ﴾ : أوّل مَشَاهده أُحُد ، ثمّ شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وشهد فَتْح مِصْر وولى القضاء بها لمُعاوية .

وقال أبو سَعيد بن يُونس : دخل فَضَالة بن عُبَيْد إفريقيَّة غازياً مع رُوَيْفِع ابن ثابت الأَنْصارىّ ؛ ـ قال أبو عمر بن عبد البرّ : سنة سَبْع وأربعين[3] ـ ثم كرَّ راجعًا إلى دمشق فولى القضاء بها لمعاوية .

قيل [أنّ وفاتَه كانت سنة ثلاث وخمسين ، وقد قيل أنّه توفِّى فى آخر

(١) حلية الأولياء ١ : ٣٥٣ ؛ وعنها أكملت السند .

(٢) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ : ١٩٢ ؛ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٢٧٦ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٥٢ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ١٨٢ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٢٠١ ؛ تهذيب التهذيب ٨ : ٢٦٧ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣/٢ : ٧٧ ؛ أبو نعيم : حلية الأولياء ٢ : ١٧

(٣) الاستيعاب ١ : ٤٨٩ ؛ وقد استمد الدباغ هذا التاريخ من ترجمة رويفع وربط بينه وبين نص ابن يونس .

خلافة معاوية ، وقيل][1] أنّه مات سنة تسع وستين ؛ قال أبو عمر بن عبد البرّ : / والأوّل أصحّ إن شاء الله . ١ : ٨٩

﴿ قال ﴾ : ولمّا مات فَضَالة ، حمل مُعاوية سريرَه وقال لولده عبد الله : أعِنّي يابُنَيَّ ، فإنّك لا تحمل بَعْده مِثْلَه .

وحدثنا الشّيخ الصالح أبو محمد عبد السلام بن عبد الغالب الصّوفيّ ، قال : أخبرنا أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم ـ نزيل مَكة ، بها ـ قال : أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن أبي القاسم الكَرْخي ، قال : أخبرنا أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي ، قال : أخبرنا عبد الجَبّار بن محمد بن [أبي] الجَرّاح ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد [بن أحمد بن مَحبوب المروزي المَحْبُوبي][2] ، قال : أخبرنا أبو عيسى محمّد بن عيسى التِّرمِذِي[2] ، قال : أخبرنا العبّاس [الدُّوريُّ][3] ، قال : حدثنا عبد الله بن يَزيد المُقْرِىء ، قال : حدَّثنا حَيْوَة ابن شُرَيْح ، قال : أخبرنا أبو هانىء الخَوْلانيّ ، أن أبا عليّ عَمْرو بن مالك [الجَنْبِيَّ][4] أخبره عن فَضَالة بن عُبَيْدٍ أنّه سَمِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ للإسْلام ، وكان عَيْشُه كَفَافًا وقَنَعَ .
قال أبو عيسى : حديث حَسَن صحيح .

---

(١) ساقط فى الأصول وأكملته من أصله فى الإستيعاب .

(٢) صحيح الترمذى . كتاب الزهد ٩ : ٢١١ ؛ وفى الأصول : « الحوى » .

(٣) فى الأصول : « أبو العباس بن محمد الجزرى » .

(٤) فى الأصول : « الجهنى » .

ومنهـــــم :

١٢ ● أبو العبَّاس ، عبـد الله بن عَبَّاس بن عبد المطّلب ابن هاشِم[١]

﴿ قال ﴾ : وُلد قبل الهجرة بثلاثة أعوام فى الشِّعْب .

﴿ قلتُ ﴾ : وبَنُو هاشم محصورون قبل خروج بنى هاشم منـــه بسَنَتَين .

﴿ قال ﴾ : ومات النبيّ صلَّى الله عليـــه وسلَّم ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

﴿ قلت ﴾ : هذا قول الواقِدىّ . وَرُوِىَ عن ابن عَبَّاسٍ رضى الله / عنهما أنَّه قال : توفِّى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأنا ابن عَشْر سنين . وعن سعيد بن جُبَير رضى الله عنه ، عن ابن عبَّاس رضى الله عنهما ، أنه قال : توفِّى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأنا ابن خَمْس عشرة سنة . ١ : ٩٠

﴿ قال ﴾ : وروى أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم دعا له فقال :

---

(١) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٢/٢ : ١١٩ ؛ ابن عبد البر : الإستيعاب ٢ : ٣٤٢ ؛ ابن الأثير : أسد الغـابة ٣ : ١٩٣ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٣٢٢ ؛ تهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٦ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢ : ١١٦ ؛ مصعب الزبيرى : نسب قريش ٢٦ ؛ ابن الجوزى : صفة الصفوة ١ : ٣١٤ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٤ ؛ أبو نعيم : حلية الأولياء ١ : ٣١٤

اللهمَّ فَقِّهْهُ فى الدِّين ، وعَلِّمْهُ التأويلَ . فكان من العلماء بكتاب الله وبتفسيره وناسخه ومَنْسوخه ومُحْكَمه ، وعالمًا بالسُّنَّةِ .

﴿ قلت ﴾ : وفى حديث آخر : زِدْهُ عِلْمًا وَفِقْهًا . وفى حديث آخر : اللَّهُمَّ بارك فيه ، واجعله من عبادك الصَّالحين . وهى كلُّها أحاديث صحيحة .

﴿ قال ﴾ : وقال طاوس : ابنُ عَبَّاسٍ بَحْرُ العلم . وقال ابن مسعود : نعمَ ترجمان القرآن ابنُ عبّاس ، لو أدرك أَسْنَانَنا ماعاشره مِنَّا رَجُل . وقال طاوس : أدركت نحو خمس مئة رجل من أَصْحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، إِذَا ذَاكروا ابنَ عَبَّاس نخالفوه ، لم يزل يقرّرهم حتى ينتهُوا إلى قوله .

وروى مَيْمون بن مِهران أنَّه قال : شهدتُ جنازةَ عبد الله ابن عَبَّاس بالطَّائف ، فلمَّا وُضِعَ ليصلِّيعليه ، جاء طائر أبيض حتَّى دخل فى أكفانه ، فالتمس فلم يوجد ، فلمَّا سُوِّيَ عليه ، سمعنَا صوتًا ـ ولم نر شخصًا ـ وهو يقول : ﴿ يَٰأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1] . وكان طاوس رضى الله عنه يقول : مارأيت أَحَدًا أشدَّ تعظيمًا لِحُرْمة الله من ابن عبّاس ، واللهِ لو أنِّى إذْ ذَكَرْتُه أن أبكى لبكيتُ . ١ : ٩١

---

(١) الفجر ، آية ٢٧ ـ ٣٠

وقال ابن رجاء : كان هـذا الموضع من ابن عباس ـ يعنى مَجْرَى الدَّمع ـ كأنَّه الشِّراكُ البَالى .

﴿ قلت ﴾ : وروى شُرَيْك ، عن الأعْمَش ، عن أبى [الضُّحَى][1] ، عن مسروق أنه قال : كنتُ إذا رأيت عبد الله بن عَبَّاس قلتُ : أجمل النَّاس ، فإذا تكلَّمَ قلتُ : أَفْصَح النّاس ، وإذا تحدَّث قلتُ : أعلم النَّاس . وكانَ أصحابه يسمُّونه البَحْر ، ويسمُّونه الحِبْر .

وقال أبو عمرو بن العلاء : نظر الحطيئةُ إلى ابن عبَّاس فى مجلس عمر ابن الخطَّاب رضى الله عنه غالبًا عليه ، فقال : من هذا الذى برع النَّاس بعلمه ، ونزل عنهم بسنِّه ؟ فقالوا : عبد الله بن عبّاس ، فقال فيه أبياتًا ، منها :[2]

إنِّى وَجَدْتُ بَيَانَ ٱلْمَرْءِ نَافِلَةً
تهدى لَهُ ، وَوَجَدْتُ ٱلْعِيَّ كَالصَّمَمِ
وَٱلْمَرْءُ يَفْنَى وَيَبْقَى سَائِر ٱلْكَلِمِ
وَقَدْ يُلَامُ ٱلْفَتَى يَوْمًا وَلَمْ يُلِمِ

وفيه يقول حَسَّان بن ثابت رضى الله عنه[3] :

---

(١) محرف فى الأصول إلى « أبى الضحاك » وأبو الضحى هذا هو مسلم بن صبيح الهمدانى ، انظر تهذيب التهذيب ١٠ : ١٣٢

(٢) الاستيعاب ٢ : ٣٤٦ ؛ الإصابة ٢ : ٣٣٦ ، وليست فى الديوان .

(٣) البيتان ١ ، ٤ ليسا فى الديوان ، انظر ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ : ١٦٩ ؛ مصعب الزبيرى : نسب قريش ٢٧ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٣٤٦ ، وقد انفرد برواية البيت الرابع ؛ الصفدى : نكت الهميان ١٨١

إِذَا مَا ٱبْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُـــهُ
رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فَضْـــلَا
إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَـــالًا لِقَائِلٍ
بِمُنْتَظِمَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصْـــلَا
كَفَى وَشَفَى مَا فِي ٱلنُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ
لِذِى إِرْبَةٍ فِي ٱلْقَوْلِ جِـدًّا وَلَا هَزْلَا
خُلِقْتَ خَلِيقًا لِلْرَّوِيَّةِ وَٱلنَّـــدَا
فَلِيجًا ، وَلَمْ تُخْلَقْ كَهَامًا وَلَا جَبْلَا

١ : ٩٢ / ويروى أن مُعَاوية نظر إلى ابن عَبَّاس يومًا يتكلَّم ، فأتبعه بصره ، وقال متمثِّلا[1] :

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالاً لقـــائل
مصيب ، ولم يَثْنِ اللِّســانَ على هُجْرِ
يُصرِّفُ بالقَوْلِ اللِّسانَ إذا انتحى
وينظر فى أعطافه نَظَرَ الصَّقْرِ

وكان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قد عَمِىَ فى آخر عمره ، فقال[2] :

إن يأخـــذ الله من عينىَّ نورَهُما
ففى لســـانى وقَلْبى منهما نُورُ

---

(١) الاستيعاب ٢ : ٣٤٧ ؛ وينسبها ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ : ١٦٩ وابن عبد ربه : العقد الفريد ٢ : ٢٧٠ لمعاوية ، وفيهما :
إذا قالَ لم يَتْرك مَقالاً ولم يقف لعِيٍّ ....
(٢) الاستيعاب ٢ : ٣٤٨ ؛ نكت الهميان ٧١

قَلْبِي ذَكِيٌّ وعقلى غير ذى دَخَــلٍ
وفى فَمِي صــــارمٌ كالسَّيف مَأْثُورُ

وروى عنه أنّه قال : رأيت جبريل عند النبيّ صلى الله عليه وسلّم مَرَّتين ، ودعا لِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرَّتين ؛ وأنه رأى رجلاً مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فلم يعرفه ، فسأل النبيّ عنه فقــال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيته ؟ قال : نعم ، قال : ذاك جبريل ، أَمَا أنك ستفقد بصرك ؛ فعميَ بعد ذلك فى آخر عمره .

﴿ قال ﴾ : غزَا ابنُ عبَّاس رضى الله عنهما إفريقيَّة مع عبد الله بن سَعْد ابن أبى سَرْح ، وهو الذى تولّى قسم الفَيْء بها بين المسلمين ؛ قاله أبو سعيد ابن يونس ومحمد بن أحمد بن تميم [1] .

أخبرنا الخطيب أبو الحسن على بن هبة الله [بإسناده][2] ، قال : أخبرنا أبو عيسى محمّد بن عيسى التِّرمذى[3] ، قال: أخبرنا عبد الله بن عبد الرَّحمن، قال : أخبرنا أبو الوليد ، قال : أخبرنا اللّيث بن سَعْد ، قال : حدَّثنى قَيْس ابن الحجّاج ، عن حَنَش/ الصَّنْعانىّ ، عن ابن عَبَّاس رضى الله عنهما ، قال : كنتُ خَلْف رسول الله صلَّى الله عليه وسلم يومًا ، فقال : ياغلام إِنّى أعلِّمك كَلِماتٍ ، احفظ اللهَ يحفَظْك ، احفظ الله تجِدْه [تُجَاهَك][4] ، وإذا سألتَ

١ : ٩٣

(١) طبقات علماء إفريقية ١٧ ، مقتصراً على تسميته فيمن دخل إفريقية من الصحابة .
(٢) زيادة يقتضيها السياق . انظر سنده عن الترمذى صفحة ٩٢
(٣) جامع الترمذى . أبواب صفة القيامة ٩ : ٣١٩ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٢٦٧١
(٤) فى الأصول : « أمامك » .

فاسأل الله ، واذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله ، واعْلَمَ أنَّ الأُمَّة لو اجتمعت على أن يَنفْعوكَ بشيء لم ينفعوكَ إلاَّ بشيء [قد] كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوكَ بشيء [لم يضروكَ إلاّ بشَيْء قد] كتبه الله عليك ، رُفِعَت الأقلامُ وجَفَّت الصُّحف . قال التِّرْمذى : هذا حديث [حسن] صحيح .

وتوفِّى ابن عَبَّاس رضى الله عنهما بالطَّائِف سنة ثمان وستِّين ، وعمره إحدى وسبعونَ سنة .

﴿ قلت ﴾ : كانت وفاته فى أيّام ابن الزّبير ، وما ذكره هو أحد الأَقوال الثَّلاثة ، وقيل توفّى وهو ابن أربع وسبعين سنة ، وقيل توفى ابن سبعين سنة ؛ وصلَّى عليه محمد بن الحنفيَّة ، وكبَّر عليه أربعًا وقال : اليوم ماتَ رهبانىُّ هذه الأُمَّة ، وضرب على قبره فُسْطاطًا ، رحمه الله .

ومنهـــــم :

١٣ ● أبو بكر ، عبد الله بن الزُّبَيْر بن العَوّام[1]

هكذا قال ، وقيل كُنْيَته أبو [بُكَيْر][2] ، ذكر ذلك أبو أحمد [الحاكم] الحافظ فى كتابه [الكُنَى][3] ، وقيل أبو خُبَيْب ، بابنه ، وكان أَسَنَّ ولده .

---

(١) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٢٩١ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٤٢ ؛ أبو نعيم : حلية الأولياء ١ : ٣٢٩ ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ١ : ٢٤ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٣٠١ ؛ تهذيب التهذيب ٥ : ٢١٣ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ١٦١ ؛ ابن الجوزى : صفة الصفوة ١ : ٣٢٢ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٦٦

(٢) فى الأصول : « أبو بكر »

(٣) فى الأصول : « الكبير » والتصويب والزيادة من الاستيعاب

﴿ قال ﴾ : أُمُّه أسماءُ بنت أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهم ، هاجرت أمّه وهو في بَطْنها فولدَتْه في قُبَاء في شَوّال ، بعد عشرين شهرًا من الهجرة .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره هو أحد القَوْلين ، وقيل إنّه وُلد في السّنة / الأُولى من الهجرة . ١ : ٩٤

﴿ قال ﴾ : وهو أوّل وَلَدٍ وُلِد في الإسلام من المهاجرين بالمدينة بعد الهجرة ؛ وأوّلُ شيء دخل بطنَه ريقُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فوضعه في حِجْره ودعا بتمْرةٍ فمَضَغها ، ثم تَفَلَ في فمه ، فكان أول شيء دخل جَوْفه ريقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حَنَّكَهُ بالتَّمْرة ، ثم دعا له وبَرَّك عليه ، وسمّاه عبدَ الله باسم جدّه أبي بكر وكنّاه بكُنيته ، وأمر أن يؤذَّن في أذنه بالصّلاة ، فأذَّن أبو بكر في أذنه . وبايعه عليه الصلاة والسلام وهو ابن سبع سنين . ولما احتجم النبيّ صلى الله عليه وسلّم دفع دمَه إلى ابن الزُّبير ، فشرِبَه ، فأتاه جبريل فأخبره بما صنع ، فسأله فقال : كرهت أن أصبّ دمَك في الأرض ؛ فقال له عليه الصلاة والسلام : لا تمسّك النَّار ؛ ومسَحَ على رأسه وقال : ويلٌ للناس منك ، وويلٌ لك من الناس .

وروى ثابتُ البُنَانِيّ ، قال : كنتُ أَمرّ بابن الزُّبير وهو يُصَلِّي خلفَ المقام كأنه خشبة منصوبة لا يتحرّك .

وروى الأعمش عن يحيي بن وَثّاب أنّ ابن الزّبير كان إذا سجد وقعت العَصَافير على ظهره تصعد وتنزل من طول سُجوده .

وروى عن مطرف بن عبد الله ، قال : رأيت عبد الله بن الزّبير وهو يُواصل الجمعة إلى الجمعة . وكانَ رضي الله عنه من أَعْبد الصَّحابة

وأطولهم صلاةً ، وربما كان يقرأ فى الرّكعة البقرةَ وآل عمران والنّساء والمائدة .

﴿ قلت ﴾ : وكان يُسمّى حَمام المساجد . وقال مُجاهِد : ما كان بابٌ من / العبادة يعجز عنه النّاس إلاّ تكلّفه عبد الله بن الزُّبير ؛ ولقد جاء سيلٌ طبّق البيتَ ، فجعلَ ابن الزبير يطوفُ بالبيت سِبَاحة . وعن عَمْرو ابن دينار ، قال : رأيت ابنَ الزّبير يصلّى فى الحِجْر خافِضًا بصَره ، فجاء حَجَرٌ قُدَّامه فذهَبَ ببَعْض ثَوْبه ، فما انتقَل ؛ يريدُ حَجَر المَنْجَنيق لما حصَرَهُ الحجّاج . وعن عمرو بن قَيْس عن أمّه أنها قالت : دخلْتُ على عبد الله بن الزّبير فى بيتهِ ، فإذا هُوَ يصَلّى ، فسقَطتْ حَيّةٌ من السّقف على ولده هاشم ، فتطوّقت على بطْنِه وهوَ نائم ، فصاحَ أهلُ البيت : الحيَّة ، ولم يزالُوا حتى قتَلوها ، وعبدُ الله بن الزّبير يصلّى وما التفت ولا عَجَّل ، ثمَّ فرغ بعد ما قُتِلت ، فقال : ما بالكم ؟ فقالت أمّ هاشم : أرأيتَ إن هنّا عليك ، يهونُ عليك ولدُك ؟ ! فقال : ويحَكِ ما كانتِ التفاتة ، لو كانت التِفَاتَة كانت مُنقصَة من صلاتى .

وكان رضى الله عنه كريمَ الجدّات والخالاتَ .

﴿ قال ﴾ : غزا عَبْدُ الله بن الزّبير إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح سنة سبع وعشرين ، لا يُخْتلَف فى ذلك . وهو الّذى قتل جرجيرَ وأخذ ابنتَهُ فى نَفلِه ؛ وقدم بكتاب الفَتْح على عُثمان رضى الله عنه سنة ثمان وعشرين ؛ قاله مالك بن أنس رحمه الله ، وأبو سعيد بن يونس وغيرُهما .

وقال مُصعب بن الزُّبير : قَدِمَ عبد الله بن الزّبير من إفريقيَّة سنة ستٍّ وعشرين ، فسُرَّ بولايةِ أخيه عروة بن الزُّبير . والأوّلُ أصحّ .

ثم غَزَا إفريقية ثانيةً مع مُعاوية بن خُدَيْج . وشهد فتح جَلُولَاء ، هو وعبد الله بن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنهم ؛ قاله أبو العَرب /بن تميم [1] . ١ : ٩٦

بويع له بالخلافة فى الحَرَمَيْن والعِراقَيْن واليَمَن وبعض الشّام ومصر . وحجّ بالنّاس ثلاث حِجَج .

حدَّثَنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحنفىّ ، قال : حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن على بن سَرايا ، قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى ، قال : أخبرنا عبد الرّحمٰن بن محمد بن المظفّر الدّاودى ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد السَّرَخْسِىّ ، قال : أخبرنا محمد بن يوسف الفَرَبْرى قال : أخبرنا محمد ابن إسماعيل البخارىّ [2] ، قال : حدثنا أبو نُعَيْم ، قال : حدّثنا عبد الرّحمٰن ابن سليمان بن الغَسِيل ، عن عبّاس بن سَهْل بن سَعْد ، قال : سمعتُ ابن الزّبير على منبر مكّة فى خُطْبته يقول : ياأيّها النّاس : إنَّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم كان يقول : لو أنّ ابن آدم أُعطىَ وادياً مَلْأً من ذهبٍ ، أَحَبَّ إليه ثانياً ، ولَوْ أُعْطِىَ ثانياً ، أَحَبَّ إليه ثالثاً ، ولا يَسُدُّ جوفَ ابن آدم إلاّ التُّرابُ ، ويتوب الله على من تاب .

---

(١) كان فتح جلولاء فى حملة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وهى الحملة التى دخل إفريقية فيها كثير من الصحابة . ؛ ولم يرد ذكر فتح جلولاء فى مختصر الطبقات .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ٨ : ٩٣

وختم الله أعمـاله بِالشّهادة ؛ قتِله الحجّاج بن يوسف بمكّة سنة ثلاث وسبعين .

﴿ قلت ﴾ : قتله الحجـاج ، وقَدْ بعثه عبد الملك بن مَرْوَان إليه ؛ فحصرَه بمكّة حتى دخلها وقتله وصَلَبه ؛ وكان قَتْلُه له يوم الثّلاثاء لسبع عشرة ليلةٍ خَلَت من جُمـادى الأولى[1] ، وقيل من جُمادَى الآخرة ، سنة ثلاث وسبعين كما تقدَّم . وماتَتْ أُمُّه أسماء رضى الله عنها بعده بخمسة أيَّام ولها من العُمر مِئَة سنة .

١ : ٩٧ / ومنهـــــم :

١٤ ● عبد الله بن عَمْرو بن العاص القُرَشيّ السَّهْميّ[2]

﴿ قال ﴾ : كُنْيَتُه أبو مُحَمّد .

﴿ قلت ﴾ : هذا هو الأشهر ، وقيل أبو عِمْران ، وقيل غيرُ ذلك ، وأُمّه رَيْطَة بنت منبّه بن الحجّاج السَّهْمِيّة[3] .

﴿ قال ﴾ : أسلم قبل أبيه ، ووُلد لعَمْرو عبدُ الله هذا وهو ابن اثْنَتَىْ عشرة سنة ، فلم يَعْلُه أبوه إلاّ باثنتى عشرة سنة . وكان رجلاً صالحاً عالمًا ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ٧ : ٢٠٤

(٢) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٣٣٨ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ٤٣ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٢٣٣ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٣٤٣ ؛ تهذيب التهذيب ٥ : ٣٣٧ ؛ أبو نعيم : حلية الأوليـاء ١ : ٢٨٣ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٨١ ؛ ابن الأبار : الحلة السـيراء ١ : ١٧ .

(٣) فى ز ، و ط : « ربطة ابنة منبه الحجاج » . انظر الإصـابة ٤ : ٣٠٤ ؛ تاج العروس ٥ : ١٤٥

واستأذن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فى أن يكتب حديثه فأذن له ، فقال : يا رسول الله ، أَكْتُبُ ما أسمع منك فى الرِّضى والسُّخط ؟ قال : نعم ، فإنّى لا أقول إلاَّ حقًّا .

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو هُرَيْرة : ما كان أحدٌ أحفظ لحديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلم منّى إلاّ عبد الله بن عَمْرو ، فإنه كان يعى بقلبه وأعى بقلبى ، وكان يكتب وأنا لا أكتب . ورُى عنه أنّه قال : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ألف مَثَل .

﴿ قال ﴾ : وكان يَسْرُدُ[1] الصّومَ ولا ينام اللّيل ، فشكاه أبوه إلى النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له رسول الله : إن لعَيْنيك عليك حقّا ، ولأهلك عليك حقّا ، ولزوجك عليك حقًّا ، فقم وأفطر .

﴿ قلت ﴾ : وكان رضى الله عنه يقول : لَأَن أَدْمَع دمعةً من خَشْية الله عزَّ وجلَّ أحبُّ إلىَّ من أن أتصدّق بألف دينار . وعن يَعْلَى بن عطاء ، عن أمّه : أنّها كانت تَصْنَعُ الكُحْل لعبد / الله بن عمرو ، قالت : وإنه كان ليقوم اللّيل فيطفىء السِّراج فيبكى حتّى مرضت عيناه . ١ : ٩٨

وعن عبد الله بن عَمْرو أنّه قال : لو تعلمون حقّ العلم لسجدتم حتّى تتقصَّفُ ظهوركم ، ولَصَرختم حتى تنقطِعَ أَصْواتكُم ، فابكوا فإن لم تجدوا البكاء فتبَاكَوْا

---

(١) يواصله ويتابعه .

﴿ قال ﴾ : دخل عبد الله بن عَمْرو إفريقيَّة مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح ؛ قاله أبو العَرب بن تَميم[١] .

حدّثنى أبو محمد عبد الوهاب بن ظافِر القرشى ، قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفى ، قال : أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد الأصبهانى ، قال : أخبرنا أبو نُعَيْم أحمد بن عبد الله الحافظ[٢] ، قال : أخبرنا أبو عَمْرو بن حمدان ، قال : حدَّثنا عبد الله بن [شيروَيْه][٣] ،قال : حدّثنا إسحاق بن راهَوَيْه ، قال : حدّثنا عيسى بن يونس ، قال : حدّثنا [الإفريقى] عبد الرحمٰن بن زياد بن أَنْعم ، عن عبد الرحمٰن بن رافع ، قال : لما كَبُر عبد الله بن عمرو بن العاص واشتدَّ عليه [قراءةُ] القرآن ، قال : إنى لما جمعت القرآن أتيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم فقلت له : إنّى قد جَمعتُ القرآنَ فافرضْهُ عَلَيَّ ، قال : اقرأْ[هُ][٤] فى الشهر ، قال ، قلت : إنى [أَقْوَى[٥]] من ذلك ، قال : اقرأ[هُ] فى الشهر مرتَيْن ، قلت : إنى أقوى من ذلك ، قال : اقرأ [هُ] فى الشهر ثلاثًا ، قال ، فقلت : إنّى أقوى من ذلك ، قال : اقرأه فى كلّ ستّ ، قلت : إنى أقوى من ذلك ، قال : اقرأه فى كل ثلاث ، فقلت : إنّى أقوى من ذلك ، [قال : فغضب وقال : قم فاقرأ] .

---

(١) طبقات علماء إفريقية ١٤ ، ١٦

(٢) حلية الأولياء ١ : ٢٨٥

(٣) فى الأصول : « بشر »

(٤) فى الأصول : « اقرأ فى الشهر مرة »

(٥) فى الأصول : « إنى أقرأ أكثر من ذلك »

وبإسنادِنا إلى الترمذى[١] ، قال : أخبرنَا هَنَّادٌ قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى السَّفَرِ ، عن عبد الله بن عَمْرو ، قال : مَرَّ علينَا رسولُ الله صلّى الله / عليه وسلّم ونحن نُعالج خُصًّا لنَا ، فقال : ما هذا؟ فقلنا : قد وهِيَ خُصٌّ لنا فنَحْنُ نُصلحه ، قال : ما أرى الأَمْرَ إلاَّ أَعْجلَ من ذلك . حديثٌ حسن صحيح .

١ : ٩٩

واختلف فى وفاته فقيل سنة ثلاث وستِّين يوم الحَرَّة ، وقيل سنة ثلاث وسبعين . وقيل غير ذلك .

﴿ قلت ﴾ : أشار إلى ما ذكره غيرهُ من أنه تُوفّى سنة خمس وستين ، وقيل سنة سَبْع وسِتّين .

﴿ قال ﴾ : وقيل مات بالمدينة ، وقيل بمكَّة ، وقيل بالطّائِف ، وقيل بمصر .

﴿ قلت ﴾ : وتوفّى وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، وكان مّمن شهد صِفِّين مع مُعاوِية ، وندم ندامةً شديدة وجعل يَسْتَغْفِر الله من ذلك ويقول : مَالى ولصِفِّين ، مالى ولقتال المسلمين ؛ ثم يقول : أما والله ما ضربتُ فيها بسيفٍ ، ولا طعنت فيها برمْح ، ولا رميت بسَهْم ، غير أَنَّ الرَّايَة كانت بيدى يَوْمئذ . فندم على ذلك ، رحمه الله .

---

(١) جامع الترمذى . أبواب الزهد ٩ : ٢٠٤

ومنهـــــم :

١٥ ● عُقْبَة بن عَامِر الْجُهَنِيّ(١)

﴿ قال ﴾ : يُكنَّى أبا حَمّاد ، وقيل أبا الأَسْود .

﴿ قلت ﴾ : وقيل أبو أُسَيد ، وقيل أبو أَسد ، وقيل أبو سُعاد ، وقيل أبو عَمّار ، وقيل أبو عامر .

﴿ قال ﴾ : سكن مصر وكان والياً عليها وابتنى بها داراً ، وغزا منها إفريقيّة قبل عُقبة بن نافع . روى سحْنون بن سعيد(٢) ،عن عبد الله بن وَهْب، عن اللَّيث بن سعد ، قال : بلغنى أنَّ عقبة بن عامر الْجُهَنِى لما غزا إفريقيّة / أتى إلى وادى القيروان ، فبات عليه ، حتَّى إذا أَصبح وقف على رأس الوادى ، فقال : يا أهل الوادى اظعنوا فإنّا نازلون ، قال ذلك ثلاثَ مرات ، فجعلت الحَيَّاتُ والعقارب وغيرها ـ مما لا [يعرفون](٣) من الدوابّ ـ يخرجن ، وهم قيـام ينظرون إليها من حين أصبحوا حتّى أوجعهم حَرُّ الشمس ، [وحتّى لم يرَوْا](٤) منها شيئاً ، فنزلوا الوادى

١ : ١٠٠

---

(١) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٤/٢ : ٦٥ ؛ الكندى : الولاة والقضاة ٣٦ ؛ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٢٨٧ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ : ١٠٦ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٤١٧ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢ : ٣٣٤ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٣٦ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٤٨٢ ؛ تهذيب التهذيب ٧ : ٢٤٢ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١ : ١٢٦

(٢) أبو العرب : الطبقات ٨ —

(٣) من الطبقات ، وفى الأصول : « مما لا يفر » .

(٤) من المصدر السابق ، وفى الأصول : « وما يرونه » .

عند ذلك . قال اللَّيْث : حدّثنى زياد بن عجلان أنّ أهل إفريقيّة أقاموا [بعد ذلك] أربعين سـنة ، ولو التُمِست حَيَّة أو عقرب بألف دينار ما وُجدت ، هكذا روى اللّيث . وقال عبد الله بن لَهيعة[١] : إنَّما هو عقبة بن نافع عند ما أراد أن يختطَّ القيروان ، وهو الأشهر .

حدَّثنى أبو محمد عبد السّلام بن عبد الغالب الزَّاهد، قال : أخبرنا أبو الحسن علىّ بن أبى الـكرم ـ نزيل مكة ـ ، قال : أخبرنا أبو الوَقْت عبد الأوّل بن عيسى ، قال أخبرنا الدَّاودىّ ، قال : أخبرنا السَّرَخْسى ، قال : أخبرنا الفَرَبْرِىّ ، قال : أخبرنا البُخارِىّ[٢] ، قال : حدَّثنى محمـد بن عبد الرحيم ، قال : أخبرنا زكرياء بن عَدِىّ ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن حَيْوة ، عن يزيد بن أبى حَبيب ، عن أبى الخـيْر ، عن عُقْبَة بن عامِر ، [قال : صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسـلّم على قَتْلَى أُحُد بعد ثمانى سنين كالمودّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبرَ فـ]ـقال : إنى فَرْطٌ لـكم وأنا شهيد عليكم ، وإنّ موعدَكم الحوضُ ، وإنى لأنظر إليه فى مقامى هذا ، وإنى [لست] أخشى عليكم [أن تشركوا ولـكنّ أخشى عليكم] الدُنيا [أن تنافسوها ، قال :]فـكانت آخر نظرةٍ نظرتُها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتوفى عُقْبَة بن عامر بالشَّام سنة ثمان وخمسين فى خلافة مُعاوية . وقال الواقدِىّ : توفّى بمصْر .

---

(١) انظر طبقات علماء إفريقية ٩

(٢) الجامع الصحيح ، كتاب المغازى ٥ : ٩٤

١ : ١٠١ /﴿قلتُ﴾ : وروى عنه من الصَّحابة جابِر ، وابن عبَّاس ، وأبو أُمَامة ، ومَسْلَمَة بن مُخَلَّد ؛ وأَمَّا رُوَاتُه من التَّابِعين فـكثير .

ومنهـــــم :

١٦ ● رُوَيْفِـع بن ثابِت بن السَّكَن بن عَدِيّ بن [حارِثَة][1] ابن عَمْرو بن زَيْد مَنـاة بن عَـدِيّ بن عَمرو بن مالك بن النَّجار الأَنْصاريّ

﴿ قال ﴾ : قال أبو سَعيد بن يونس : كانت لرُوَيْفِـع بالمغرب وإفريقيّة وِلاَيَات وفُتوحات ، وشهد قبلها فتح مصر واختَطَّ بها دَارًا .

﴿ قلت ﴾ : زادَ : ومنزلهُ قائمٌ بحـــاله إلى اليوم فى زقاق ابن حَسَنة[2] .

﴿ قال ﴾ وقال أبو عمر بن عبد البَر[3] : ولى مُعاوية بن أبى سفيان رُوَيْفَع بن ثابِتٍ على طرابلس سنة ستٍّ وأربعين .

---

(١) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ٤٨٨ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ٥٣ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٢ : ١٩١ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغـات ١ : ١٩٢ ؛ ابن حجر : الإصابة ١ : ٥٠٧ ؛ تهذيب التهذيب ٣ : ٢٩٩ ؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ٣٤٧ ـ ؛ التجانى : الرحلة ١٢٤

وفى الأصول : ابن عدى بن « خارجة » بن عمرو . والتصويب من المصادر المتقدمة .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الرياض ١ : ٥٤ « زقاق بنى حسـنة » ، وقد أسند المالـكى هذا النص لأبى سعيد بن يونس أيضا .

(٣) الإستيعاب ١ : ٤٨٩ انظر ابن عبد الحـكم : الفتوح ١٠٩ ، ١١٢

﴿قلت﴾ : فغزا منها إفريقيّة سنة سَبْع وأربعين ، ودَخَلها وانصرف من عامه .

﴿ قال ﴾ : حدّثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكّى ، قال : أخبرنا أحمد بن محمّد الأصبهانى ، قال : أخبرنا محمّد بن أحمد الرّازى ، قال : أَخْبرنا محمّد بن أحمد السَّعدىّ ، قال : أخبرنا عُبَيْد الله بن محمد [العُكْبَرِىّ][1] ، قال : أخبرنا أبو القاسِم عبد الله بن محمد [البَغَوِى][2] ، عن هارون الحربى[3] ، قال : حدَّثنى أَحْمَدَ بن خالد السَّرَخْسِى ، قال : حدّثنا مُحَمَّد بن إسحاق[4] ، عن يزيد بن أبى حَبيب ، عن [أبى مَرْزُوق مَوْلَى تُجِيب][5] ، قال : أخبرنى حَنَش الصَّنْعانِىّ ، قال : غزَوْنَا المغرب وعلينا رُوَيْفِع بن ثابت الأنصارىّ ، فافتتحنا جزيرةً[6] يقال لَهَاجِرْبَة ، فقام فينا رُوَيْفِع خطيباً فقال : إنى لا أَقُول / فيكم إلاّ بما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قام فينَا يوم خَيْبَر حين افتتحناها فقال : [لا يحلّ لامرئ يؤمنُ بالله واليوم الآخر أن يَسْقى

١ : ١٠٢

(١) فى الأصول : « البكرى » .

(٢) فى الأصول : « النفزى » .

(٣) كذا فى الأصول ، ولم نقف على اسم هرون هذا فى من روى عن أحمد بن خالد ، وروى عنه البغوى ؛ ولعله محمد بن هارون الحربى . انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٤٩٣ ؛ تفسير الطبرى ٩ : ١٥٥ .

(٤) روى ابن الأثير (أسد الغابة ٢ : ١٩١) هذا الخبر عن هذه الطريق ، وعنه أكملت النص . ونص الرياض أكثر اختصاراً وأضطراباً .

(٥) محرف فى الأصول إلى : « ابن مرزوق موسى التجيبى » . أنظر تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٢٨

(٦) من ع ، ز ، وفى الرياض وبقية الأصول : « قرية » .

ماءه زَرْعَ غيره ــ يعْنى إتْيان الحُبالَى من الفَيْء ــ ولا يحلّ لامْرِئٍ][1] يُؤْمِن بالله واليوم الآخر [أن يصيب امرأةً] من السَّبى [ثَيِّباً] حتّى يستبرئها ، [ولا يحلّ لامرئ][2] يؤمن بالله واليوم الآخر [يبيع مَغْنَماً حتى يقسم ، ولا يحلّ لامرئ يُؤْمن بالله واليوم الآخر أن] يَرْكبَ دَابَّةً مِنْ فَيْءِ المسلمين حتّى إذا أَعْجَفها ردَّها فيه ، [ولا يحل لامرئ][2] يؤمن بالله واليوم الآخر [أن يَلْبس][3] ثوباً من فَيْءِ المسلمين حتى إذا أَخْلَقَه رَدّه .

قال أبو القاسم عبد الله بن محمد البَغَوِىّ ، حَدّثنى هارون بن [. . . ، عن][4] عبد الله بن هُبَيْرة السَّبائى ، عن زِياد بن نُعَيْم الحَضْرَمِىّ ، عن رجاء ابن شُرَيْح ، عن رُوَيْفِع بن ثابت الأنصارىّ ، أن النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : من قال اللّهمّ صلِّ على محمدٍ ، وأنزِلْه المنزلَ[5] المقرّبَ منك يوم القيامة ، شفعتُ له .

توفّى رُوَيْفِع بن ثابت ببَرْقَة وهو وَالٍ عليها لمَسْلَمة بن مُخَلَّد .

﴿ قلتُ ﴾ : يريد وهو أميرُ مصر ، كما قال المالكى[6] .

---

(١) من أسد الغابة ، وفى الأصول : « من كان » يؤمن . . . « فلا يأتين » شيئاً .

(٢) فى الأصول : « ومن كان » .

(٣) فى الأصول : « فلا يلبسن » .

(٤) فى الأصول : « هارون بن عبد الله بن هبيرة ... » . أنظر سند الحديث المتقدم .

(٥) فى ش : « الموضع » .

(٦) الرياض ١ : ١٠٢

﴿ قال ﴾ : وتوفّى سنة ثلاث وخمسين[١] وقَبْرُه بها معروف ، وكان قد اندرس ثمّ وُجِد بعد ذلك وعند رَأسه بَلاطةٌ فيها مكتوب : هذا قبر رُوَيْفِـع بن ثابِت الأنصاريّ صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم .

قال ابن البَرْقِيّ : وقد رأيت قَبْره ببَرْقَة .

روى عنـه [شَيْبان بن أميَّـة القِتْبَانىّ][٢] ، ويزيد بن عبد الله البَرْقىّ ، وروى عنه ابن شُرَيح ، وزياد بن عُبَيد ، وحَنَش بن عَبْد الله ، وأبو عبد الرّحمن الحُبُلىّ ، [وشِيَيْم بن بَيْتان][٣] .

ورُوَيْفِـعُ هذا ، هو الذى يقال أنه اختطَّ مسجد الأنصار بالقَيْرَوَان ، وهو أفضل مساجدها وأقدَمُها .

١ : ١٠٣

/ ومنهـــــم :

١٧ ● حَمْزة بن عَمْرو الأَسْلَمِىّ[٤]

﴿ قال ﴾ : يكنّى أبا صالح ، وقيل أبا مُحَمّد .

---

(١) كذا فى الرياض وهو نصه . وينقل ابن حجر فى الاصابة عن أبى سعيد بن يونس أن وفاة رويفع كانت سنة ست وخمسين .

(٢) محرف فى الأصول إلى : « سفيان بن أميـة الغسانى » . أنظر تهذيب التهذيب ٤ : ٣٧٣

(٣) محرف فى الأصول إلى : « سهم بن فتيان » . أنظر تهذيب التهذيب ٤ : ٣٧٩

(٤) ترجمة ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/٢ : ٢١٢ ؛ البخارى : التاريخ الـكبير ١/٢ : ٤٣ ؛ ابن سـعد الطبقات ٢/٤ : ٤٥ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ٢٧٦ ؛ ابن حجر : الإصابة ١ : ٣٥٣ ؛ تهذيب التهذيب ٣ : ٣١ ؛ المالـكى : رياض النفوس ١ : ٤٩ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٢ : ٥٠ ؛ الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ١٤ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٦٩

وفى الأصول : « حمزة بن عمر » بضم العين ، وهو وهم قديم وقع فيه الطبرانى ، وقد بسطه ابن حجر فى الإصابة .

﴿ قلت ﴾ : وصحب أبوه النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلم ، فهو صَحابيّ ابن صَحابيّ .

﴿ قال ﴾ : وكان حَمْزة رجلاً فاضلاً يسْرُد الصّوم .

قال حَمْزة[1] : [كنّا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم] فى سَفرٍ ، [فتفرّقنا] فى ليلةٍ ظَلْمَاء [دِحْمِسَة] فأضاءت أصابعى حتى [جمعُوا عليها] ظَهْرهم [وما هلك منهم] وإنّ أصابعى لتُنِير .

وشَهد فَتْحَ إفريقيَّة ، وكانت له فيها مَقامات مَحْمودة مع عبد الله ابن سَعْد ؛ قاله أبو سَعيد بن يُونس وأبو العرب[2] وغيرهما .

حدّثنى أبو علىّ الحسن بن محمد البكرى ، قال : حدّثنا المؤيّد بن على الطّوسِىّ ، قال : أخبرنا محمّد بن الفَضْل الصَّاعِدىّ ، قال : أخبرنا عبد الغافر ابن محمّد الفارسىّ ، قال : أخبرنا أبو أحمد الجلُودىّ ، قال : أخبرنا إبراهيم ابن محمد بن سُفيان ، قال : حدّثنى مُسلم بن الحَجَّاج[3] ، قال : أخبرنا أبو الرّبيع الزَّهْرَانىّ ، حدثنا حَمّاد ، وهو ابن زَيْدٍ ، قال : حدّثنى هِشَام ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها : أنَّ حَمْزة بن عَمْرو الأَسْلَمِىَّ سأل

---

(١) ورد هذا الخبر فى الأصول مختلا ، ولم يذكره ابن عبد البر فى الإستيعاب ـ وهو مصدر تراجم الصحابة فى كتاب المعالم ـ ؛ ورواه البخارى فى تاريخه (٢/١ : ٣ ٤٣) بإسناده عن محمد بن حمزة عن أبيه ، وعنه أكملت سقط النص .

(٢) طبقات إفريقية ١٤ ، ١٦ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الصيام . (باب التخيير فى الصوم والفطر والسفر) ٣ : ١٤٤

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، إنّى رجل أَسْرُدُ الصَّوْمَ ، أَفأَصُوم فى السَّفَر ؟ قال : صُمْ إن شِئْت وأَفْطِرْ إن شِئْت .

وتوفى سنة إحدى وستِّين ، وعمره إحدى وسَبْعون سنة .

﴿ قلت ﴾ : ويُقال وهو ابن ثَمانين سنة ، وهو مَعْدُود فى أهل الحجاز ، ورَوى عنه أهْلُ المدينة .

قال المالكِيّ[1] : وعن مُحمّد ولده ، قال : سمعتُ أَبى يقول : قال / رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : على ذروة كلّ بعير شيطانٌ ، فإذا ركبتُموهَا فسمُّوا الله ، ثم لا تقصّروا عن حَاجتكم . ١ : ١٠٤

ومنهـــم :

١٨ ● أبو عبد الله ، عَبْد الرّحمن بن أبى بكْر الصِدّيق[2] ، رضى الله عنهما

﴿ قال ﴾ : يكنّى [أبا عبد الله][3] .

﴿ قلتُ ﴾ : وقيل يكنّى أبا محمّد ، بابنه محمّد الّذى يُقال له أبُو عَتيق .

﴿ قال ﴾ : وعبد الرّحمٰن هو صاحبٌ ابن صاحبٍ ابنُ صاحبٍ ؛ جَدُّه أبو قُحافَة أَسْلَمَ يَوم الفَتْح .

---

(١) الرياض ١ : ٤٩

(٢) ترجمة مصعب الزبيرى : نسب قريش ٢٧٦ ؛ ابن عبد البر : الإستيعاب ٢ : ٣٩١ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٤٦ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٣٠٥ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٩٤ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٣٩٩ ؛ تهذيب التهذيب ٦ : ١٤٦

(٣) من الإستيعاب ، وفى الأصول : « أبا محمد » .

﴿قلت﴾ : وأدرك أبو عتيق محمد بن عبد الرّحمٰن بن أبى بكر بن أبى قُحافَة ، هو وأبوه وجدُّه وجَدُّ وَالِدِه النَّبىَّ صلى الله عليه وسلَّم . ويقال : إنّه لم يُدرك النبىّ صلّى الله عليه وسلم أربعةٌ ، ولا أبٌ وبَنُوه ، إلاّ أبو قُحافة ، وابنُه أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه ، وابنُه عبدُ الرحمٰن ابن أبى بكر ، وابنُه أبو عَتِيق محمّد بن عبد الرحمٰن ، والله تعالى أعلم .

وأُمُّ عبد الرحمن أمُّ رُومَان ، ابنة الحارث[1] بن غَنْم . وكان اسمُ عَبْد الرّحمٰن عَبْدَ الكَعْبة ، فغَيَّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم اسمَه وسَمَّاه عبدَ الرحمٰن .

﴿قال﴾ : وكان عبد الرَّحمٰن شقيق عائشة أُمّ المؤمنين رضى الله عنهما .
وكان من أَشْجع قُرَيْش وأَرْماهم بسَهْمٍ ؛ حضَر اليَمَامَة ، وشهد غَزْو إفريقيَّة ؛ ذكره أبو العَرَب بن تَمِيم[2] .

﴿قلتُ﴾ : كان حضورُه اليمامةَ مع خالد بن الوَليد ، فقتل سبعةً من كبارهم ، وهو الّذى قَتَل مُحَكِّم اليَمامة بن طفيل ، ورماه بسَهْم فى نَحْره فقتلَه ؛ وكان مُحَكِّم اليَمامة قد سدَّ ثلمةً من الحِصْن ، فدخل المسلمون من تلك الثَّلمة . وكان عبد الرَّحمٰن / أسنّ وَلَد أبى بَكر ، شهد الجَمَلَ مع عائشة رضى الله عنها ، وكان أخوه محمّد يومئذ مع علىّ رضى الله عنهم أجمعين . (١ : ١٠٥)
ورُوى أنَّ مُعاوِيَة قعد على المنبر ، فدعا إلى بَيْعَة يَزيد ، فكلَّمه الحُسَين بن علىّ ، وابن الزبير ، وعبدُ الرحمٰن بن أبى بَكر ، فكان كلام عبد الرحمٰن :

---

(١) أبوها عامر بن عويمر ، من بنى مالك بن كنانة انظر أسد الغابة ٥ : ٥٨٣ ؛ الإصابة ٤ : ٤٣٢ .
(٢) طبقات علماء إفريقية ١٤ ، ١٧

[أَهِرَقْلِيَّة][1] ؟! إذا مات [قَيْصَر] كان [قيصر] مكانَه ، لا نفعل والله أبداً . وبعث إليه معاوية بمئة ألف درهم بعد أن أَبَى البَيْعة ليَزيد ، فردَّها عبد الرحمن وأَبَى أَنْ يأخذها ، وقال : [لا] أبيعُ دينى بدُنياىَ . وخرج إلى مكّة فمـاتَ بها قَبْل أن تَتِمّ البيعة ليَزيد ابن مُعاوِيَة .

﴿ قال ﴾ : حدَّثنى أبو الحسين أحمد بن محمد السَرَّاج ، قال : أخبرنا خَلَف بن عبد الملك بن بَشْكُوَال ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عَتّاب ، عن أبيه ، عن سُلَيمان بن خَلَف القاضى ، عن أبى عبد الله محمّد بن أحمد ، اُبن مُفَرِّج ، عن محمد بن أيّوب الرَّقِي ، عن أبى بَكْر أحمد بن عَمْرو البَزَّار ، قال : حدثنا بِشْر ابن آدم ، قال : حَدّثنى عبد الله بن بَكْر السَّهْمِيّ ، قال : حـدثنى هِشام ابن حسان ، عن القاسم بن مِهْران ، عن موسى بن عُبَيد ، عن ميمون ابن مِهْران ، عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصِدِّيق رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن ربِّى أعطانى سبعين ألفاً من أُمَّتى يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عُمَر رضى الله عنه : فهلاّ استَزَدْتَهُ ؟ فقال : قد استَزَدْتُه ، فأعطانى مع كلّ رجلٍ سبعين ألفاً ، فقال عمر رضى الله عنه : فهلّا استَزَدْتَهُ ؟ / فقال : أعطانى هكذا . قال : هكذا من الله تبارك وتعالى ، لا يُدْرَى عددُه .

١ : ١٠٦

---

(١) فى الأصول : « إهريقية ، إذا مات كسرى كان كسرى مكانه » والتصويب عن الاستيعاب ٢ : ٣٩٣ ؛ وقد روى ابن عبد البر هذا الخبر عن طريق عبد الله بن نافع .

وتوفّى عبد الرحمن على عشرة أميال من مَكّة سنة ثلاث وخمسين ، ثم حُمِلَ إلى مَكّة فدُفن بهَا .

﴿ قلت ﴾ : وقيل توفّىَ سنة خَمْس وخمسين ، قال أبو عمر ابن عَبد البرّ[١] : مات فَجأةً بموضع يقال له [الْحُبْشِىّ][٢] على نَحْو عشرةِ أميال من مكّة ، وحُمِلَ إلى مَكّة فدفن بها . ويقال إنّه مات فى نَوْمَةٍ نامها .

﴿ قال ﴾ : ولمّا بلَغ عائِشَةَ رضى الله عنها موتُه ، ظعنت من المدينة حَاجَّة حتّى وَقَفت على قَبْره ، وكانت شقيقَتَه ، فبكَتْ عليه وتمثّلت بقول [مُتَمِّم][٣] بن نُوَيْرَة :

وَكُنّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... من الدَّهر ، حتّى قيل لن يتَصَدَّعَا

فلمّا تفرَّقْنا كأنّى ومالِكاً ... لطول اجتماعٍ ، لم نبِتْ لَيْلةً مَعَا

ثم قالت : أما واللهِ لو حَضَرْتُكَ لدفنتُك حَيْث متَّ ،ولو حَضرتك ما بكيتُك .

---

(١) الاستيعاب ٢ : ٣٩٣ .

(٢) محرف فى الأصول إلى : « الحبش » أنظر ياقوت : معجم البلدان٣ : ٢١١ ؛ البكرى : معجم ما استعجم . ٢ : ٤٢٢

(٣) فى الأصول محرف إلى « تميم » ؛ أنظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١ : ٢٩٦ ؛ والبيتان فى المفضلية ٦٧، المفضليات ٥٣٤

ومنهـــــم :

١٩ ● أبو عبد الرحمن ، بِلَالُ بن الحارث المُزَنِيّ[1]

﴿ قال ﴾ : وفد على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى وَفْدِ مُزَيْنَة سنة خمس من الهجرةِ ، وسكن بمَوْضِعٍ يُعْرف بالأَشْعَر - وراء المدينة - وكان أحد من يحمل أَلْوية مُزَيْنَة يوم الفتح ؛ ثمَّ شهد غزوَ إفريقيَّة مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح ؛ قاله أبو سعيد بن يونس . وكان حامل لواءِ مزينة يومئذ ، وهم أرْبع مئة[2] . وأقطَعه رسول الله صلى الله عليه وسلم المعادِنَ القَبَلِيَّةَ وهى / بناحية الفُرُع .

١ : ١٠٧

حدَّثنى أبو محمّد عبد السَّلام بن عبد الغَالِب الزّاهد ، قال : حدّثنى علىّ بن أبى الكَرَم - نزيل مكّة ، بها . قال : حدثنى أبو الفَتح الكَرْخِىّ ، قال : حدثنا أبو عامر الأزدِىّ ، قال : حدّثنا الجراحى ، عن المحبوب ، عن التِّرْمِذِىّ[3] ، قال : حدّثنا هَنَّاد ، قال : حدّثنا عَبْدَةُ ، عن محمد بن [عَمْرو][4] بن عَلقمة بن وقّاص ، عن أبيه ، عن

---

(١) ترجمه ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/١ : ٣٩٥ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ١٥٠ ؛ المالكى : رياض النفوس ١ : ٤٩ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ١ : ٢٠٥ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٣٥ ؛ ابن حجر : الإصابة ١ : ١٦٨ ؛ تهذيب التهذيب ١ : ٥٠١ ؛ الخزرجى : الخلاصة ٤٥

(٢) نقل أبو العرب (طبقات علماء إفريقية ١٤) عن الواقدى بسنده : أنه خرج إلى إفريقية من مزينة ثمان مئة .

(٣) صحيح الترمذى ، أبواب الزهد ، (باب فى قلة الكلام)٩ : ١٩٧

(٤) فى الأصول: « عمر » (بضم العين) . أنظر تهذيب التهذيب ٩ : ٣٧٥

جدِّه ، قال : سمعت بلالَ بن الحارث المُزَنِىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سَمِعْنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول : إنّ أحَدَكم ليتكلّم بالـكلمة من رِضْوان الله ، ما يظنّ أن تبلغ ما بلغت ، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم [يَلْقاه][1] ، وإنّ أحدكم ليتكلّم بالـكلمة من سَخَطِ الله ، ما يظنّ أنْ تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ ، فيكتب الله عليـه بها سَخَطَهُ إلى يوم [يلقاهُ][1] . حديث حسن صحيح ، خرّجه مالِك[2] عن محمّد بن عَمْرو . وتوفّى بِلال سنة ستِّين وله ثمانون سنة .

﴿ قلت ﴾ : كانت وفاته فى آخر خِلافة معاوية بن أبى سُفْيَان .

ومنهـــــم :

٢٠ ● أبو عبد الرّحمن ، المِسْوَرُ بن مَخْرَمَة بن نَوْفل القُرَشِىّ الزُهْرِىّ[3]

صاحبُ بن صاحب ، توفِّى أبُوه يوم فتح مكّة .

﴿ قال ﴾ : وُلِدفى السّنة الثّانية من الهجرة بعد عبد الله بن الزُّبير .

﴿ قلت ﴾ : وقدم به المَدِينَةَ فى عقب ذى الحجّة سنة ثمان .

---

(١) عن صحيح الترمذى والموطأ ، وفى الأصول : « القيامة » .

(٢) الموطأ . كتاب الـكلام ، (باب ما يؤمر به من التحفظ فى الـكلام) ٩٨٥

(٣) ترجمه ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/١ : ٢٩٧ ؛ مصعب الزبيرى : نسب قريش٢٦٢ ـ ؛ ابن ماكولا : الإكمال ٢ : ٢٨٤ب ؛ ابن عبد البر : الإستيعاب ٣ : ٣٩٦ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ٤٥ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٣٦٥ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٣٩٩ ؛ تهذيب التهذيب ١٠ : ١٥١ ؛ النووى تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ٩٤

أُمُّه الشِّفَاء بنت عَوْف ، أختُ عَبْد الرّحمٰن بن عَوْف ؛ وقيل أُمُّه عاتِكَة بنت عَوْف ، أُخْت عبد/ الرّحمٰن بن عَوْف ، وقيل رَمْلَة[١] أخت عبد الرّحمٰن المذكور . وهو أصغر من ابن الزُّبَيْر بأربعة أَشْهر ؛ وقبض النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والمِسْوَرُ ابن ثمان سِنِين . ١ : ١٠٨

﴿ قال ﴾ : وكان من فُضَلاء الصحابة وفُقهائهم .

﴿ قلت ﴾ : زادَ غيره[٢] : وكانت الخوَارِجُ تَغْشاه لحُسْن رَأْيه ودينه ، وتعظّمه وتَنْتَحِلُ رَأْيَه ؛ وقد بَرَّأَهُ الله منهم . وكان صالحًا واقفًا مع الحقّ لا تأخذُه فى الله لومةُ لائِم .

روى ابن القَاسِم عن مالك بن أَنَس رحمه الله قال : بلغنى أن المِسْوَر ابن مَخْرَمَة دخل على مَرْوان فجلس معه وحادثه ، فقال المِسْوَر لمرْوَان فى شيء سمعه منه : بئسَ ما قلت ، فركَضه مَرْوَان برِجْله ، فخرج المِسْوَر ؛ ثمّ إنّ مَرْوان نام [فأُتى فِي المنام[٣]] فقيل لَهُ : مالكَ والمِسْور ! ؟ كلٌّ يعمل على شاكِلته ، فربُّكم أعلم بمن هو أهدى سبيلًا ، قال : فأرسل مَرْوان إلى المِسْوَر فقال له : إنى زُجِرْتُ عنك فى المنام ، وأخبره بالذى رأى ؛ فقال له المِسْوَر : لقد نهيت عنّى فى اليَقَظة والنّوم ، وما أراك تنتهى .

---

(١) كذا فى الأصول ولم نقف على ذكر رملة هذه . وفى نسب قريش ٢٦٢ : أن أم المسور بن مخرمة « عاتكة بنت عوف بن عوف . . . . وأمها الشفاء بنت عوف . . . وهى أم عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن عوف خال المسور بن مخرمة ، أخو أمه لأبيها وأمها » .

(٢) ابن عبد البر : الإستيعاب ٣ : ٣٩٨ ؛ مصعب الزبيرى : نسب قريش ٢٦٣

(٣) من الاستيعاب ، وفى الأصول : « نام فقيل له فى المنام »

﴿ قال ﴾ : وكان المِسْوَر ـ رضى الله عنه ـ يقول : لقد وَارَتِ الأرضُ أقوامًا لو رأونى معكم لاستحييتُ منهم .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى[1] : وعن عَمْرو بن شَدَّاد[2] ، قال : والله إنى لأُصَلِّى أمام المسور ، فصلَّيْتُ صلاة الشَّاب كنَقْر الدِّيك ، فزَحَف إلىَّ المِسْوَر فقال لى : قُم فصلِّ ، فقُلْت : قد صلّيت عافاك الله ، فقال لى : كذبت والله ما صلَّيتَ ولا أَدَعك حتَّى تُصلِّى ، فقمت فصلّيت فأتممت الركوع والسُّجود ؛ فقال المسور : والله لا تعصون الله وأنا أنظر ما استَطَعْت .

١٠٩ : ١ ﴿ قال ﴾ : / وكان إذا قدم مكَّة لم يخرج منها حتَّى يطوف لكلِّ يوم غاب عنها أسبوعًا .

روى أنّه اشترى طعامًا كثيرًا ، فخرج من المسجد يومًا فرأى سحابَ الخريف فكرهه وشَقّ عليه عليه مارأى ، ووقع فى نَفْسه من كراهيته ذلك ، فأمر بالطَّعام فحُمِل إلى السّوق وقال : من جاءنى وَلَّيته[3] بما أَخَذْت ، فأتى عُمر بن الخطَّاب فأخْبِرَ بذلك ، فقال له : ما السَّببُ يا مِسْوَر ؟ فقال : رأيت سحاب الخريف فكرهته ، فرأيت أنّى كرهت ما يَنْفع المسلمين ،

---

(١) الرياض ١ : ٤٦

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الرياض : « عمر بن سداد الليثى » ، ويظهر أنه تحريف لاسم : « عبد الله بن شداد الليثى » . انظر الاستيعاب ٢ : ٣٨٠ ؛ تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٧٢ ؛ الإصابة ٣ : ٦٠

(٣) التولية فى البيع أن تشتري سلعة بثمن معلوم ثم توليها رجلا آخر بذلك الثمن .

فأجمعت على أنِّى لا أَرْبح فيه شيئاً ؛ فقـال له عُمَر : جزَاك الله عن المسلمين خيرًا .

﴿ قلت ﴾ : ذكره المالـكىّ[١] عن [زيد] بن أبى الزرقاء .

﴿ قال ﴾ : شَهد المِسْوَر بن مَخْرَمة فتح إفريقيَّة مع عبـد الله بن سَعْد ، وهو الّذى حرَّض عُثمان على غَزْوها ، قاله أبو العرب بن تَميم[٢] .

وكان سببُ وفاته أنَّه أصابه حَجَر المَنْجَنِيق وهو قائمٌ يصـلِّى فى الحِجْر يوم جاء نعْى يزيد بن مُعاوية إلى مكَّة ، فأقام خمسة أيام ثم مات ، وصلَّى عليه عبد الله بن الزُّبير ، وذلك سنة ثَلاثٍ وستِّين .

﴿ قلت ﴾ : هو خِلاف ما نَقَل المـالـكى[٣] : وكانت وفاته سنة أربعٍ وستين . وما ذكر من تَعْمِيره ، مثل ما نَقَلَ منْ ذكر عمن ذكر ، هو خلاف قول أبى عمر بن عبد البرّ[٤] ، توفِّى وهو ابن [اثنتين][٤] وستِّين سنة . ولم يَحْك العوانِىّ غيره .

﴿ قال ﴾ : حَدَّثنى أبو محمد عبـد الوَهاب بن ظافر ، قال : أخبرنا الحافظ السِّلَفِىّ ، قال : أخبرنا أبو عَبْد الله الرَّازى ، قال : أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد السّعدِى ، قال : أخبرنا عُبَيْد الله بن محمد بن بَطة / العُـكْبَرىّ ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البَغَوى ،

١ : ١١٠

(١) الرياض ١ : ٤٦ ؛ تهذيب التهذيب ٣ : ٤١٣ ؛ وفى الأصول محرف الى : « يزيد » بن أبى الزرقاء .

(٢) طبقات علماء إفريقية ١٢ .

(٣) الإستيعاب ٣ : ٣٩٧

قال : أخبرنا يحيى بن عبد الحميد [الحِمَّانى[1]] ، قال : حَدَّثنى سُليمان ابن بِلال ، عن قيس بن عبد الملك بن قيس بن مَخْرَمة ، عن المِسْوَر ابن مَخْرَمة ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : إيَّاكم والظُّلْم ، فإنَّ الظّلم ظُلمات يوم القِيامة .

ومنهـــم :

٢١ ● جَبَلَة بن عَمْرو الأنصاريّ السَّاعِدِىّ[2] .

يُعَدُّ فى أهل المدينة .

﴿ قلت ﴾ : كان جليلاً فاضِلاً وَرِعًا . قال سُليمان بن يَسار : كان جَبَـلة من فُضلاء الصَّحابة وفقهائهم ؛ شهد فَتْح مِصْر وغزا إفريقيَّة مع مُعاوية بن خُدَيج ، قاله أبو سعيد بن يونس . ووَلَدَ بإفريقيّة ، وشهد صِفّين مع علىّ بن أبى طالِب رضى الله عنه .

قال عبد الله بن وَهْب ، حدّثنا عمرو بن الحارث ، عن بُـكَير

---

(١) تهذيب التهذيب ١١ : ٢٤٣ ؛ ١٢ : ٣٢٢ ؛ وفى الأصول محرف إلى «الجيانى» .

(٢) كذا فى الأصول والاستيعاب ، وهو خلط . فجبلة الذى دخل إفريقية مع معاوية بن خديج وروى عنه خبر النفل ، هو جبلة بن عمرو الأنصارى أخو أبى مسعود الأنصارى ؛ أما جبلة ابن عمرو الأنصارى الساعدى ، فهو من بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة ، لم يدخل إفريقية ، وكان من كبار الثائرين على الخليفة عثمان ، وأول من اجترأ عليه بالقول السيء .

أنظر : ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ٢٤١ ؛ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٣١٧ ؛ ابن حجر : الإصابة ١ : ٢٢٥ (رقم ١٠٨١) ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ١ : ٢٦٩ ؛ الطبرى : التاريخ ٥ : ١١٤ ؛ البلاذرى : أنساب الأشراف ٥ : ٤٧ ؛ ابن حزم : الجمهرة ٣٦٢ ، ٣٦٥

ابن الأشَجّ ، قال : سألت سليمان بن يَسار عن النَّفَل فِى الغَزْو ، فقال : نَفَلَنا مُعاوية بن خُدَيْج بإفريقيَّة ، فأبى جَبَلة بن عَمْرو السَّاعِدِىّ[١] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم - أن يأخذ من ذلِك شيئاً .

روى عنه سُلَيْمان بن يسار ، وثَابِت بن عُبَيْد .

ومنهـــم :

٢٢ ● أبو يحيى ، عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح القُرَشِىّ العامِرى[٢] ؛ واسم أبى سَرْح الُحسَام .

﴿ قال ﴾ : أسلم عبد الله قبل الفَتْح وهاجر ، وكان أخا عُثمان بن عَفّان من الرَّضاع ، وكان يكتب الوَحْىَ للنَّبىّ صلّى الله / عليه وسلم ، وكان فارس بنى عامر بن لُؤَىّ والمقدّم فيهم ، وكان أحد العُقلاء النُّجبَاء من قُرَيْش ، شهد فَتْح مِصْر ، وكان صاحب مَيْمنة عَمْرو بن العاص فى فُتوحاته ، ثُمَّ ولّاه عُثمان غَزْوَ إفريقيَّة سنة سَبْع وعشرين ، فسار إليها من مِصْر فدخلها فى عشرين ألفاً من المُسْلمين ، فيهم جماعة الصَّحابة منهم العبادلة السَّبْعَة ؛ ولذلك تسمّى تلك الغزوة غَزْوة العَبَادلة ، فنَزَل السَّبْخَة التى فى شرقىّ القَيْرَوان ، ولذلك سُمّى المكان باب عَبْد الله

١ : ١١١

(١) كذا فى الأصول ، أنظر الحاشية المتقدمة .

(٢) ترجمة ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٣٦٧ ؛ ابن ماكولا : الاكمال ٢ : ٢٤ ب ؛ المالكى : الرياض ١ : ٤٤ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ١٧٣ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٣٠٩ ؛ النووى تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٦٩ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ١ : ٤

واختطَّ هناك مسجداً يُعرف به ؛ ذكر ذلك أبو بكر المالكيّ[١] .

﴿ قلت ﴾ : الأَقْرَب أنَّه المسجد المُجاوِرُ لمقبرة سُحْنون ، الخراب الآن .

﴿ قال ﴾ : ثمّ سار إلى سُبَيْطِلَة وقتل بها جِرْجير ملك إفريقيَّة ؛ وصالح من بإفريقيَّة من النَّصارى على أَلْفَيْ ألف دينار وخمس مئة ألف دينار وعشرين ألفاً ، وذلك ثلاث مِئَة قنطار ذهباً .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكيّ[١] : وعن عبد الله بن رَبيعة قال : صلى عبدُ الله بن سَعْد الجمعةَ بإفريقيّة ، فلما صلَّى ركعتين سمع جلبةً فى المسجد[٢] فأرعَبَهم ذلِك وظَنُّوا أنه العَدُوّ ، [فقطع][٣] الصلاة [فلم يجد][٤] شيئاً ، ثم خطبَ النَّاس وقال : إنّ هذه الصَّلاة اختُصِرَت . وأمر مؤذِّنه فأقام الصَّلاة ثمَّ أعادها .

﴿ قلت ﴾ : أمره لمؤذّنه بإقامة الصَّلاة مع خُطبته للنَّاس ظاهر فى أنه أعادَها بهم جَماعة ، والأَوْلَى إِعَادته مُنْفَرِدًا ، خاصَّة على طريق الوَرَع ، وعليه يُحمل ما رُوى عن سُحْنون فى إِعادَة الصَّلاة إذا ذكر فيها شىء من أَمْر الدّنيا ، وحسُن منه هذا لنُدور ذلك منه ، بخلاف حالنا نحن ، والله أعلم .

---

(١) الرياض ١ : ٤٤

(٢) فى ع : « فى العسكر » .

(٣) من الرياض ، وفى الأصول : « فقصر » .

(٤) من الرياض ، وهو ساقط فى الأصول .

﴿ قال ﴾ : ولمّا بلغه / موت عُثْمان وحصول الفِتْنة ، سـار إلى الرَّمْلَة وقيل إلى عَسْقَلاَن واعتزَل الفِتْنَة . ١ : ١١٢

حدّثنى أبو الحسن علىّ بن هِبَـة الله الخطيب ، قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهانىّ ، قال : أخبرنا محمدّ بن أحمد الرازى ، قال : حدّثنا محمد بن أحمد السّعدىّ ، قال : أخبرنا عبيدُ الله [بن محمد] ابن بّطة ، قال : أخبرنا عبـد الله بن محمد البَغَوِىّ ، قال : حدثنا عَمْرو ابن خالد الحَرَّانِىّ ، عن ابن لَهيعة ، عن عَيَّـاش ، بن [عَبَّاس][1] ، عن الَهيْثم بن [شَفِى][2] ، عن عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح ، قال : بَيْنَمَا رسول الله صلى الله عليه وسـلم وعشرة من أصحابه على جَبَل حِرَاء ، وهم أبو بكر وعثمان وعلىّ والزبير وغيرهم ، إذ تحرَّك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسكنْ حِرَاء ، فلَيْس علَيْك إلا نبىٌّ أو صدِّيق أو شَهيد .

ولمّا حضَرَتْه الوفَاةُ قال : اللّهم اجعل خاتِمةَ عملى صلاة الصُّبح ؛ فلمّا طلع الفجر من يوم وفاته ، توضَّأ ثم صلَّى الصّبح ، فقرأ فى الرّكعة الأولى بفاتحة الـكتاب والعَـادِيات ، والثّانية بأمِّ القرآن وسُورةٍ ،

---

(١) صحف فى الأصول إلى : « عياش » ، وهو ابن عباس القتبانى (بكسر القاف وسكون التاء) الحميرى ، أنظر تهذيب التهذيب ٨ : ١٩٧

(٢) حرف فى الأصول إلى: « الهيثم بن سعيد » وهو غير معروف، ولم يرد فيمن روى عن عبد الله بن سعد ، والصواب ما أثبت ، وهو أبو الحصين الحجرى المصرى ممن شهد فتح مصر . أنظر تهذيب التهذيب ١١ : ٩٨ ؛ الجرح والتعديل ٤/٢ : ٧٩

ثمّ سلَّم عن يَمينه ، ثمّ ذهب يُسَلِّم عن يَساره فقبض الله روحَه . ولم يُبايع لعليٍّ ولا لمُعاوية . ذكر ذلك يزيد بن أبي حبيب .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر من أنّ السُّورة في الرّكعة الأولى هي العاديات خلاف نقْلِ المالكي عنه ، أنها والذّارِيات .

﴿قال﴾ : وكانت وفاته سنة ستّ أو سبع وثلاثين ، قبل اجتماع الناس على مُعاوية .

﴿ قلت ﴾ : واختلف أين توفّي ، فقيل بإفريقيَّة ، والصّحيح بعَسْقَلان ، والله أعلم .

١ : ١١٣ / ومنهـــم :

٢٣ ● مُعاوِية بن خُدَيْج(١)

بضمّ الخاء المُعْجَمة وفَتْح الدّال من خُدَيج . وهو مُعاوية بن خُدَيْج ابن [جَفْنَة بن قُتَيرة](٢) بن حَارِثة بن عَبْد شَمْس بن مُعاوية ابن جَعْفر بن أُســامة بن سَعْد بن أَشْرس بن [شبيب](٣)

---

(١) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٧/٢ : ١٩٥ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ : ٣٨٦ ؛ المالكي : الرياض ١ : ٥٩ ؛ ابن حزم : الجمهرة ٤٢٩ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٣٨٣ ؛ المزى : تهذيب الكمال ٦٧١ أ ؛ ابن حجر الإصابة ٣ : ٤١١ ؛ تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٠٣ ، التقريب ٤٩٨ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ١٠١ ؛ الذهبي : التجريد ٢ : ٨٩ ؛ الأسدى : المؤتلف والمختلف ٤٦

وقد انفرد أبو زيد الدباغ بضبطه هذا لاسم « خديج » مصغراً فالتزمته ، وورد فى أكثر المصادر المتقدمة ــ بالخاء المعجمة أيضا ــ بدون ضبط . وأثبت ابن ماكولا فى الإكمال والذهبي فى المشتبه هذه الصيغة بفتح الخاء المعجمة غير مصغرة وفى غير آباء معاوية ، وذكرا « حديجاً » والد معاوية بالحاء المهملة مصغرا ، وهو ماضبطه ابن حجر فى الإصابة بالحرف .

(٢) من الإكمال والجمهرة وأسد الغابة ، وفى الأصول مصحف إلى : « عقبة بن قنبر » .

(٣) المصادر المتقدمة ، وفى الأصول : « شعيب » .

ابن السَّكون [بن أَشْرَس][1] بن كِنْدى ؛ السَّكونى الكِنْدِىّ .
هكذا سرد نسبه أبو نَصْر بن ما كولا[1] الكَرْجِىّ رحمه الله . فمن
نَسب مُعَاوِيَة بن خُدَيْج إلى جَدِّه الأقرب قال : السَّكونىّ ، ومن
نسبه إلى جدّه الأبعد قال : الكِنْدِىّ . قال العَوَانىّ : وكِلاهما صواب ،
وإنما رَفَعْنا[2] نسبه كما تقدّم ليتبيَّن صحة قول من قال الكِنْدىّ
وقوْل من قال السَّكونىّ لأن الفقه أبا زيد الدبّاغ ـ رحمه الله ـ وغيره ،
قال : السَّكونى أصح ؛ وكلّ ذلك عندى صحيح وصواب .

﴿ قلت ﴾ : هذا فيه نظر[3] ، لأن لفظه مُعاوية بن خُدَيج
السَّكُونِى الكِندى ويقال التُّجِيبى ، والأول أصَحّ ، فما صَحّحه إنّما
هو بالنِّسبة إلى قَوْل من قال التّجُيبى ، ولم يرجِّح سَكُونىّ من كِنْدىّ ،
بل نسبه بها . واختلِفَ فى كُنْيته فقيل يكنى أبا عبد الرَّحمن ،
وقيل يكنى أبا نُعَيم . وفَدَ على النّبىّ صلى الله عليه وسلم .

﴿ قال ﴾ : شهد فَتْح مِصْر ، وكان هو الوارد بفَتْح الإسكندريَّة
على عُمَر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ثم غَزا إفريقيَّة ثلاث مرات ، إحداهنّ
سنة أربع وثلاثين فى خلافة عُثْمان ، فنزل بمكان القَيْروان اليَوْمَ ، واحتفرَ
بها آبارًا / تُسَمّى آبار خُدَيْج إلى الآن ؛ غلب [عليها][4] اسم أبيه ، وهذه الآبار ١ : ١١٤

---

(١) الأكمال ١ : ١٩١ أ
(٢) فى ع ، ش : « رفعنا من نسبه »
(٣) كل تجيبى سكونى ، وكل سكونى كندى . أنظر أسد الغابة .
(٤) فى الأصول : « عليه » والتصويب من الرياض ١ : ٦٠ وفيه : « فلب عليها اسم أبيه حديج »

خارِج باب تُونس مُنْحرفة عنه إلى الشَّرْقىّ عند مُصلَّى الجنائز . وكان معه فى هذه الغَزْوة عبد الله بن عُمَر وعبد الله بن الزُّبير وجَبَلة بن [عَمرو] السَّاعِدىّ[1] وأبو زَمْعَة البَلَوِىّ ، فمات أبو زَمْعَة ودفن بالبلويَّة أحد مقابر القَيْروان الآن ، سُمِّيت به . وفى هذه الغَزْوة ماتَتْ بنتُ عبد الله بن عُمر بن الخطاب ودُفنت بباب سَلَم الآن ؛ ثمَّ غزا مُعَاوية إفريقيَّة سنَة إحدى وأَربعين[2] ، وسنة خَمْسِين ، فى إحداهما نزل القَرْنَ وأقام به ثلاثة أعوام وبنَى هُنالك بيُوتاً وذلك قبل أن تخطَّ القَيْروان ، وفتح بها جلولاء .

﴿ قلت ﴾ : الثّانية والثّالثة كانتَا فى خلافة مُعَاوِيَة بن أَبى سفيان ، وفَتْح جلولاء كان فى مدّة عبد الملك بن مَرْوان ، فتوجَّه فى أَلْف رَجُل إليها فحاصرها وقتل منها عددًا كثيراً حتى فتحها المسلمون عَنْوةً بعد أن وقعت ناحِيَةٌ منها وقتل من قَاتَل منهـا من المُقاتِلَة . وقسم الفَىْء بين المسلمين معاوية بن خُديج ، فيقال إنَّه أصاب كلّ رجل منهم مِئَتَىْ مِثْقال . وما ذكر الشّيخ أن بنت عبد الله بن عمر ماتت فى الغزوة الأولى : قال العوانِىّ : لم أَرَهُ لغيره ؛ ولكنَّهُ ذكر فى كتابه المسمَّى بالأعتِناء والاهتمام ، فى تَوارِيخ مُلوك الإسلام ، أنهـا توفِّيت فى سنة خمس وأربعين .

---

(١) فى الأصول : « عمر الساعدى » . أنظر الترجمة رقم ٢١ ، صفحة ٣٦ ، الحاشية ٢ ؛

(٢) كذا فى الأصول وتهذيب الكمال ؛ وفى فتوح مصر ١٩٤ وطبقات أبى العرب ١٥ ورياض النفوس ١ : ٥٩ : « سنة أربعين »

وذكر أنها غزوته الثانية إلى إفريقية . والذى حكاه الطّبَرِىّ[١] وغيره من أهل العناية بهذا الشأن أنها هى / الغَزْوَة الثَّالِثَة وهى سنة خمسين لا الثّانية ؛ والله أعلم بحقيقة ذلك. قال المالكى[٢] : وكان أعْور ، ذهبَتْ عينُه يوم دُمْقُلَة من بلد النُّوبَة مع ابن أبى سَرْح . ١ : ١١٥

﴿ قال ﴾ : حدّثنا أبو الفضل أحمد بن محمّد السَّعْدِىّ ، قال : أخبرنا أبو طاهر الأصبهانى ، قال : أخبرنا محمّد بن أحمد بن عيسى السعدىّ ، قال : أخبرنا عُبَيد الله بن محمد العُكْبَرِىّ ، قال : أخبرنا أبو القاسم البَغَوِىّ ، قال : حدّثنا عبد الأعْلَى بن حَمّاد [النَّرْسِى][٣] ، قال : حدّثنا وَهْب بن جرير ، قال : سمعت يحيى بن أيّوب ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سُوَيد بن قَيْس ، عن مُعاوية بن خُدَيْج ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : غَدْوَةٌ فى سبيل الله أو رَوْحة خيرٌ من الدّنيا وما فيها .

روى عنه وَلدُه عبد الرّحمٰن بن معاوية ، وعُلَىّ بن رَبَاح اللّخْمىّ ، وعبد الرحمٰن بن شَماسَة المَهْرى ، وعُرْفُطَة بن عَمْرو وسُوَيْد بن قَيْس.

---

(١) لم يذكر الطبرى فى حوادث سنة ٥٠ شيئاً من ذلك (التاريخ ٦ : ١٣٤ ــ) وإنما ذكر أن معاوية عزله عن مصر وعزل عقبة بن نافع عن إفريقية وجمع ولاية مصر والمغرب لمسلمة بن مخلد الذى أناب عنه فى حكم إفريقية مولاه أبا المهاجر دينار .

(٢) الرياض ١ : ٥٩

(٣) أنظر تهذيب التهذيب ٦ : ٩٣ ؛ ١٢ : ٣٣٥ ، وفى الأصول محرف إلى : « التونسى » .

﴿ قلتُ ﴾ : وروى أنّ عبد الرحمٰن بن شَمـاسة المذكور ، قال : دخَلْنا على عائِشة فسألتنا كيف كان أميركم هذا وصاحبكم فى غزَاتِـكم ؟ — تعنى معاويةِ بن خُديج — فقلنـا : ما نقِمْنا عليه شيئاً ؛ وأثْنينا عليه خيراً ، وقلنا : إن هلك بعيرٌ لنا خَلَف بعيراً ، وإن هلك فرسٌ خلف فرسًا ، وإن أَبِقَ خادمٌ خلف خادمًا ؛ فقالت حينئذ فى بعض حَديثها : سَمِعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : اللّهم من رَفَق بأُمّتى فارفُقْ به ، ومن شَقّ عليهم فاشقُقْ عليه .

﴿ قال ﴾ : توفّى معاوية بن خُديج سنة اثنتين وخَمْسين .

١ : ١١٦ / ومنهـــــم :

٢٤ ● المطّلب بن أبى وَدَاعة السَّهْمِى[١]

واسم أبى وَدَاعة ، الحارثُ بن [صُبَيرة][٢] بن سعيد [بن سعد][٣] ابن سَهْم .

﴿ قال ﴾ : أسْلم يوم فَتْح مكّة ثم نَزل الكوفَةَ .

﴿ قلت ﴾ ثمّ نزل بعد ذلك المدينةَ وله بها دارٌ . وروى عنه

---

(١) ترجمه ابن عبد البر : الإستيعاب ٣ : ٣٩٢ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/١ : ٣٥٨ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٥٠ ؛ أبو العرب : الطبقات ١٤ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٣٧٤ ؛ المزى تهذيب الكمال ٦٦٧ ب ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٤٠٥ ؛ تهذيب التهذيب ١٠ : ١٧٩ ؛ الذهبى : التجريد ٢ : ٨٦

(٢) يصحف فى الأصول إلى : « حبيرة » أنظر المصادر المتقدمة .

(٣) زيادة من تهذيب الكمال وتهذيب التهذيب .

أهلُ المدينـــة ، وهو مَعْدُودٌ فى جُملة الصَّحابة ـ رضى الله عنهم ـ ، وأدخله مالكٌ فى مُوَطَّئه[1] من طريق ابن شِهاب ، عن السَّائب ابن يَزيد ، عن المُطَّلِب بن أبى وَداعة السهمى ، عن حَفْصة [زوج النّبىّ][2] ، أنّها قالت : ما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم [صلّى فى][3] سُبْحَتِه قاعداً قَطُّ ؛ حتّى كان قَبْل وَفاته بعام ، فكان يُصلّى فى سُبْحَته قاعِـداً ، ويقرأ بالسّورة ، فيرتّلُها حتّى تـكونَ أَطْوَلَ مِنْ أطولَ مِنْها .

قال أبو سَـعيد بن يونس ، وروى المُطَّلِبُ بن أبى وَدَاعة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى الطّواف بالبيت . قال أبو عُمـــر ابن عبد البر[4] : روى عن المطلب بن أبى وَدَاعة ، المطّلبُ بن السَّائب ابن أبى وداعة ، وغيره ، وروى عنه ابناه : كثير ، وجعفر .

﴿ قال ﴾ : غزا إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد فى جَمْع من بنى سَهْم . ذكره أبو سعيد بن يونس فيمن غزا إفريقية .

حدّثنى أبو محمد عبد الوهاب بن ظافِر ، قال : أخبرنا الحافِظ السِّلَفى ، قال : أخبرنا أبو عبد الله الرّازى ، قال : أخبرنا أبو الفضل السَّعْدِىّ ، قال : أخبرنا أبو محمـــد بن بطّة ، قال : أخبرنا أبو القاسم البَغوى ،

---

(١) الموطأ : كتاب صلاة الجماعة . (باب ما جاء فى صلاة القاعد فى النافلة) ١٣٧

(٢) من رواية الموطأ . وفى الأصول : « أم المؤمنين » .

(٣) فى الأصول : « يصلى » . والسبحة (بضم السين وسكون الباء) : الدعاء ، وصلاة التطوع ، والنافلة .

(٤) الاستيعاب ٣ : ٣٩٣

١ : ١١٧ قال : أخبرنا زُهَيْر / بن محمد ، [عن عبد الرازق][(١)] ، عن مَعْمَر ، عن طاوس[(٢)] ، عن عِكْرمة [بن][(٣)] خالد ، عن المطّلب[(٣)] بن أبي وَداعَة ، قال : رأيت النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم سَجَد فى ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ ، وسجد النّاسُ معه ، ولم يسجد يومئذٍ كافرٌ ؛ فلا أدَعُ السجودَ فيها أبداً .

ومنهـــــم :

٢٥ ● رَبيعة بن عِبَاد الدُّؤَلِيّ[(٤)]

﴿قال﴾ : بكسر العَيْن من عِباد ، والتّخفيف .

---

(١) فى الأصول : « البغوى ، عن زهير بن محمد الوراق عن معمر » وهو مضطرب ؛ فزهير شيخ البغوى : هو زهير بن محمد بن قمير (بضم القاف مصغراً) روى عن عبد الرزاق ابن همام بن نافع الحميرى ؛ وهو الذى صحف جزء من اسمه إلى : « الوراق » . وقد روى عبد الرازق هذا عن معمر بن راشد الأزدى . أنظر تهذيب التهذيب ٣ : ٣٤٧ ؛ ٦ : ٣١٠ ؛ ١٠ : ٢٤٣ ؛ تهذيب الأسماء واللغات ٢ : ١٠٧

(٢) كذا فى الأصول ، وهو طاوس بن كيسان اليمانى ، ولم يرد فى شيوخ معمر ابن راشد ، وإنما رواية معمر عن ابنه عبدالله بن طاوس . أنظر تهذيب التهذيب ٥ : ٢٦٧ ؛ ١٠ : ٢٤٤ وقد مات طاوس سنة ١٠٦ هـ ، وكانت وفاة معمر سنة ١٥٣ هـ عن ثمان وخمسين سنة . أنظر تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥١ ؛ ٢ : ١٠٧ .

(٣) فى الأصول : « عكرمة عن خالد عن المطلب » محرفا ؛ وهو عكرمة بن خالد ابن العاص المخزومى القرشى ، روىعنه ابن طاوس ؛ وفى التهذيب أنه روى عن جعفر بن المطلب ابن أبى وداعة ، ولم يذكر فى شيوخه المطلب .

أنظر التهذيب ٧ : ٢٥٨ ؛ تهذيب الأسماء ١ : ٣٤٠

(٤) ترجمه ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/٢ : ٤٧٢ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٥١ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٢ : ١٦٩ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ٤٩٦ ؛ ابن حجر : الإصابة ١ : ٤٩٦ ؛ ابن ماكولا : الإكمال ٢ : ١١٢ أ ؛ الذهبى : التجريد ١ : ١٩٢ ؛ البخارى : التاريخ الكبير ٢/١ : ٢٥٦ من بنى الديل بن بكر بن عبد مناة ، رهط أبى الأسود الدؤلى ، فى رسم نسبته خلاف ، أنظر ابن حزم : الجمهرة ١٨٤ ؛ اللسان ١٣ : ٢٤٨ ، ٢٧٠ ؛ (دأل . ديل) ؛ تاج العروس ٧ : ٣٢٧ (دأل) ؛ السمعانى : الأنساب ٢٣٣ أ ؛ =

﴿ قلت ﴾ : قال العَوَانِيّ : ويُقال بتشديد الباء ؛ والتّخفيف أكثر .
مدنِيٌّ روى عنه محمّد بن المُنْكَدِر ، وأبو الزّناد ، وبُكَيْر بن الأَشَجّ ، وسعيد بن خالد القارِظِيّ[١] ، وزَيْد بن أَسْلَم ، وغيرهم .

﴿ قال ﴾ : شهِد فَتح إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح[٢] ؛ قاله أبو سَعيد بن يُونس وغيره .

حدّثنى أبو القاسم بن مكّى ، قال : حدثنا أبو طاهر أحمد بن محمّد الحافظ ، قال : أخبرنا أبو عبد الله الرازى ، قال : أخبرنا أبو الفَضْل السَّعْدِيّ ، قال : أخبرنا أبو محمّد بن بَطّة ، قال : أخبرنا أبو القاسم البَغَوِيّ ، قال : أخبرنا محمّد بن عبد الملك بن أبى الشَّوارِب ، قال : حـدثنا سعيد بن سَلَمة بن أبى [الُحسام][٣] ، قال : حدثنى محمّد ابن المُنْكَدِر أنّه سمع رَبيعة بن عِبَاد الدُّؤَلِى يقـول : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطوف على النـاس بِمِنًى فى منازلهم قبل أن يُهاجر إلى المدينة ، يقول : ياأيُّها النَّاس ، إن الله يأمركم أن تَعْبدوه ولا تُشركوا به شيئاً ، قال : ووراءَهُ رجل يقول : ياأيُّها الناس ،

=وفيه أوجه ، فقيل : الديلى ، الدئلى ، الدؤلى بضم ثم فتح فراراً من توالى الـكسرات (الذهبي : المشتبه ٢٩٢) وهذا الآخير هو الأشهر ، فالتزمته . وانظر ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ١٢

وفى الأصول : « الدولى » على طريقة القدماء فى عدم التقيد بإثبات الهمز ؛ وتقدم الاسم فى صفحة ٣٣ : « الديلى » .

(١) مصحف فى الأصول الى : « الفارطى » و « القارطى » . أنظر التهذيب ٤ : ٢٠
(٢) تقدم فى صفحة ٣٣ رواية الواقدى عنه لفتح إفريقية .

(٣) محرف فى الأصول إلى : « سعيد بن أبى سلمة بن أبى الحمام » . أنظر تهذيب التهذيب ٤ : ٤١

١ : ١١٨ إنَّ هذا يأمرُكم أن تتركوا دِينَ/آبائكم . فسألتُ : من هذا ؟ فقيل : أبو لَهَب .

وعَمَّر رَبيعَةُ هــذا عمراً طويلًا ، ولم أَقِفْ لَهُ على تاريخ وفاته رحمه الله .

﴿ قلت ﴾ : وقال الأمير الأجلّ ، أبو نَصْر عليّ بن هِبَــة الله ابن ماكُولا الـكَرْجِيّ ـ رحمه الله ـ فى تاريخه المسمى بالإكْمال فى رَفْع عارض الارتياب عن المُؤتَلِف والمُخْتَلِف من الأسماء والـكُنَى والألقاب[1] : توفّى رَبيعة بن عِبَاد الدُّؤَلى بالمدينة فى ولاية الوَليد بن عبد المَلِك .

وانظر لِمَ لَمْ يقل الشيخُ فى المّطِلب الَّذى قَبْــله ، ولم يقف على تاريخ وفاته ، إذ لو وقف عليه لذكَره .

ومنهــــم :

٢٦ ● زِيادُ بن الحارِث الصُّدائى[2]

وصُدَاء حَىٌّ من اليَمَن . وهو حَليفٌ لبنى الحـارث بن كَعْب ، يُعدُّ من المصرِيِّين وأَهْل المَغْرب ، دخل إفريقيَّة وشهد المَغازى .

---

(١) الإكمال ٢ : ١١٢ أ .

(٢) ترجمة ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/٢ : ٥٢٨ ؛ ابن سعد : الطبقات ٢/٧ : ١٩٥ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ٥٦ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ٥٤٧ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٢ : ٣١٣ ؛ المزى : تهذيب الـكمال ٢٢٠ ب ؛ ابن حجر : الإصابة ١ : ٥٣٨ ؛ تهذيب التهذيب ٣ : ٣٥٩ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٩٨ ؛ الذهبى : التجريد ١ : ٢٠٨

﴿ قال ﴾ : رُوى عنه أنَّه قال : أتيتُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبايعتُه على الإسلام ؛ وبعث جيشًا إلى صُدَاء فقلت : يا رسول الله ، أردد الجيشَ وأنا لَكَ بإسلامهم ، فردَّ الجيش ، وكتبت إليهم ؛ فأقبل وفدُهم بإسلامهم ، فقال رسول الله : يا أخا صُدَاء ، إنَّك لمُطاعٌ فى قَوْمِك ، فقلت : بل الله هَداهم . وقلت : ألاَ تؤمِّرْنى عليهم ، فقال : بَلَى ، ولا خير فى الإمارة لرجلٍ مُؤمن ، فقلت : حسْبى .

وحدثنى أبو القاسم بن مكّى بن الحاسب ، قال : أخبرنا جدِّى الحافظ أبو طاهر ، قال : أخبرنا محمد بن [أحمد][1] الرّازى ، قال : أخبرنا/ أبو الفضل السَّعدى ، قال : أخبرنا [عُبَيْد][2] الله بن محمّد بن بطَّة ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا داود بن رُشَيْد ، قال : أخبرنا مَرْوان بن مُعاوية الفَزاريّ ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن زِياد بن أنْعم [قال : حدّثنا زياد بن نُعَيم][3] الحَضْرمى ، عن زياد بن الحارث الصُّدائىّ : أنه كان مع رسول الله فى سفرٍ ، فتفرّق عنه أصحابه وثبتُّ معه ، فأمرنى فأذَّنْت لصلاة الغَداة ، فلمّا لحقه النَّاس أراد بِلالٌ أن يُقيم ، فقال رسول الله : يابِلال ، إن أخا صُدَاءٍ أذّن ، ومن أذن فهو يقيم .

١ : ١١٩

(١) فى الأصول : « محمد » .

(٢) فى الأصول : « عبد الله » ، وهو ابن بطة العكبرى راوى البغوى، وقد تقدم .

(٣) ساقط من الأصول . أنظر التهذيب ٣ : ٣٥٩ ، ٣٦٦ ، ٦ : ١٧٣

ورواه التِّرمذىّ[١] عن هَنَّاد عن عَبْدَة [و يَعْلى][١] عن عبد الرّحمٰن بن زِياد بن أنعَم بمَعْناه .

﴿ قلت ﴾ : زادَ المالِـكى[٢] فى حديث زياد هذا بعد أن لحقه أصحابه فقال له عليه الصلاة والسـلام : هل من ماءٍ ياأخا صُدَاء ؟ فقلت لا ، إلاَّ شىءٌ قليل لا يكفيك ، قال اجعله فى إناء ثم ائْتنى به ، فقلت : نعم ، فوضع كفَّه فى الإناء ، فرأيت من بين [كلّ] إصبعين من أصابعه عينًا تَفُور ، فقـال : لولا [أنى] أستحيي من ربِّى يا أخا صُداء ، لسقينَا [وأسقينا] ، نادِ فى أصحابى من له حاجة بالماء ؟ فناديتُ فيهم ، فأَخذ من أراد منهم ، فأراد بلالٌ أن يقيم ، إلى آخر ما تقدم . وقلتُ : يانبىّ الله إنّ لنا بئْرًا إذا كان الشّتاء وسعنا ماؤُها واجتمعنا ، وإذا كان الصَّيف قلَّ ماؤُها وتفرّقْنا على مياهٍ حولَنا ، وقد أسلمنا وكلُّ مَنْ حولَنـا عدوٌّ لنا ، فادعُ الله لنا فى بئْرنا أن يَسعنا ماؤها فنجتمع عليهـا ولا نتفرّق ، فدعا بسبع حصيَّات فعركهـا فى يده ودعا فيهن ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيَّات / فإذا أتيتمُ البئْر فألقوها واحدةً واحدة ، واذكروا اسم الله . ٣ : ١٢٠

قَال الصُّدائِىّ : ففعلْنَا ، فما استَطَعْنا بعد ذلك أن نَنْظر إلى قعر البِئر — يعنى من كثرة الماء — .

---

(١) صحيح الترمذى ، أبواب الصلاة . باب ما جاء أن من أذن فهو يقيم ١ : ٣١٥

(٢) الرياض ١ : ٥٧ والزيادة منه .

ومنهـــــم :

٢٧ ● أبو اليَمْن ، سُفْيان بن وَهْب الخَوْلاَنيّ [١]

﴿ قال ﴾ صحب النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، وحجَّ معه حَجة الوَدَاع ، وشهد فتح مصر ، ودخل القيروان فى زمن عبد العزيز بن مَرْوان سنة ثمانٍ وسَبْعِين . وقال محمد بن سُحْنون فى تاريخه : إنّ سُفْيان بن وَهْب غزا إفريقية سنة سِتّين .

﴿ قلت ﴾ : يعنى أميراً لعبد العزيز ، وكذلك هو المراد فى القول الأوّل ، لنصّ غيره بذلك ، فهما نَقْلان وليس ذلك باختلاف عندى ، لدخوله أميرًا فى السِّتّين عمَّن ذكره .

﴿ قال ﴾ : وروى غِيَاث بن أبى شبيب [٢] ، قال : كان سفيان ابن وَهْب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يمرُّ بنا ونحن غِلْمَة بالقيروان ، فيسلِّم علينا [ونحن] [٣] فى الكُتَّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خَلْفِه . ذكر ذلك الدَّارَقُطْنِى .

---

(١) ترجمه البخارى : التاريخ الكبير ٢/٢ : ٨٩ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/١ : ٢١٧ ؛ ابن سعد : الطبقات ٧/٢ : ١٥٢ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٥٨ ؛ ابن عبد الحكم : الفتوح ٣٠٧ ـ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٦٦ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٢ : ٣٢٣ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٥٦ ؛ الذهبى : التجريد ١ : ٢٤٤ : ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ١١٩

وفى أسد الغابة والتجريد والإصابة : « أبو أيمن » .

(٢) كذا فى الأصول وهو من الاستيعاب ، وغياث هذا هو غياث الحبرانى ، (بضم الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة) سمع منه مبشر بن إسماعيل ، وله عنه هذا الخبر . أنظر البخارى : التاريخ الكبير ٢/٢ : ٨٩ ، ٢/٣ : ٥٧ ، ٤ : ١٠٩ ؛ الذهبى : المشتبه ٤٤٠ .

(٣) من الاستيعاب .

حَدّثنى أبو الحسن أحمد بن محمّد الأنصارِىّ ، قال : أخبرنا أبو القاسم خَلَف ابن عبد الملك بن بَشْكُوَال ، قال : حدّثنا أبو محمد عبد الرحمٰن بن محمد ابن عَتّاب ، عن أبيه ، عن سُلَيمان بن خَلَف بن عَمْرون ، عن أبى عبد الله محمّد بن معلى بن منصور . . . .[١] ، قال : حدّثنا ابن لَهِيعَة ، قال : حدثنا يَزيد بن أبى حَبيب ، عن المغيرة بن زِياد ، عن سُفيان بن / وَهْب ، قال : سمعت النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم يَنْهى عن المُزَابَنة — يعنى إذا كان يزيد ليغرّ — ، وأما إذا كان لغير ذلك فجائز .

١٢١:١

وقال أبو سعيد بن يونس بن عَبْد الأَعْلى بإسناد يتّصل بعبد الرحمٰن ابن شُرَيْح ، قال : سمعت سَعِيد بن أبى [شِمْر السَّبَائى][٢] يقول : سمعتُ سفيان بن وَهْب الخَوْلَانىّ يقول : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول : لاَ تأتى المئة وعلى ظهر الأرض أحدٌ باق . قال بعض رُوَاة هذا الحديث : ذُكِرَ هذا الحديث لعبد العزيز بن مَرْوان ، فأمر بإحضار سُفْيان بن وَهْب الخَوْلَانىّ ، فجِىءَ إليه محمولاً وهو شَيْخ كبير ، فسأله عن هذا الحديث فحَدَّث به ، فقال عبد العزيز : لعلَّ معناه ، لا يبقى أحد مِمَّنْ أدركنى إلى رأس المئة ، فقال سُفْيان : هكذا سمعت رسول الله .

---

(١) كذا فى الأصول ، وقد تقدم هذا السند أثناء ترجمة المقداد بن عمرو ، فى صفحة ٧٤ ؛ وهو سند أندلسى معروف لمسند أبى بكر أحمد بن عمرو البزار البصرى (أنظر فهرست ابن خير ١٣٨) ؛ ولم نعرف منه أبا عبد الله محمد بن معلى بن منصور هذا ، ولعله تحريف لاسم أبى عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج الذى روى عن محمد بن أيوب الرقى عن البزار . أنظر الحميدى : جذوة المقتبس ٣٨

(٢) محرف فى الأصول إلى : « سعيد بن أبى شمس الشيبانى » أنظر البخارى : التاريخ الكبير ٢/١ : ٤٤١ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/١ ٣٤ ؛ ٢١٧

يقول : وذكر المحاسبى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنّه لمّا بلغه هذا الحديث ، قال : إنما أراد النّبىُّ بذلك نُقْصانَ للعمر . واستحْسَنَ ذلك المُحاسِبىّ .

﴿ قال ﴾ : روى عنه أبو الخَيْر اليَزَنى ، وأبو عُشّـانَة المُعَافِرِىّ ، وسعيد بن أبى [شِمْرٍ] . وذكر أنه تُوفّى فى سنة اثنتين وثمانين[١] . أعاد الله علينا من بركاته .



ومنهـــــم :

٢٨ ● أَبْيض بن حَمَّال السَّبائىّ المَأْرِبِىّ[٢]

بحاء مُهْمَلة وميمٍ مشدّدة ، ابن حَمَّال ، وبالرّاء والباء المعجمة بواحدةٍ / من مأرِب — مأْرِب اليَمَن — ويقال إنه من الأَزْد[٣] .

١ : ١٢٢

﴿ قال ﴾ : دخل أَبْيض هذا إفريقيّة ، وهو معدود منها ومن أَهْل مصر . قال أبو سعيد بن يونس : روى ابن لَهيعة ، عن بَـكْر بن سَوَادَة ،

---

(١) نقله من الرياض ، وفى التجريد وعلى حاشية النسخة ش : أنه مات سنة أحدى وتسعين .

(٢) ترجمه ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ٥٨ ؛ البخارى : التاريخ الـكبير ١/٢ : ٥٩ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/١ : ٣١١ ؛ ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٨٢ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ١ : ١١٦ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ٦١ ؛ ابن ماكولا : الإكمال ١ : ٢٢٣ أ ؛ ٢ : ٢٨٠ أ ــ وضبط حال بتخفيف الميم ــ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ١ : ٤٥ ؛ المزى : تهذيب الـكمال ٣٦ أ ؛ ابن حجر : الإصابة ١ : ٢٩ ؛ تهذيب التهذيب ١ : ١٨٨ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ١٠٧ وفى الأصول : « الوارنى » .

(٣) الإكمال ؛ وفى تهذيب الـكمال للمزى : « قال عبد الرحمن بن إدريس اليمانى : هو من الأزد ممن كان أقام بمأرب من ولد عمرو بن عامر » .

عن سَهْل بن سعد ، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم غيَّرَ اسمَ رجُل كان اسمه أَسْوَدَ فسمَّاهُ أبيضَ ؛ أظنّه هذا .

وحدّثنا أبو الحسن أحمد بن محمّد الأنصاريّ ، قال : أخبرنا أبو القاسم ابن بَشْكُوَال ، عن أبى محمّد عبد الرحمٰن بن محمّد بن عتّاب ، عن القاضى أبى عمر بن محمد الزّهراوى ، قال : أخبرنا القاضى أبو المطرف عبد الرحمٰن ابن محمد بن نفيس ، عن أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مُفَرِّج ، عن أبى سعيد عبد الرحمٰن بن أبى الغمْر ، قال : حدثنا أبى ، قال: حدثنا ابن وَهْب ، قال: حدثنا عمرو بن الحارث ، وابن لَهيعة ، عن بكر بن سَوادة ، أن موسى بن الأشعث حدَّثهم : أنّ الوليد بن عَنْبَسة ، حدَّثه : أنّه انطلق وأبيض — رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم — إلى رجل يَعودَانه ، قال : فدخلتُ المسجدَ فرأيتُ النَّاس يصلّون ، فقلت : الحمدُ لله الَّذى جمع بالإسلام بَيْن الأَسْوَد والأحمر والأبيض ، قال أَبْيَض : والَّذى نفسى بيده ، لا تقوم السَّاعةُ حتَّى لا تبقى ملَّة إلاَّ ولها منكم نَصيب ؛ فقلت : يرتدّون [وَ] يخرجونَ من الإسلام ؟ قال : لا ، بل يصلُّون بصلاتكم ، ويجلسون مجالسكم ، وهم معكم فى سؤالكم .

وروى التِّرْمِذِيّ(١) ، عن قُتَيْبة بن سعيد ، عن محمد بن يحيى ، قال : حدثنا أبى ، قال : حدثنا ثُمامة بن شُرَاحيل ، عن / سُمَىّ

١ : ١٢٣

(١) الجامع الصحيح ، أبواب الأحكام . باب ما جاء فى القطائع ٦ : ١٤٩ ؛ ورواه البخارى فى الكبير عن صدقة عن محمد بن يحيى .

ابن قَيْس ، عن شُمَيْر ، عن أبيض بن حَمَّال ، أنه وَفَد إلى النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فاستقطعَهُ الملحَ[1] ، فقطَع له ؛ فلما [أن] وَلَّى ، قال رجلٌ من المَجْلس : أتَدْرِى ما قطعتَ [له] ؟ ! إنَّما قطعْتَ لهُ الماء العِدَّ ؛ فانتزَعه منه .

قال : وسأله عمَّا [يحمى][2] من الأراك قال : ما لم [تَنَلْه][3] خِفَافُ الإبل .

وروى عنه [شُمَيْر][4] بن عبد المَدَان ، والوليد بن عَنْبَسَة .

ومنهـــــم :

٢٩ ● أبو اليَقْظان[5]

صاحبُ رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم ، مذكورٌ فى الصَّحابة ، ذكره أبو سعيد بن يونس فى جُمْلة الذين دخلوا إفريقية ، وغـــزا منها صِقِلِّيَة وسكن مصر .

---

(١) كذا فى صحيح الترمذى ، وفى الأصول : فاستقطعه الملح « الذى بمأرب » .

(٢) عن الترمذى ، وفى الأصول . « يجنى » .

(٣) فى الأصول : « تنقله » أخفاف الإبل .

(٤) فى الأصول : « بشير » . أنظر الـكبير للبخارى ٢/٢ : ٢٦٢

(٥) أنظر المالـكى : الرياض ١ : ٦٢ ؛ ابن عبد الحكم : الفتوح ٢٦٧ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/٢ : ٤٦٠ وذكر أن أبا زرعة أخرج لأبى اليقظان حديث أبى عشانة عنه فى مسند المصريين ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٤ : ٢١٦ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٥ : ٣٢٤ ؛ ابن حجر : الإصابة ٤ : ٢١٧ ؛ الدولابى : الـكنى ١ : ٦٢ ، ذكر حديث أبى عشانة ولم يذكر أنه دخل مصر وإفريقية .

﴿ قلت ﴾ : إنَّما ذكره بكُنْيته ولم يسمه كابن عبد البر[١] ، فقد ذكره في الصحابة في كتاب الكنى وفيمن سكن مصر منهم ، ولم يصرِّح باسمه . وقال المالكي[٢] : دخل أبو اليقظان إفريقيّة ، وغزا صِقِلِّيَة . قال أبو سعيد : وذكروا أنّ أبا اليَقْظان هذا هو عَمّار بن ياسِر[٣] ، وذلك عندي وَهْمٌ . يريد لأنّه كُنّي بهذه الكُنْيَة جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو اليَقْظان عَمّار بن ياسِر مولى بني مَخْزُوم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأبو اليقظان عثمان بن [عُمَير][٤] ؛ وروى عنه ليث بن أبي [سُلَيْم][٥] ، وعلى ابن الحَكَم ، ذكرهما مسلم بن الحجّاج القُشَيْرى في كتاب الأسامى والكنى من تصنيفه[٦] ، وذكر ثالثاً كناه ولم يسمه ؛ وروى عنه حكيم بن جُمَيْع / وعَمْرو بن محمّد . وذكر رابعًا ، قال : أكلت الأَرَضَةُ موضع اسمه ونسبه ، وموضع اسم رجلين آخرين من كتاب مكّى ابن عَبْدان[٧] رحمه الله تعالى ، فالله أعلم أيُّهم دخل إفريقية .

١ : ١٢٤

---

(١) الاستيعاب ٤ : ٢١٦

(٢) الرياض ١ : ٦٢

(٣) أنظر ابن عبد الحكم : الفتوح ٢٦٧ ــ ، ذكر أنه دخل مصر أيام عثمان بن عفان ، وأن وفاته سنة ٣٧ هـ .

(٤) في الأصول : « عمر » . أنظر مسلم : الكنى ١٠٤ أ ؛ تهذيب الكمال ٨٢٩ ب .

(٥) في الأصول : « مسلم » أنظر الكنى ١٠٤ أ .

(٦) مسلم : كتاب الكنى ١٠٤ أ .

(٧) هو أبو حاتم مكي بن عبدان النيسابوري ، روى عن مسلم بن الحجاج القشيري كتابه في الكنى والأسماء ، وليس له كتاب خاص به وإنما يعني : في نسخة مكي من كتاب الكنى والأسماء لمسلم .

﴿قال﴾ : قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس[١] : حدّثني أبي ، عن جدّي ، قال : حَدّثنا ابن وَهْب عن عَمْرو بن الحارث أن أبا عُشَّانَةَ المَعافري حدّثه أنّه سمع أبا اليَقْظانِ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بِصِقِلِّيَة يقول : أَبْشِرُوا فوالله لأنتم أشدُّ حبًّا لرَسول الله صلى الله عليه وسلم — ولم تَرَوْه — من عامَّة من رآه .

وأظنّ أنّ أبا اليَقْظان هذا إنّما دخل إفريقيَّة مع مُعاوية بن خُدَيْج لأنّ مُعاوية أوّل من غزا إفريقيّة ، ولم تُغْزَ بعْدَهُ فيما علمتُ حتّى انقضى غزوُ الصحابة لإفريقيّة .

ومنهـــــم :

٣٠ ● أبو عبد الرحمن ، بُسْرُ بن أَرْطَاةَ القُرشيّ العامِريّ[٢]

بضمّ الباء وبالسّين المُهْمَلة ، ويقال : يُسْر باثنتين من أسْفَل ، واسم أَرْطَاةَ عُمَيْر[٣] ويقال عُوَيمر [العامري] ، من بني عامر بن لُؤَي بن غالب .

---

(١) ذكره ابن عبد الحكم عن ابن لهيعة عن أبي عشانة عن عمار بن ياسر . ولم يرد فيه ذكر صقلية ؛ وانظر الرياض .

(٢) ويقال بسر بن أبي أرطاة . أنظر عنه ابن ماكولا : الاكمال ١ : ٥٧ أ ؛ ابن سعد : الطبقات ٧/٢ : ١٣٠ ؛ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ١/١ : ٤٢٢ ؛ المالكي: الرياض ١ : ٥٥ ، وفيه مصحف إلى بشر ؛ ابن عبد الحكم : الفتوح ٢٦٠ — ما روى المصريون عنه — ؛ ابن عبد البر : الإستيعاب ١ : ١٦١ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ١ : ١٧٩ ؛ المزي : تهذيب الكمال ٧٢ أ — ؛ ابن حجر : الإصابة ١ : ١٥٢ ؛ وتهذيب التهذيب ١ : ٤٣٥

(٣) كذا بالأصول ؛ وفي مختصر جمهرة النسب لابن الكلبي ١٠ أ (مكتبة راغب باشا ٩٩٩ — إستانبول) وطبقات ابن سعد والاكمال وتهذيب الكمال : « بسر =

﴿ قال ﴾ : شهد فَتْح مصر مع الزُّبير ، وعُمَير بن وَهْب ، وخارجة بن حُذَافة ، بعثهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه مددًا إلى عَمْرو بن العـاص لفتح مصر ، على اختلاف فيه ، واستعمله مُعاوية على اليَمَن أيام صِفِّين ، وكان بُسْر بن أرطاة من الأَبْطال ، وكان مع مُعاوية بصِفِّين، وأمره أن / يلقى عليًّا رضى الله عنه فى القِتال ، وقال له : إن أَظْفَرك الله به وصرعته حصلت على دُنْيا وأُخرى ، فقصـد عليًّا فى الحرب والتقيا فصرعه علىّ ، وعرض له مثل ما عرض لعلى مع عَمْرو بن العـاص ، فانصرف علىٌّ عنه وتركه .

١ : ١٢٥

قال أبو عمر[1] : وإنما كان [انصراف][2] علىّ عنه وعن أمثاله من مَصْروع أو مهزوم ، لأنّه كان لا يرى فى قتال الباغين عليه من المسلمين أن يَتْبَع مدبِراً ، ولا يُجْهز على جَريح وَلا يَقْتُل أسيراً ، وتلك كانت سِيرته رضى الله عنه فى حروبه فى الإسلام .

وكان لبُسْر بن أَرْطـاة بمصر دارٌ وحَمّام يُعْرفان به .

﴿ قال ﴾ : وعرض له وَسْواسٌ بعد موت عُثْمان واختبـالُ عَقْل ، فصدرت منه أفعال مُنْـكَرة .

= بن أبي أرطاة ــ وقيـل أرطاة ــ بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار ابن معيص بن عامر لؤى بن غالب القرشى » .

(١) الإستيعاب ١ : ١٧٠

(٢) من الإستيعاب ؛ وفى الأصول : « إضراب » .

حَدّثنا أبو القاسم عبد الرّحمن بن مكّيّ بن الحاسب ، قال : أخبرنا أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك الأنصاريّ ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الرّحمن بن محمّد بن عتّاب ، عن القاضى أبى عمرو أحمد بن محمد الزّهراويّ ، عن عبد الرّحمن بن محمد بن نَفيس ، عن أبى عبد الله بن مُفَرِّج ، عن أبى سعيد بن يونس ، قال : حدثنا أبو العلاء الكوفى قال : حدثنا هشام بن عَمّار ، قال : سمعت محمد بن أيُّوب ، عن مَيْسرة ابن [حُلَيس][1] ، يقول : سمعت أبى يقول : سمعت بُسْر بن أَرْطاة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : اللّهمّ أحْسِنْ عاقبتنا فى الأمُور كلّها وأجِرْنا من خِزْى الدّنيا وعذاب الآخرة .

﴿ قلت ﴾ : وزاد ابن عبد البر[2] حديثاً ثانياً له ، وهو : لا تُقْطع الأَيْدى فى المغازِى .

﴿ قال ﴾ :/ وتوفى فى الشّام فى بقيّة أيام مُعاوية . وقيل فى أيام عبد الملك ابن مَرْوان . ١ : ١٢٦

﴿ قلت ﴾ : وقيل كانت وفاته بالمدينة .

* * *

(١) محرف فى الأصول إلى « حسن » ، والتصويب عن الإصابة ١ : ١٥٢

(٢) الإستيعاب ١ : ١٦٢ .

﴿ قال ﴾ : هؤلاء ثلاثون من كِبار أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم منهم من شهد العَقَبة ، ومنهم من شهد بَدْرًا وما بعدها من المشاهد ، ومنهم من شهد بَيْعة الرِّضْوان يوم الحُدَيْبِيَة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلّم تحت الشَّجرة . قال عليه الصلاة والسلام : أنتم اليوم أفضلُ أهل الأرض ؛ وقال : لا يدخل النار أحدٌ بايع تَحْتَ الشَّجرة . ومنهم من صلَّى معه القِبْلَتَيْنِ ؛ وقد نَبَّهْنا فى ترجمة كلٍّ واحد على فَضْله وسابقيَّتِه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

ونحن نردف من ذكرنا من الصَّحابة ، باثنَيْ عَشَر من صِغارهم ممن وُلد على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولَمْ يَرَهُ ، وبعضهم رأه ولم يَسْمَع منه ، وبعضهم كان مسلماً فى حياته ؛ لقوله عليه الصلاة والسّلام : خيرُ القرون قَرْنِى الّذى أنا فيهم . وقد اختلف فى هــذه الطّبقة هل يُعَدُّون صحابةً بالمولد ، أم هم من كبار التّابعين .

فمنهـــم :

٣١ ● عبد الرحمن بن الأسْوَد بن عَبْدِ يَغُوث القُرَشيّ[١]

﴿ قال ﴾ : وكان رجلًا صالحًا فاضلاً . قال أبو العرب[٢] : غزا إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد . ورُوِىَ عنـــه أنه لما بلغه أنّ عثمان أراد أن يستعمله على العِرَاقَيْن ، قال : والله لرَكْعتين أركعهما ، أحبّ إلىَّ من الإمارةَ على العراقَيْن . روى عنه مَرْوان بن الحــكَم .

وروى الزُّهْرِىّ عن / أبى بكر بن عبـــد الرحمن ، عن مَرْوان ابن الحــكَم ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أُبَىّ بن كَعْب ، أنَّ رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ من الشِّعر لَحِـكْمَة . خرَّجه ١ : ١٢٧

---

(١) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢ ؛ ابن عبد البر : الإستيعاب ٢ : ٤١٩ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٢٨١ ؛ المزى : تهذيب الـكمال ٣٨٧ ب ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢ : ٢٠٨ ؛ ابن حجر : الإصابة ٢ : ٣٨٢ ؛ تهذيب التهذيب ٦ : ١٣٩ ؛ الذهبي : التجريد ١ : ٣٦٩

(٢) ذكره فى طبقات علماء إفريقية ١٣ ، ١٨ فيمن دخل إفريقية من بنى زهرة من التابعين .

البخاريّ[١] ، عن أبى اليَمَان ، عن شُعَيب ، عن الزُّهْرِىّ .

﴿ قلت ﴾ : قال العَوانِىّ : ولم أَقِف له على تاريخ وفاة .

ومنهـــــم :

٣٢ ● أبو عُمر ، عاصم بن عُمر بن الخطَّاب[٢]

﴿ قال ﴾ : أمّه جَمِيلَة بنت ثابت بن أبى الأفْلح الأنصارىّ .

﴿ قلت ﴾ : وقيل أمه جَميلة بنت عاصِم ، والأوَّل أكثر .

﴿ قال ﴾ : وُلِدَ عاصِم قبل موت رســول الله صلّى الله عليه وسلّم بسَنَتَيْنِ ، وخاصمت أُمّه فيه أباه عمر بن الخطّاب إلى أبى بكر الصِّدّيق رضى الله عنهما ، وهو ابن أربع سنين ؛ وقال البُخارِىّ[٣] : ابن ثمان سنين .

﴿ قلت ﴾ : وذكر مالك رحمه الله خبرَه فى مُوَطَّئِه[٤] ولم يذكر سِنَّه .

﴿ قال ﴾ : هو جدّ عُمر بن عبد العزيز ؛ لأن أم عُمر بن عبد العزيز أمّ عاصم بنت عاصم بن عُمر بن الخطّاب .

---

(١) الجامع الصحيح ، كتاب الأدب . باب ما يجوز من الشعر والرجز ٨ : ٣٤

(٢) ترجمه ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣/١ : ٣٤٦ ؛ ابن سعد: الطبقات ٥ : ٨ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٨٩ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ : ١٣٥ ؛ أبو العرب : الطبقات ١٤ ، ١٨ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٧٦ ؛ المزى : تهذيب الكمال ٣١٩ أ؛ ابن حجر؛ الإصابة ٣ : ٥٧؛ تهذيب التهذيب ٥ : ٥٢ ؛ المرزبانى : معجم الشعراء ٢٧١ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٥٥

(٣) البخارى : التاريخ الكبير ٣/٢ : ٤٧٨ ؛ ونقول الدباغ هنا ليست مباشرة عنه وإنما بواسطة كتاب الاستيعاب .

(٤) الموطأ . كتاب الوصية ٧٦٧ ؛ مصعب الزبيرى : نسب قريش ٣٥٣

﴿ قلت ﴾ : عاصِم هذا كان طويلًا جسيما ، يقال إنه كان فى ذراعه ذراعٌ ونحوُ شبر ؛ وكان شجاعًا .

﴿ قال ﴾ : وكان خَيِّرًا فاضلا .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : حافظًا للسانه ، شاعرًا مجيدًا حسن الشعر . رُوِىَ أنه كان بينه وبين رَجُلٍ ذات يوم شىءٌ ، فقام وهو يقول[1] :

١ : ١٢٨

/ قَضَى ما قَضى فيما مَضَى ثم لا يُرى
له صَبْوَةٌ فيما بقى آخِـــــــر الدَّهْرِ

﴿ قال ﴾ : روى عن خالِد بن أَسْـلَم ، قال : آذى رجلٌ عبدَ الله ابن عمر بالقَوْل ، فقيل له : ألا تَسْتَنْصِرُ منــه ؟ فقال : إنى وأخى عاصمًا لا نُسابُّ الناس .

وغزا عاصم بن عُمر إفريقيَّة وعبـد الله وعبيد الله ، سنة سبع وعشرين ؛ قاله أبو العرب بن تميم[2] .

وبِسَنَدِنَا إلى البُخَارِىّ[3] قال : حدّثنا الُحمَيْدِىّ ، قال : حدّثنا سُفْيان ، قال : حدّثنـــا هِشام بن عُرْوَة ، قال : سمعت أبى يقول : سمعت عاصِم بن عُمر بن الخطّاب ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) الخبر والبيت فى الاستيعاب ٣ : ١٣٦

(٢) طبقات علماء إفريقية ١٤ ، ١٨ .

(٣) الجامع الصحيح ، كتاب الصوم . باب متى يحل فطر الصائم ٣ : ٣٦

عليه وسلم : إذا أقبل اللَّيل مِن هٰهُنَا ، وأَدْبر مِن هٰهُنَا [وغَرُبَتِ الشَّمْسُ] فقد أَفْطَر الصائم .

ومات عاصم سنة سبعين قبل أخيه عبد الله بأربع سنين ، ورثاه عبد الله بن عُمَر لما وقف على قَبْره ، فقال[١] :

فليتَ المنايا كُنَّ خلَّفْن عاصِمًا فعِشْنَا جميعًا أو ذَهَبْنَ بنَا معا

ومنهـــم :

٣٣ ● عُقْبَة بن نافِع بن عَبْد القَيْس الفِهْرِىّ[٢]

﴿ قال ﴾ : وُلد على عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرْو عنه شيئاً ، وكان رجلًا صالحًا مستجابَ الدُّعاء ، وله كرامات وإجابات ، منها ما قدّمْناه فى صدْر هـــذا الكتاب . منها : ما رواه عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم[٣] أن عقبةَ بن نافِع أصابه فى بَعْض مغازيه بالمغرب عطَش شديدٌ هو وأصحابُه أشرفوا[٤] / منـــه على المَوت ، فصلَّى ١ : ١٢٩

---

(١) الاستيعاب ٣ : ١٣٦ ؛ وفى الإصابة ٣ : ٥٧ أن عبد الله بن عمر تمثل عند موت أخيه عاصم بقول متمم بن نويره :

* فَلَيْتَ المَنَايَا كُنَّ خَلَّفْنَ مَالِكاً * البيت .

ولم يرد البيت فى عينية متمم .

(٢) ترجمة ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ : ١٠٨ ؛ ابن عبد الحكم : الفتوح ١٩٤ ــ ، ١٩٧ ــ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٤٢٠ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٦٢ ؛ الذهبى : التجريد ١ : ٣١٥ (عقبة بن رافع) ، ٣١٦ ؛ ابن حزم : الجمهرة ١٧٨ ؛ الإصابة ٣ : ٨٠

(٣) ابن عبد الحكم : الفتوح ١٩٥ ؛ ونقله الدباغ عن المالكى : الرياض ١ : ٦٣

(٤) فى الفتوح : « أُشفى منه عقبة وأصحابه » على الموت .

عُقْبة [ركعتين] ودعا الله ، فجعل فرسُه يبحث بيدَيْه الأَرْض حتّى كشف عن صفاةٍ فانْفجر منها المـاء فجعل الفرس يمصُّ ذلك الماء ، فانصرف عقبةُ فنادى في النَّاس أَنْ احتفِروا ، فاحتفروا سَبْعين حِسْيا فشربوا واستقوا [وصار ذلك ماء معينا][1] ، فسمّى ذلك المـاء ماء فَرَس [إلى اليوم][1] .

﴿ قلت ﴾ : ولما وليت قضـاء تَبِسَّة وجدتهم يقولون فى بِرْكةٍ : هى بِرْكة فَرَس ، قرب بلد جسْوة من قرى تَبِسَّة ، فلعلَّها هى .

﴿ قال ﴾ : وروى أبو العرب محمد بن أحمد بن تَمِيم[2] ، قال : حدّثنا حبيب بن نَصْر وأحمد بن أبى سُلَيْمان وعيسى بن مسكين ، قالوا : أخبرنا سَحْنون بن سعيد رحمه الله ، عن عبد الله بن وَهْب عن اللَّيث بن سَعْد أنّ عُقْبَة بن نافع الفِهْرِىّ قدِم من عند يَزِيد بن مُعاوِيّة فى جيش لغزو[3] المغرب ، فمـــرَّ على عبد الله بن [عمرو][4] وهو بمصر ، فقال عبد الله بن [عمرو][4] : يا عُقْبَة ، لعلّك من الجيش الذّين يَدْخُلون الجنَّة برحالهم . قال : فمضى عُقْبَة بجيشـه حتَّى قابل البَرْبر وهم كُفّار فقتلوا جميعاً .

قال أبو العرب[5] : كان هذا فى غَزْوة عُقْبَة الثانية .

---

(١) ساقط من الفتوح .

(٢) طبقات علماء إفريقية ٩

(٣) فى الطبقات : « على غزوة » .

(٤) أنظر ابن عبد الحكم : الفتوح ١٩٩ ؛ وفى الأصول : عبد الله بن « عمر » .

(٥) الطبقات ٩

قتل هو وأصحابه[١] . . . وكان كَسِيلة نَصْرانيًّا .

وقبرُ عُقْبَة ظاهِرٌ بالزَّاب يُتبرّك به . وكان دخوله إفريقيَّة ثلاث مَرَّات ، الأولى سنة إحدى وأربعين ، فأقام بها ثلاث سنين .

﴿ قلت ﴾ : وقيل سنة ستٍّ وأَرْبعين وهو الأصَحّ ، وعلى كلّ حال كان ذلك فى دَوْلة مُعاوية بن أبى سُفيان .

/ ﴿ قال ﴾ : والمرّة الثانية سنة خَمْسين وفيها اختَطَّ القَيْرَوَان .

١ : ١٣٠ ﴿ قلت ﴾ : يريُد ومن جُمْلتهـا الجامع الأَعظم ودار الإمَارة وهى فى قِبْلة الجامع المسمّى اليوم بالمَخْزَن ، وترك ما أأَسَّسَه [مُعـاوية بن خُدَيج][٢] بالقَرْن ، وغَزْوُه لهذه فى مدّة مُعَاوِيَة أَيْضاً

﴿ قال ﴾ : والثّالثة سنة إحدى وستّين .

﴿ قلت ﴾ : وقيل سنة اثنتين وسِّتين ، وكان غزوه لهذه فى خلافة يزيد ابن معاوية كما تقدَّم .

---

(١) كذا فى الأصول وهو موضع سقط ؛ فالدباغ ينقل هنا عن ابن عبد البر ، وتكملة نصه الذى يستقيم به : . . « سنة ثلاث وستين بعد أن غزا السوس الأقصى ، قتله كسيلة بن لمزم الأوربى وقتل معه أبا المهاجر ديناراً » وكان كسيلة . . . . الخ . (الاستيعاب ٣ : ١٠٩) .

(٢) فى الأصول : « عقبة بن نمير » (بالنون) و « قمير » (بالقاف) وهو اسم لم يرد فى حركة الفتح الإسلامى لإفريقية مطلقا ؛ والأغلب أنه تحريف بعيد فى النسخ لاسم « معاوية بن خديج » ، فهو الذى نزل القرن قبل تأسيس قيروان عقبة، واختط به وأقام (أنظر صفحة ١٤٢ المتقدمة ؛ الرياض ١ : ٦٠) وأن عقبة بن نافع لم يعجب بالقيروان الذى بناه معاوية قبله فأتى موضع القيروان اليوم واختط به . (ابن عبد الحكم : الفتوح ١٩٦) .

ويعرف القرن اليوم بباطن القرن ، أو بجبل الباطن . ويرد الحديث عنه مفصلا فى المعجم الجغرافى الملحق بآخر الكتاب .

﴿ قال ﴾ : وكان رحمه الله حريصاً على الجهاد بلغ فى مَغازيه إلى سُوس المَغْرب وإلى بلادِ السُّودان وفَتح سائر إفريقية وَوَدَّان وعَامَّة بلاد البَرْبَر . ولم يختلفوا فى أنَّه كان مستجاباً .

ومنهـــــم :

٣٤ ● عبيدُ الله بن عُمَر بن الخطّاب[١] .

﴿ قال ﴾ : وُلد على عهْد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم يرو عنْه شيئاً .. وكان رحمه الله من أَنْجادِ قُرَيش وفُرْسانهم ؛ ومن شعره[٢] :

أنا عبيد الله يَنْمِينى عُمَـــرْ
خَيْر قريشٍ من مضى ومن غَبرْ
حاشا نبىّ الله والشَّيْخ الأغَرْ
قد أبطاتْ عن نَصْر عُثْمان مُضَرْ

ذكره أبو العرب[٣] فيمن غزا إفريقية ، هو وأخوه مع عَبْد الله ابن سَعْد . ثم شهد صِفِّين مع مُعاوية فقتل يوَمئذ .

﴿ قلت ﴾ : قال المالِكىّ[٤] : وكان على الخَيْل يومئِذ وعليـه جبّة

(١) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٥ : ٨ ـ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٤٢٣ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٣٤٢ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٧٥ ؛ تهذيب التهذيب ٧ : ٣٨ ـ ؛ النووى : تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣١٤ ؛ أبو العرب : الطبقات ١٤ ، ١٨

(٢) الرجز فى الاستيعاب عدا البيت الرابع ؛ وهى بجملتها من أرجوزة أنشدها فى احدى ملاحمه بصفين . أنظر نصر بن مزاحم : وقعة صفين ٢٩٩

(٣) الطبقات ١٤ ، ١٨

(٤) لا يوجد فى الجزء المطبوع من الرياض ترجمة لعبيد الله بن عمر .

خزّ ، فخرج عبيد الله هذا بصّفين فى اليوم الذى قُتل فيـه ، وجعل امرأتين له بحيث ينظران إليـه وإلى فِعْله فى الحرب ، وهما أسماء بنت عُطارِد التّميمى ، وبَحْرّية / بنت هانىء بن قَبِيصة الشَّيبانى ؛ فلما برز شدَّت عليه ربيعة فقتلوه ، فسقط عبيد الله بن عمر بن الخطاب مَيِّتاً رحمـه الله ، وأقبلت امرأتاهُ حتى وقعَتا عليه ، فبكَتا وصاحتَا ، وكان على ربيعة يومئذ زياد بن خَصَفة التَّيْمِىّ ، فخرج زياد فقيل له : هذه بَحْرية بنت هانىء بن قَبِيصَـة ، فقال : ما حاجتك يا ابنة أخى ؟قالت : زَوْجى قُتِل تدفعه إلَّى ، قال : نعم فخذيه ، فجاءت ببَغْل فحملتْه عليه ورجْلاَه ويداه تخطّ الأرضَ من فوق البغل .

١ : ١٣١

وكانت وقعةُ صِفِّين فى ربيع الآخر سنة تسعٍ وثلاثين .

ومنهـــم :

٣٥ ● عبد الرّحمن بن زَيْد بن الخطّاب (١)

أُمّه لُبَابَة بنت أبى لُبَابَة بن عبد المُنْذِر . وُلِدَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى به إليـــه جدُّه لأمِّه أبو لُبابة الأنْصارىّ ، فقال له عليه الصلاة والسلام : ما هذا منك يا أبا لُبَابة ؟ قال : ابن ابنتى يا رسول الله ، ما رأيت مولوداً قطّ أصغر منه خَلْقا ؛ فحَنَّكه صلى الله

(١) ترجمه مصعب الزبيرى : نسب قريش ٣٦٣ ؛ ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٥ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢ /٢ : ٢٢٣ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٢٩٥ ؛ ٥ : ٣٧٩ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٤١٧ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٦٩ ؛ تهذيب التهذيب ٦ : ١٧٩ ؛ النووى: تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢٩٦ ؛ الذهبي : التجريد ٣٧٣

عليه وسلم ومسح رَأْسه ودعا له بالبَرَكة . قال : فما رُئى عبد الرَّحمن ابن زَيْد فى قومٍ قطّ إلا بَرَعَهم[1] طولًا .

قال مُصْعب[2] : كان عبد الرحمن فيما زَعموا أطولَ الرِّجال وأتَمَّهم .

قال أبو العَرَب[3] : دخل عبد الرحمن بن زيد إفريقيَّة غازياً مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح . ولم أقف له على تاريخِ وَفاةٍ .

/ ومنهـــم : ١ : ١٣٢

٣٦ ● عبد الرَّحمن بن العبَّاس بن عبد المُطّلب بن هاشِم[4]

{ قال } : وُلِدَ على عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد غَزْو إفريقيَّة مع عبد الله بن سَعْد ، ومات بإفريقية شهيداً . قالَه مُصْعب ابن الزُّبَيْر[5] ؛ وقيل قُتِـل بالشَّام . ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البرّ فى كتاب الصَّحابة[6] .

---

(١) فى الإستيعاب : «فرعهم» ؛ والترجمة كلها عنه .

(٢) مصعب الزبيرى : نسب قريش ٣٦٣ ؛ ونقل الدباغ عنه بواسطة الاستيعاب .

(٣) طبقات علماء إفريقية ١٤ ، ١٨

(٤) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٣٩٤ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ١٧ ؛ ابن حزم : الجمهرة ١٨ ؛ الذهبى : التجريد ١ : ٣٧٧ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٣٠٤ ؛ ابن سعد : الطبقات ٤ /١ : ١ ، ذكر أنه مات بالشام عن غير عقب .

(٥) لم يذكره مصعب فى نسب قريش وإنما ذكر أخاه معبداً وأنه «مات بإفريقية شهيداً» ص ٢٧ .

(٦) الإستيعاب ٢ : ٣٩٤

ومنهـــــم :

٣٧ ● مَعْبَد بن العبَّاس بن عبد المطّلب [١]

﴿ قال ﴾ : وُلد على عهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقُتِل بإفريقيّة شهيداً فى زمن عُثمان بن عفَّان رضى الله عنه ، وكان غزاها مع عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح ، قاله أبو سعيد بن يونس . وذكره أبو عمر بن عبد البرّ فى كتاب الصَّحابة [٢] .

ومنهـــــم :

٣٨ ● عبد الرَّحمن بن صُبَيْحَة اللَّيْثيّ [٣]

كذا قالَ ، ووهَّمه العَوانِيّ وقال : إنَّما هو التَّيْمِي لا اللَّيْثِيّ .

﴿ قال ﴾ : قال الواقديّ : وُلد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجّ مع أبى بكر رضى الله عنه ، وروى عنه .

﴿ قلت ﴾ : وله دارٌ فى المدينة عند أصحاب الأَقْفاص [٤] ؛ ذكر ذلك أبو عمر بن عبد البرّ [٥] .

---

(١) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ٣ : ٤٣٦ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٣٩٢ ؛ الزبيرى : نسب قريش ٢٧ ؛ ابن سعد : الطبقات ٤/١ : ٢ ؛ ابن حزم : الجمهرة ١٨ ؛ الذهبي : التجريد ٢ : ٩١ ؛ ابن حجر : الإصابة ٣ : ٤٥٧ ؛ الهروى : الزيارات ٥٣

(٢) الاستيعاب ٣ : ٤٣٦

(٣) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٢ : ٤١٩ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٣ : ٣٠١ ؛ الذهبى : التجريد ١ : ٣٧٥

(٤) كذا فى طبقات ابن سعد ؛ وفى أسد الغابة : أن داره « عند أصحاب القرابيل والقفاف » .

(٥) الاستيعاب .

﴿ قال ﴾ : قال أبو العرب[١] : غزا إفريقيّة مع عبد الله بن سَعْد ابن أبى سَرْح رحمه الله .

/ ومنهـــــم : ١ : ١٣٣

٣٩ ● مرْوان بن الحكم بن أبى العاص القُرَشيّ الأُموِىّ[٢]

يكنى أبا عبد الملك ، وأبا الحكم ، وأمُّه آمِنَة بِنْتُ عَلْقَمة ابن صَفْوان الكِنانيّة .

﴿ قال ﴾ : وُلِد على عَهْد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد عامين من الهجرة ، ومات رسول الله وهو ابن ثمان سنين .

﴿ قلت ﴾ : وقيل ولد عام الخَنْدَق . واختلف فى موضع ولادته فقيل ولد بمكّة ، وقيل بالطّائِف ، وقيل إنّه خرج إلى الطائف طِفْلاً لا يَعْقِل ، هكذا قيل ، وعندى أن الثّالث يرجع إلى الأول ، فهو [قد] ولد بمكّة ثم خرج إلى الطائف ، ولذلك قال الشّيخ : ارتحل مع أبيه إلى الطائف وهو صَغير . قال الواقِدىّ : رأى النبىّ صلى الله عليه وسلّم ولم يرو عنه شيئاً ، شهد فتح [إفريقيّة ومِصْر ؛ ذكر

(١) طبقات علماء إفريقية .

(٢) ترجمه ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢٤ ؛ البلاذرى : أنساب الأشراف ٥ : ١٢٥ ؛ الطبرى : التاريخ ٧ : ٣٤ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/١ : ٢٧٠ ؛ ابن عبد البر : الإستيعاب ٣ : ٤٠٥ ؛ مصعب : نسب قريش ١٥٩ — ١٦٠ ؛ ابن حزم : الجمهرة ٨٧ ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ١ : ٢٨ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٣٤٨ ؛ ابن حجر : التهذيب ١٠ : ٩١ ؛ الإصابة ٣ : ٤٥٥ ؛ الذهبى : ميزان الإعتدال ٣ : ١٥٩ ؛ التجريد ٢ : ٧٥

ذلك أبو سعيد بن يونس . وأعْطاه عُثمانُ خُمْس][1] إفريقيّة ، فكان ذلك أحد أسْباب الفِتْنة .

﴿ قلت ﴾ : وبويع له بالخلافة فى رجب سنة أربعٍ وستّين ، ثم سار إلى دِمَشْق ، ثم جُدِّدَت له البيعة فى ذى القعدة من سنة أربع المسمّاة ؛ فكانت خلافته مذ جدِّدَت له البيعة ، عشرة أشهر .

﴿ قال ﴾ : توفّى مَرْوان بدمشق سنة خمسٍ وستّين .

﴿ قلت ﴾ : وكانت وفاته بالطّاعون فى شهر رمضان من السّنة المذكورة ، ويقال أنّه مات مَسموماً ؛ سَمَّتْه زوجه أمّ خالد بن يزيد[2] ، وكان عمره يوم مات ثلاثا وستين سنة ، وصلّى عليه ابنه عبد الملك ابن مَرْوان . وروى عنه من الصَّحابة : سَهْل بن سَعْد ، وممن روى عنه من التابعين : عُرْوَة بن الزُّبير ، وعلىّ / بن الُحسَين . ١ : ١٣٤

وقال عروة : كان مروان لا يُتَّهم فى الحديث . ذكر ذلك أبو عمر ابن عبد البرّ[3] رحمه الله .

---

(١) من ح و ش ؛ وهى ساقطة من بقية الأصول . والمطبوعة .

(٢) الدينورى : الأخبار الطوال ٢٩٤

(٣) الاستيعاب ٣ : ٤٠٥

ومنهـــم :

٤٠ ● أبو ذُؤَيب ، خُوَيْلد بن خالد الهُذَلِيّ[1] ، الشّاعِر

﴿ قال ﴾ : كان مُسْلماً على عَهْد رسول الله ولم يَرَهُ ، ولا خلاف أنّه جاهليٌّ أسْلَم .

روى ابنُ إسْحاق ، قال : حدّثنى أبو الآكام الهُذَلِي ، عن الهِرْماس ابن صَعْصعة الهذليّ ، عن أبيه ، أنَّ أبا ذؤيب الشـاعر حدّث قال : بلغنا أنَّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عليلٌ فاستشعَرْتُ حزناً وبتُّ بأطولَ ليلةٍ لا يَنْجابُ ديجورُها ولا يطلع نورها ، فظَلَلْتُ أقاسى طولَها حتّى إذا كان السَّحَر أغفَيْتُ ، فهتف بى هاتِفٌ وهو يقول :

خَطْب أجلُّ أناخَ بالإسْـلام   بين النَّخيل ومعْقد الآطَامِ[2]
قُبِض النَّبيُّ محمّدٌ ، فعيوننـا   تَذْرى الدّموعَ عليه بالتَّسْجَام

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومى فزِعاً ، فنظرت فى السماء فلم أر إلّا سَعْدَ الذّابِح[3] فتفاءلت به ذبحـاً يقع فى العرب ، وعلمت أن

---

(١) ترجمه ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٢ : ٦٣٥ ؛ أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى ٦ : ٢٦٤ ؛ البغدادى : خزانة الأدب ١ : ٢٠٣ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٤ : ٦٥ ؛ ابن حجر : الإصابة ٤ : ٦٦ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٢ : ١٢٨ ؛ ٥ : ١٨٨

(٢) البيتان والخبر بنصه فى الإستيعاب وأسد الغابة .

(٣) سعد الذابح : كوكبان غير نيرين بينهما فى رأى العين قدر ذراع ؛ أحدهما مرتفع فى الشمال والآخر هابط فى الجنوب ، وبقرب الأعلى منهما كوكب صغير قد كاد يلزق به ؛ وتقول الأعراب : هو شاته التى يذبحها . أنظر ابن قتيبة : الأنواء ٧٦

النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض ، وهو ميّت من عِلّته ، فركبت ناقتى وسرت ، فلمّا أصبحت طلبت شيئاً أتفاءل به ، فعرض[١] لى شَيْهَم – وهو القُنْفد – قد قبض على صِلٍّ – يعنى الحيَّة – فهى تَلْتوى عليه والشَّيْهَم يقضمها حتى أَكَلها ، فزجرت ذلك وقلتُ : شَيْهم : شىء يَهُمّ ، والتواء الصِّل : التواء النَّاس عن الحقّ على القائم بَعْد/ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثمّ أَوَّلْتُ أَكْلَ الشَّيْهم إيَّاها ، غلبة القائم بعده على الأمر ، فحثثْتُ ناقتى ، حتّى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرنى بوفاته ، ونَعَبَ غرابٌ سانحٌ فَنَطق بمثل ذلك ، فتعوَّذت باسم الله من شَرّ ما عرضَ[٢] لى فى طريقى ؛ وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجَيج إذا أهلّوا بالإحْرَام ؛ فقلتُ : مَهٍ ؟ قالوا : قُبِضَ رسولُ الله ! فجئت إلى المسجد فوجدته خاليًا ، فأَتيت بيت رسول الله فأصبت بابه مُرْتجاً ، وقيل : هو مُسَجّى وقد خَلا بهِ أهلُه ، فقلت : أين النَّاس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعِدَة ساروا إلى الأنصار ، فجئت السَّقيفَة ، فوجدت أبا بكر وعُمَر وأبا عُبَيْدة بن الجرَّاح وسالمًا وجماعة قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عُبادة ، وفيهم شعراؤهم : حسّان بن ثابت ، وكَعب بن مالك ، وملأٌ منهم ، فأَوَيْتُ إلى قريش . وتكلَّمت الأنصار

١ : ٢٣٥

(١) فى ع ، والإستيعاب وأسد الغابة : « أزجر » به « فمن » .

(٢) فى الإستيعاب وأسد الغابة : « فمن » .

فأطالوا الخطاب وأكثروا الصَّوابَ ، وتكلَّم أبو بكر رضى الله عنه ، فلّله دَرُّه من رجلٍ لا يُطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخصام ، والله لقد تكلَّم بكلامٍ لا يسمعُه سامعٌ إلّا انقاد له ومال إليه ؛ ثم تكلَّم عمرُ بعدَه بدونِ كلامه ، ومدَّ يده فبايَعَهُ وبايعوه ، ورجع أبو بكر ورجعتُ معه . قال أبُو ذؤيب : فشهدت الصَّلاة على مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وسلّم وشهدت دَفْنه .

ثمّ انصرف أبو ذُؤَيْب / إلى باديته فأقام بها . ١ : ١٣٦

﴿ قلت ﴾ : وما تقدَّم من قولى ؛ يعنى هو من كلام الشيخ[1] .

وأنشد أبو ذُؤَيْب[2] عند دَفنه صلى الله عليه وسلم :

لمّا رَأَيْتُ النّاسَ فى عَسلاَتِهم
ما بين ملحودٍ له ومُضَرِّحِ

فهناك صِرْتُ إلى الهموم ، ومن يَبِتْ
جَارَ الهموم ، يبيتُ غَيْرَ مُرَوَّحِ

كسفَتْ لمَصْرعه النّجُومُ وَبَدْرُها
[وتزَعْزَعَت آطامُ بطن الأَبطُحِ][2]

[وتزعزعت أجبالُ يَثْرب كلُّها][2]
ونخيلُها لحلول خَطْبٍ مُفْدِحِ

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب ٤ : ٦٥ — ٦٦

(٢) الأبيات فى الإستيعاب وأسد الغابة ، والتكملة عنها .

ولقد زجَرْتُ الطّير قبـــــل وَفاته
بمُصَـــــابه وزَجَرْتُ سَعْدَ الأَذْبَحِ

﴿ قال ﴾ : غزا أبو ذُؤَيْب إفريقيَّة مع عبد الله بن سَـــعْد ابن أبي سرح ومات بها فدفنه عبد الله بن الزُّبَير[1] . وقيل إنّه قدِم مع عبد الله ابن الزُّبير بكتاب الفتح فَمات بمصر ، وقيل توفّى بطريق مكّة قريباً منها فدفنه ابن الزُّبَيْر ، وقيل مات غازياً بأرض الرّوم ودفن هنالك ، دفنه أبنُه أبو عُبَيد ، ولا يعلم لأحد من المسلمين قَبْرٌ وراء قَبْره . وكان عُمَر ندبه إلى الجهاد ، فلم يزل يجاهد حتى مات بأرض الروم ودفنه هنالك ابنُه أبو عُبَيد . ويروى أنّه قال لابنـه عِنْد مَوْته[2] :

أبا عُبَيْـــد رُفِعَ الـكِتَابُ [واقْترب][3] المَوْعِدُ والحِسَابِ

﴿ قلت ﴾ : ظاهره أنّه لم ينشده غيرَها ، وليس كذلك ، بل أَنْشدَه أبْياتاً[3] مطلعها ما ذَكر .

﴿ قال ﴾ : ومن شِعْره[4] :

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إذا رغَّبْتَهَا وإذا تُرَدُّ إلى قَلِيـلٍ تَقْنَعُ

---

(١) أبو العرب : الطبقات ١٤ ؛ البلاذرى : فتوح البلدان ٢٢٨

(٢) البيت والخبر فى الإستيعاب وأسد الغابة ٥ : ١٩٠ ؛ والأغانى ٦ : ٢٧٩ .

(٣) من المصادر المتقدمة ؛ وفى الأصول : « وارتفع » .

(٤) السكرى : شرح أشعار الهذليين ١ : ١١

١ : ١٣٧

/﴿ قلت ﴾ : ونحو قوله هذا قولُ غيره :

وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
فَإِنْ طُمِّعَتْ تَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتِ

ومنهم :

٤١ ● أبو مَنْصور الفَارِسِيّ[1] ـ والدُ يزيد بن أبى مَنْصور ـ

﴿ قال ﴾ : ذكر أبو عمر بن عبد البرّ[2] أنَّ له صُحْبة، مع اختلافٍ فى ذلك بين العلماء .

﴿ قلت ﴾ : يُعَدُّ فى أهل مصر .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهًا قارئًا للقرآن مُتَفَنِّنًا فى العلم . يروى عن عبد الرحمن بن عَوْف ، وسعد بن أبى وَقَّاص ، وابن عُمر ، وروى عنه موسى بن وَرْدان ، والنُّعمان بن عامر المُعَافِرِىّ ، وعبد الرحمن ابن أَنْعُم .

قَدِم إفريقيَّة وسكن القَيْرَوان إلى أن مات بها . قال عبد الله ابن لَهِيعة : حدَّثنى شيخٌ من مُرَاد ، قال : صلّى بنا أبو منصور

---

(١) ترجمه ابن عبد البر : الاستيعاب ٤ : ١٨١ ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٥ : ٣٠٧ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٨٥ ؛ أبو العرب : الطبقات ١٩ ؛ ابن حجر : الإصابة ٤ : ١٨٦

وترجم ابنه يزيد ، ابن حجر : الإصابة ٣ : ٦٢٥ ؛ تهذيب التهذيب ١١ : ٣٦٣

(٢) الاستيعاب ٤ : ١٨١ ، ونقله الدباغ بمعناه .

ـ والد يزيد بن أبي منصور ـ بإفريقية فى رمضان فَأَوْتَرَ بواحدةٍ ، فأنكر النَّاس عليه ، فقال : رأيت سَعْد بن أبى وَقَّاص وعبد الرحمن ابن عَوْف يُوتِرَانِ بواحدةٍ .

وكانت فيه حِدّة ، فذُكِر له ذلك فقال : ما أُحِبُّ أنّها أخطأتنى ، إنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : الحِدَّةُ تَعْـترى خِيارَ أُمَّتى .
قال أبو عمر بن عبد البرّ[1] : حديثه هذا عن اللّيث بن سَعْد ، عن دُرَيْد بن نَافِع ، عنه .

١٣٨: ١ / ومنهـــم :

٤٢ ● أبو سعيد ، كَيْسان المَقْبُرِيّ[2] ؛ مولى لبني [لَيْث] .

﴿ قال ﴾ : ذكره الواقِدِىّ فيمن كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وإنما سُمّى المَقْبُرِىّ لِأنّ مَنْزِلَه كان عند المَقابر .

---

(١) الإستيعاب ٤ : ١٨١

(٢) ترجمه البخارى : التاريخ الكبير ٤ : ٢٣٤ ؛ ابن سعد : الطبقات ٥ : ٦١ ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب ٤ : ٩٤ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٨٠ ؛ مسلم : كتاب الكنى ٦٢ ب ؛ ابن الأثير : أسد الغابة ٥ : ٢١٢ ؛ ابن حجر : الاصابة ٣ : ٣٠٠ ؛ تهذيب التهذيب ٨ : ٤٥٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ٤ : ٧٦ ؛ تذكرة الحفاظ ١١٦

وفى الأصول أنه مولى لبنى « حارثة » ، والتصويبُ من المصادر المتقدمة ، يوضحه نص ابن سعد فى الطبقات ، أنه «مولى لبنى جندع ، من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة» . أنظر عن بنى ليث بن بكر ـ وهم بطن ـ، ابن حزم : الجمهرة ١٨٠ ؛ ابن الكلبي : مختصر جمهرة النسب ٣٧ —

يروى عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه . وتوفّى فى آخر خلافة الوليد بن عبد الملك بالمدينة ، وذكره أبو بكر المـالـكى[1] فيمن دخل القيروان وأقام بها مدّة ثم عاد إلى المدينة .

* * *

وهذا آخر ما بلغنا مِنْ ذكر مَنْ نزل القيروانَ من كبار الصّحابة وصغارهم ؛ قد استوفينا عدّتهم وتقصّينا جُمْلَتَهم ، والله المعين ، وهو سُبْحانه ينفع ببركة حُبّهم ويحشرنا فى زُمرتهم وحزبهم ، إنَّه وَلِىُّ ذلك وَولِىّ كلّ خير ومُبْديه ، وهو حسبُنا ونعم الوكيل .

* * *

---

(١) الرياض ١ : ٨٠ ، ولم يذكر فى ترجمته عودته إلى المدينة .

ابتداء ذِكْر التابعين

ومن علماء التّابعين وفُضَلائهم :

٤٣ ● أبو عَبْد الرَّحمن ، عبد الله بن يَزيد المُعَافِرىّ الإفْرِيقِىّ الحُبُلِىّ(١)

﴿ قال ﴾ : يروى عن أبى أيُّوب الأنصارى ، وعبد الله بن عَمْرو ابن العاص ، وفَضالة بن عُبَيْد الأنصارى ، وعُقْبة بن عامر ، وغيرهم . روى عنه جماعة ، منهم : يزيد بن عمرو ، وأبو هانىء الخَوْلَانِىّ ، وعامر بن يحيى المُعَافِرىّ .

بعثه عُمر بن عبد العزيز يفقّه أهل إفريقيّة فى الدِّين ، فانْتَفَعوا به وبَثَّ فيها علماً كثيراً ؛ وشهد فَتْحَ لأَنْدَلُس مع موسى بن نُصَير ، ثم سكن القيروان واختطَّ بها داراً ومسجداً بناحية باب تُونس / بقرب دَرْب أَزْهَر ؛ قاله المالكى(٢). وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف الورَّاق : مسجِدُه هو مَسْجد ابن عِياض المعروف الآن بمسجد الرِّباطىّ . ١ : ١٣٩

---

(١) ترجمه البخارى : التاريخ الكبير ٣/١ : ٢٦٦ ؛ ابن سعد : الطبقات ٧/٢ : ٢٠٠ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٦٤ ؛ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ١٢١ (٩٤٣) ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦ : ٨١

(٢) لم يرد فى المطبوع من الرياض ذكر خطته بالقيروان ، وإنما ذكر وفاته وأنه دفن بباب تونس . أنظر صفحة ٣٠ — المتقدمة .

﴿ قلت ﴾ : والأول هو المتواتر عندنا ، فالنَّاس يقولون : هو المسجد المسجد المعروف بمسجد أولاد أبى رَحْمَة غيث .

﴿ قال ﴾ : روى إسماعيل بن يزيد[1] الأبلى ، قال : كُنَّا نأتى عبد الله بن يزيد الإفْرِيقىّ ، أبا عبد الرّحمن ، ونتحدَّث ونَتخاصم وهو معنا وترتفع أصواتُنا فنقول له : ما عِنْدكَ فى هذا ؟ فيقول : ما سمعتُ ما قلتم ، وإنى لمشغول عن ذلك بالذّى غلب على قَلْبى من محَبَّة الله .

وروى ابنُ هُبَيرة قال : سمعت أبا عبد الرّحمن الحُبُلِىّ يقول : مَثَلُ الذّى يجتنب الكبائِر ويَقَع فى المحقَّرات ، كمثل رجلٍ لقيه سَبُعٌ فاتَّقاه حتّى نجا منه ، ثم لَدَغَتْه نَملةٌ فأوجعتْهُ فتهاون بهاَ ثم أخرى [ثم أخرى][2] ثم اجتمعن عليه فصَرَعْنَه ؛ فكذلك الذى يجتنبُ الكبائر ويقع فى المحقرات .

﴿ قلتُ ﴾ : أراد الشّيخ الهروبَ من المعاصى مُطْلقاً ، وخاف إن هو أَلِفَ الصغائِر وقع فى الكبائِر أو فى بعضها ، ولو توقَّى الكبائِر ووقع فى الصغائِر فإنه يكفّر عنه ذلك ، قال تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْه نُكَفِّرْ عنكم سَيِّئَاتِكُمْ ﴾[3] وظاهره أن التكفير قَطْعِىّ ، وهو الصحيح عندى . وقول من قال إنه ظَنِىٌّ بعيد .

---

(١) فى الرياض : « زيد » .

(٢) من الرياض .

(٣) سورة النساء ، الآية ٣٥

﴿ قال ﴾ : أخبرنا فَخْر القُضاة أبو الفضل أحمد بن محمّد ، قال : أخبرنا الحافظ أبو الطّاهر أحمد بن محمد الأصبهانى ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الرّازى ، قال : أخبرنا أبو الحسن علىّ بن / عمر بن حمصة الحرّانى الصوّاف ، قال : أخبرنا أبو القاسم حَمْزة بن محمد الكِنانى ، قال : أخبرنا عمّار بن موسى بن حُميد ، قال : أخبرنا يحيى بن عبد الله ابن بُكَير ، قال : حدّثنى اللَّيث بن سَعد ، عن عامر بن يحيى المُعافِرِىّ ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلى[1] ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يُصاح برجل من أمّتى على رؤوس الخلائِق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاًّ ، كل سجلٍّ منها مدُّ البصر ، ثم يقول الله تعالى : أتنكر من هذا شيئًا ؟ فيقول : لا يا ربّ فيقول [الله عَز وجل : ألك عُذرٌ أو حَسَنة ؟ فيهابُ الرجلُ فيقول : لا ياربّ . فيقول الله عزّ وجلّ : بلَى][2] إنّ لك عندنا حسَنَة وإنه لا ظُلْم عليك ، فتخرج له بِطاقَةٌ فيها : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ؛ فيقول : يا ربّ ما هذِه البطاقة مع هذه السجلاّت ؟ ! فيقول عزّ وجلّ : إنّك لا تُظْلَم . فتوضَعُ السجلاّت فى كَفَّةٍ والبطاقة فى كَفّةٍ ؛ فطاشت السّجلاّت وثقُلت البطاقة . قال

١ : ١٤٠

---

(١) قال عنه المالكى : أدخله المصنفون فى كتبهم وأغرب بحديث السجلات هذا .

(٢) من الرياض .

أبو الحسن الحرّانى : لما أملى علينا حَمْزة هذا الحديث ، صاح غريبٌ من الحلقة صيحةً فاضت نفسه معها ، فأنا ممَّن حضر جنازته وصلَّى عليه .

﴿ قلت ﴾ : أراد بقوله : فطاشت السِّجلات ، أى خَفَّت ، يدلُّ عليه قولُه : وثَقلُت البطاقة ، والله تعالى أعلم .

قال أبو بكر المالكى[1] رحمه الله تعالى : أخبرنا أبو عقيل زُهْرَة[2] ابن مَعْبَد القُرَشِىّ ، قال : كنت ضجيعاً لأبى عبدالرحمن الحُبُلى فى المركب فى غَزْو إفريقيَّة ، فكنت أسمعه إذا انتبه من نومه يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ـ ثلاث مَرّات ـ ، سُبْحان الذّى / يُحيى الموتى وهو على كلّ شىء قدير ـ ثلاث مرّات ـ ، والحمد لله الذى أنام ليلى وأهدأ عُروقى ـ ثلاث مرّات ـ ؛ قال أبو عقيل : فقلت له : رأيتك تلزم هذه الكلمات ، فما بلغك فيهن ؟ قال : بلغنى أنّه ما يقولها أحد حين يَنْتبه من نَوْمه إلاّ كان من الخطايا كيوم ولدته أُمه . قال أبو عقيل : وسمعت أبا عبد الرّحمن أيضاً يقول : إن الرَّجل إذا سلَّم على أخيه المُسْلم فسأله كيف أصبحت فقال : أحمد الله لى ولك ، كتبه الله من الحامدين ؛ فكان أبو عبد الرحمن الحُبُلى إذا قيل له كيف أصبحتَ ؟ قال : أحمد الله إليكم وإلى جميع خَلْقه .

١٤١ : ١

---

(١) الرياض ١ : ٦٥

(٢) كذا فى الأصول وتهذيب التهذيب ٣ : ٣٤١ ؛ وفى الرياض محرف إلى « زهير » .

﴿ قال ﴾ : ومات بالقَيْروان سنة مِئَة ، ودفن بباب تونس .

قال المالكى[1] : وكان الشّيخ أبو الحسن القابِسى إذا ترحَّم على مقبرة والديه بباب تونس ، يحوِّل وجهه إلى دبر القِبْلة من الجبَّانة منحرفاً إلى الشرقىّ ويقول : رحمك الله يا أبا عبد الرحمن . ويَذكر أنّ قبره بتلك النَّاحية .

قال الشَّيْخ : رأيتُ بأقصى جبَّانة بابِ تونس قبراً وسمعت من كثير من الثّقات أنّه قبر أبى عبد الرحمّن الحُبُلى ، وهو إلى الآن معروف .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره الشّيخ من سماعه صَحيح وهو مُتواتر ، وعند رَأسه لوحٌ كبير من رُخام مكتوب عليه اسمه ؛ رحمةُ الله عليه ورضوانه .

ومنهـــم :

٤٤ ● أبو مَسْعود ، [سَعْد] بن مَسْعود التُّجِيبِىّ[2]

﴿ قال ﴾ : هو أحد الفُقهاء التّابعين العشرة الذِّين بعثهم عُمر ابن عبد/العزيز ليفَقِّهوا أَهْل القَيْرَوان . سكن القيروان وبثَّ فيها علماً كثيراً ، وكان رجلاً صالحاً عالماً مشهوراً بالدِّين والفضل ، قليل الهيبة للمُلوك ، لا تأخذه فى الله لَوْمة لائم . ١ : ١٤٢

---

(١) الرياض ١ : ٦٥

(٢) أبو العرب : الطبقات ٢١ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/ ١ : ٩٤ (٤١٦) ؛ المالكى الرياض ١ : ٦٦ ؛ ابن حجر : الاصابة ٢ : ٣٤
وفى الأصول : « سعيد » بن مسعود ؛ والتصويب عن المصادر المتقدمة .

يروى عن أبى الدَّرْدَاء وغيره ، وروى عنه عُبَيد الله بن زَحْر .

وذكر عبد الله بن وَهْب فى جامِعه عن سَعْد بن مَسْعود ، عن أبى الدَّرداء أنه قال : أحبُّ الموت اشتياقاً إلى ربّى ، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتى ، وأحبّ الفقر تواضعًا إلى ربّى . وروى أنّ الريّان ابن عبد العزيز بن مَرْوان بعث إليه رسولاً فوجده فى مجلسه فى جامع الفسطاط مع أصحابه ، فقال له : الأمير يُقرِئك السَّلام ويقول لك : إن رأيت أن تؤنسنا بنفسك العشيَّةَ فافعلْ ، فقال : أَقْرِئْ على الأمير السّلام وقل له : ليست لى إليك حاجة نأتيك إليها ، فإن تك لك إلىَّ حاجة فأت إليها ، فأتاه الرّسول فأخبره ، فقصد إليه الريّانُ فلقيه فسلّم عليه وقال له : يغفرِ الله لك يا أبا مَسْعود ، أتاك رسولنا فكان من كلامك له ما كان ، فقال له : أصلَح الله الأمير ، دعوتَنى إلى ما يَشينُنِى ودعوتُك إلى ما يَزينك ، فقال له : كيف ذلك ؟ قال : إنّ من رآك ماشيًا إلىَّ مدحك وقال : ذا طالبُ عِلْم وخَيرٍ ؛ ومن رآنى ماشيًا إليك قال : ذا طالب حُطام وعَرَض فشَاننى ؛ فقال له الريَّان : سلَّيْتَ ما كان بقلبى ونوّرته ، نوَّر الله قَلْبَك وعَمَلك .

وروى فُرات بن محمّد العَبْدِى ، أنَّ سعد بن مسعود صاح يوم الجمعة على أمير إفريقيَّة فى مظلمةٍ ـ وقد خرج الأمير من الجامع ـ : إنَّا بالله لابِكَ ؛ / فقضى الأمير حاجَته . وسُئِل سَعْد بن مسعود عن علَامة ولىِّ الله ، فقال : من استفرغت آخرته دنياهُ ، ومن كان الحقّ

١ : ١٤٣

هواه ، ومن لم يكن له فى شىء مما يسخط الحقَّ رضَاه ، ومن كان الذِكرُ قوله ، والعلم يقينه[١] ، وفى بيوت الله مجلسه .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكى[٢] : وسُئل أيضاً عن علامة التوكُّل ، فقال : من رَضى بحكم الله ، واطمأن إلى موعد الله ، فكان عنده ما تكفّل الله له به من رِزْقه بمنزلةِ ماقد بَلغه وملَكَتْه يَدُه . وسُئِل أيضاً عن علامة الحكيم فقال : من كان مصيبًا فى قوله ، حليمًا فى غَضبه ، ذا عفو فى قُدْرَتِهِ ، راضٍ فى مَنْزلته ، غير مَفْتُونٍ بما ليس له ، قد اسْتَغْنى بأمر آخِرته عن دُنْياه . وسُئل أيضاً عن الطَّاعة : هل تكون لها مَنْزلة أشدّ من منزلة ؟ فقال : نَعَمْ ، إذا كانت الطّاعة فى منازل نَفْعها ، ودافعتها المَعْصِية فى منازل دَفْعِها ، فهنالك اشتدَّت الطّاعة على أهلها ، فكان أعظم ما يكون من أجرها . وسئل : أىُّ الجلساء أشرُّ مجالسة ؟ فقال : من [يغفلكم][٣] قوله ، [ومن][٣] تَفْتنكم رُؤْيتُه ، ومن يدعوكم إلى دنياكم فِعْلُه . وسئل أيضاً عن الّذى يَزين العالم عند من جالسه ، فقال : كَثرة صَمْته وقلّة غَضَبه وحسن خُلُقه ولينه وخُشوعه وتواضعه . وعن سَعْد أنّه كان يقول : إذا أتاك الشيطان من قِبَل الصَّمت فقال : إنّ الناس يعدُّون ذلك منك عِيًّا ؛ فَأْتِه أنت

---

(١) فى الرياض : « بغيته » .

(٢) الرياض ١ : ٦٩

(٣) من الرياض .

من قِبَل السَّلامة ، فقل : صامتٌ سالمٌ خيرٌ من ناطق آثم . وقال سَعْد : إذا رأيت العبدَ دنياهُ تزدادُ وآخرتُه تنقص ، مقيمًا على ذلك راضيًا به ، فذلك المَغبونُ الذى ينقصُ دينُه / وهو لا يشعرُ . وكان يقول : حبُّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة . ١ : ١٤٤

﴿ قال ﴾ : وتوفّى بالقيروان وأُقبر بها .

ومنهـــم :

٤٥ ● حَنَش بن عبد الله السَّبَائِى الصَّنْعانِىّ[١]

﴿ قال ﴾ : وإنّما سمّى الصَّنْعانى لأنَّ مولده كان بصَنْعاء . من أهل الدِّين والفضل .

يروى عن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهـــه ، وعبد الله ابن عُمر ، وابن عبّاس ، وعبد الله بن عَمْرو ، ورُوَيْفِـع بن ثابت رضى الله عنهم .

وروى عنه الحارث بن يَزيد ، وعبد الرّحمن بن أَنْعُمْ ، وقيس بن

---

(١) ترجمه البخارى : التاريخ الكبير ٢ /١ : ٩٢ (٣٤٣) ؛ الشيرازى : طبقات الفقهاء ٥١ ؛ ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٩١ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١ /٢ :٢٩١ ؛ الحميدى : جذوة المقتبس ١٨٩ ؛ ابن الفرضى : تاريخ العلمـاء والرواة ١٤٨ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٧٨ ؛ أبوالعرب : الطبقات ١٨ ؛ ابن عساكر : تهذيب التاريخ الكبير ٥ : ٧ ؛ الذهبى : تاريخ الإسلام ٣ : ٣٦١؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب٣: ٥٧ ؛ ياقوت : معجم البلدان ٥ : ٣٩٣ .

نسبته إلى صنعاء الشام، وهى قرية على باب دمشق دون المزة كما عرفها ياقوت .

الحجَّاج ، وعامر بن يحيى المُعَـافِرى ، وخالد بن أبى عِمْران ، وصلاح ابن عبد الله بن هبيرة التَّهمِىّ ، وأبو مروان .

شهد غزو الأندلس مع موسى بن نُصَير ، وله بإفريقيّة مقامات وآثار مَحْمودة ، وهو الذى فتح جزيرة بنى شَرِيك[1] ، ثم سكن القَيْروان واختطّ بها دارًا ومسجدًا ، ويُنْسَب إليه الآن فى ناحية باب الرِّيح .

قال عبد الله بن وهْب : كان حَنَش إذا فرغ من عَشائه وحوائجه وأرادَ الصَّلاة من اللَّيل ، أَوْقد المصباح وقدَّم المصحفَ وإناء فيه ماء ؛ فإذا وَجد النُّعاس استنشق المـاءَ ـ يعنى بعد سلامه ـ وإذا تعايَى فى آيةٍ نَظَر فى المصحف . وكان كثير الصَّدَقة لا يردُّ سائلًا ، [و] إذا استطعم السائلُ على بابِهِ لم يزل يصيح بأهله : أطعموا السائل ، أطعموا السائل ؛ حتّى يطعم .

قال مُسْلم بن الحجَّاج[2] : حدّثنا قُتَيْبة بن سـعيد ، قال : حدّثنى ليثٌ ، عن أبى شُجاع سعيد بن يَزيد ، عن / خالد بن أبى عمران ، عن حَنَش الصَّنْعانِىّ ، عن فَضَالة بن عُبَيْد ، قال : اشتريتُ يوم خَيْبَر قِلَادَةً باثْنَىْ عشر دينارًا ، فيها ذَهَبٌ وَخَرَزٌ ، فَفَصَّلْتُها فوجَدْت فيها أَكْثَرَ من اثْنَى عَشَر دينارًا ، فذكرتُ ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلّم فقال : لا تُباع حتّى تُفَصَّل . ١ : ١٤٥

كانت وفاته بإفريقية سنة مِئَة .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى طبقات أبى العرب ١٨ : « جزيرة أبى شريك » ، وفى المغرب للبكرى ٣٩ ، ٤٥ : « جزيرة شريك » . وسيجىء الحديث عنها فى المعجم الجغرافى .

(٢) الجامع الصحيح . كتاب البيوع . باب بيع القلادة فيها خرز وذهب ٥ : ٤٦

ومنهـــــم :

٤٦ ● أبو عبد الله ، مُحَمَّد بن أوْس الأنصارىّ[(١)]

﴿ قال ﴾ : كان من أهل الدين والفَضْل ، معروف بالفِقْه .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بتر لزيادة غيره : كان عالمًا فاضلًا خـــيِّرًا صالحًا معروفًا بالفقه والدِّين والرِّواية مع الدِّراية . فهذا أخصّ من كلام الشَّيخ .

﴿ قال ﴾ : يروى عن أبى هريرة ، ورَوى عنه الحارثُ بن يَزيد ، ومحمد بن عبد الرّحمن بن نَوْفَل الأَسَدِىّ .

دخل إفريقيّة سنة ثلاثٍ وتسعين . وغَزَا المَغرِب والأَنْدَلُس مع موسى بن نُصَير ؛ قاله أبو سعيد بن يونس .

وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبـــد الحَـكم[(٢)] : كان على بحر [تونس][(٣)] .

توفى سنة اثنتين ومئة .

---

(١) انظر عنه الحميدى : جذوة المقتبس، ٤٢ وفيــه صحف تاريخ تأميره على بحر إفريقية إلى سنة ثلاث و « سبعين » ؛ ابن عبد الحـكم : الفتوح ٢١٥ — ؛ المقرى : نفح الطيب ٢ : ٧٨ ؛ أبو العرب : الطبقات ١٨ ، عده فى التابعين الذين دخـلوا إفريقية ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ٢ : ٣٢٨، ذكر أنه أسر فى وقعة تهودة.

(٢) الفتوح ٢١٥

(٣) زيادة انفردت بها ز ، وفى بقية النسخ هنا سقط . وعبــارة ابن عبد الحـكم : « . . . محمد بن أوس الأنصارى ، وكان بتونس على غزو بحرها » .

ومنهـــــم :

٤٧ ● أبو يحيي ، عِياض بن عُقبَة بن نافِـع الفِهْرِى[(١)]

﴿ قال ﴾ : كان من خيار التّابعين وفُضلاء المُؤمنين ، يروى عن عبد الله ابن [عمرو][(٢)] .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْر لزيادة المـالـكى[(٣)] : وغَيْرِه من الصّحابة والتابعين .

﴿ قال ﴾ : روى عنه يزيد بن أبى حبيب ، وإسحاق بن أبى بُرْدَة[(٤)] /وأخوهُ أبو عبيد بن عُقْبَة . سكن القَيْرَوان مع أبيه وبَعْده ، ثم انتقل فى آخر عمره إلى مصر فمات بها سنة مئة . ومن روايته عن عَبْد الله ابن [عمرو] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مُسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وُقّىَ فَتّانى القَبْر .

١ : ١٤٦

﴿ قلتُ ﴾ : حدّثه بهذا عبد الله بن عَمرو بن العاص حين مات ولدٌ لعِياض هـــذا لـكثرة تَوَجُّدِهِ عليه ، فقال له : ألا أنبئك بما يسلّيك عن ابنك هذا ، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول :

---

(١) ترجمة المالـكى : الرياض ١ : ٨٤ ؛ المقرى : نفح الطيب ٢ : ٥٤ ؛ الـكنـدى : الولاة والقضاة ٤١

(٢) فى الأصول « عمر » ، وفى الرياض أنه يروى عن عبد الله بن « عمرو » بن العاص.

(٣) الرياض ١ : ٨٤

(٤) كذا فى الأصول . وفى الرياض : « ابن أبى فروة » ، ولم أعرفه .

وذكر له ماتقدّم . زاد المالكى[١] : وعن عِياض بن عُقْبة أَنَّه مات ابنٌ له يقال له يحيى ؛ فلمَّا [أُ] نْزِلَ فى قَبْره قال رجلٌ : واللهِ إنْ كان لَسَيِّدُ الجيش ، فعليك باحتِسابه ، فقال : وما يمنعنى أن أَحْتَسِبَه ،وقد كان أمْس من زِينة [الحياة][١] الدنيا وهو اليوم من الباقِيات الصَّالحات . رحمة الله عليه .

ومنهـــــم :

٤٨ ● إسماعيل بن عُبَيد الأنْصارِىّ[٢] ، ـ مولى لهم ـ ؛ المعروف بتاجر الله .

﴿ قال ﴾ : من أهل الفَضْل والعبادة والنُّسك ، كثير الصَّـدَقة والمعروف مع علمٍ وفِقْه . روَى عن عبد الله بن عَبَّاس ، وعبد الله ابن عُمر ، وعبد الله بن عَمرو بن العاص . ويروى عنـه من أهل إفريقيَّة : بَكْر بن سَوادَة الْجُذَامِىّ ، وعبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم ؛ ومن أهل مصر : عِمْران بن عَـوْف الغافِقِى ، والحارث بن يزيد ، وعبد الله بن أبى جعفر . ومن مواليه : عبد الله بن أبى كريمة[٣] ؛ وكان عبد الملك هذا من / العلماء الكُرماء الفُضلاء الزُّهّاد . ١ : ١٤٧

---

(١) الرياض ١ : ٨٥

(٢) ترجمه المالكى : الرياض ١ : ٦٩ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١ : ٣١٨ ؛ أبوالعرب :الطبقات ٢٥

(٣) أنظر ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦ : ٤١٨ ـ

سكن إسماعيل القَيْرَوان وانتفع به خَلْق كثيرٌ من أهلها وغيرهم .
وهو أحد العشرة التّابعين الذّين بعثهم عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
يُفقّهون أهل إفريقية[1] . وهو الذّى بنى المسجد الكبير المعروف بجامع
الزَّيْتونة سنة إحدى [وتِسعين][2] ، وكان يصلى به ويعمره ، وهذا
المسجد الدّعاء فيه مستجاب على ما جُرِّب ، وهو أحد المساجد السّبعة
المشهورة بالقيروان .

وإلى إسماعيل هذا تُنْسب السّوق التّى جوار المسجد من غربيّه
المعروفة بسوق إسماعيل . ولم يَزل مُقيماً بالقَيْروان إلى أن حضرته نِيَّةٌ
فى الجهاد ، فخرج فى مركبٍ متطوعاً فى غَزاة [عَطاء][3] بن رَافع
صِقلّية ، فغرق فى البحر فماتَ وهو مُعانق للمُصْحف ، وذلك سنة سَبْعٍ
ومئة . وإنّما سمّى تاجر الله لأنّه جعل ثلث كَسْبه لله عزّ وجلّ يصرفه فى
وُجوه الخَيْر .

---

(١) فى طبقات أبى العرب ٢٠ : « ليس إسماعيل بن عبيد الأنصارى ممن أرسله عمر ابن عبد العزيز إلى إفريقية » ؛ ولعله استند فى هذا إلى تاريخ بنائه لجامع الزيتونة بالقيروان قبل أن يتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة . وفى الترجمة رقم ٥١ مايدل على أن اختيار بعض هؤلاء الفقهاء كان يقوم على معرفتهم بإفريقية وأحوالها .

(٢) مصحف فى الأصول إلى « سبعين » ؛ وتقدم فى صفحة ٢٨ أنه بنى سنة ثلاث وتسعين، وربما يعنى التاريخان بداية البناء واكتماله.

(٣) محرف فى الأصول إلى : « عبد الله » بن رافع . أنظر الرياض ١ : ٧٠ ؛ ابن عبد الحكم : الفتوح ٢٠٩ـ؛ وهناك وثيقة يونانية تتصل بحملةعطاء بن رافع هذا . أنظر عنها : H. I. BELL, Greek papyri in The British Museum, رقم١٣٠٠، ونشرت ترجمتها فى Les cahiers de Tunisie، السنة الثامنة .العدد٣١ ، صفحة ٨١ـ

حكى أنّ امرأةً من قُريشٍ قالت لإنسان يتّجر لها : مامنعك أن تكون مثل إسماعيل تاجر الله ؟ فقال : تُريدين أن تجعلى فلاناً تاجر فُلانة مثل إسماعيل تاجر الله ؟ !

ومن جملة ما روى من كرمه وجوده أنَّه وَجَّه رفقةً إلى المشرق فيها خدم مولّدات ، فخرج يُشيّعهن إلى قَصْر الماء ، فسمع بكاء فقال : ما هذا ؟ فقيل له : هؤلاء المولّدات [اللاتى وَجَّهْتَهُنَّ][1] يبكين مع آبائهن وأمهاتهن وأخواتهن ، فبكى إسماعيل وقال : إنّ دنيا بلغت بى أن أُفَرِّق بين الأحبة لدُنيا سوء ؛ أُشْهِدُكم أَنَّ كُلَّ من لها أبٌ أو أُمّ أو أُخْت فى هذه الرِّفقة فهى حُرَّة / لوجه الله عزّ وجلّ . ١ : ١٤٨ فأَنْزل من [المَحامل][2] سبعين مولّدة فأعتقهنّ . وحكى أنّه كسد على إسماعيل تاجر الله سَبْع مِئة سَاجٍ[3] ، فقال : لَأَتَّجِرَنَّ فى هذا ؛ واشترى مع كُلِّ ساج جُبَّةً ، وكساها للمجاهدين فى سبيل الله . وحكى أنّه كانت لإسماعيل جارية تخرج إلى السّوق ، وكان لها جارٌ يتبعها إذا خرجت ، فشكت ذلك إلى مولاها ، فأرسل إليه وقال له : ما حملك على هذا التعرُّض إلى جاريتى ؟ ! فقال الرّجل : سَلْها هل كلمتها

(١) من الرياض ، وفى الأصول : « . . . التى وجهت » .

(١) من الرياض ، وفى الأصول : « المحمل » .

(٢) كذا فى الأصول ، والخبر من الرياض عن على بن المطلب ، وفيه : « طيقان ساج سبع مئة » . والطيقان جمع طاق : ضرب من الملابس . والساج : الطيلسان الضخم الغليظ . أنظر اللسان : (طوق) ، (سوج) .

قط ؟ فسألها ، فقالت : صَدَق ، فقال : ما حملك على اتباعها ؟ قال : المحبّةُ لها ؛ فأمر [بـ] الجارية فأُصلحَ من شأنها ووَهَبها له وأعطاه ثلاثين ديناراً ، وقال له : إذا فرغت فارجع إلىّ . وحدَّث غير واحدٍ أنَّ خيَّاطًا كانت له بنات ، ولَيْس يقوم به عمله إلّا عن جهد ، فلما كان ليلة عيد الفطر دخل على بناته فوجدهنّ فى الظّلام وليس بالبيت شئ يردّ يدَه إليه ، فخرج من بَيْته حزيناً هائماً ، [وشقّ عليه][1] أن يَرى بناتَه يوم عيدٍ منكسرات قلوبُهنّ بين أتْرابهنّ من بنات الجيران ، وسوّلت له نَفْسه الخروجَ من القَيْروان حتّى ينقضى العيد ، فمرَّ بمسجد إسماعيل تاجر الله ، وقد حضرَتْ صلاة العشاء الآخرة ، فصلّى معهم ، فلمّا انصرف النّاس ولم يَبْقَ فى المسجد إلّا الرّجل رآه إسماعيل ، فعَلِم أنّ له قِصّة ، فمضى إلى داره وبعث إليــه فسأله عن قصّته فأخبره ، فتوجَّع إسماعيل لذلك وبكى وقال : كم عندك من البنات ؟ قال : خَمْس ؛ فصاح إسماعيل بأُمّهات أولاده وقال : ائتونى بحلىّ بناتكنّ وما صنعت[2] / لهنَّ فى هذا العيد من الثّياب والزّينة والحِنّاء والطّيب ، فأتين بجميع ذلك ، ثم قال لهن : ائتونى بمائدة العيد ، فأتوا بها وفيها أنواع الأطعمة وأنواع الحلوة[3] ، فدفع ذلك كله للخيّاط ، ودفع إليه دنانير كثيرةً ثم قال له : اُكسُ بناتك هذه الثّيابَ وهـذا الحلْىَ وطيّبْهن ١ : ١٤٩

(١) زيادة من الرياض ١ : ٧١

(٢) فى الرياض : « وما صنعتن » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى الرياض : « ا » .

بهذا الطِّيب ، وكل معهُنَّ من هـــذه المائدة ، ووسّع على نفسك وعليهن بهذه الدّنانير ، ففعل ذلك .

﴿ قلت ﴾ : جميع ما ذَكَرَه ذَكَرَهُ المالكى[1] ، عَـدَا كون السّوق من غربىّ المسجد ، وزاد بعد قوله ووَسِّع على نفسك وعليهنّ بهـذه الدّنانير : ثمّ أمر عَبيدَه لحملوا جميع ذلك إلى داره فضرب الباب عليهنّ ، ففتحن البـاب فوجدهنّ فى الظلام على حالهنّ ، فأدخل العبيد جميعَ ذلك إلى داره وذهبوا ، ففرح البنات بذلك وكان فى داره سرورٌ كبير ، ولبس بنـاته الثياب الجليـلة والحلى النّفيس ، واجتمعن حول تلك المائدة ، وأَوسع عليهنّ النّفقة .

وكان إسماعيل يلبس جبّة صُوفٍ وكساء صوفٍ وقَلَنْسُوَة صوفٍ .

﴿ قال ﴾ : وفضائلهُ كثيرة .

ومنهـــــم :

٤٩ ● عبد الرّحمن بن وَعْلَة السَّبائى المِصرى[2]

﴿ قال ﴾ : كان من أَهْل الفَضْل والدّين . يروى عن ابن عمر

---

(١) الرياض ١ : ١٧١ ـ

(٢) ترجمه البخارى : التاريخ الـكبير ٣/١ : ٣٥٩ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢ : ٢٩٦ ؛ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ١٢٠ (٩٣٧) ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦ : ٢٩٣ ؛ الخزرجى : الخلاصة ٢٠٠ ؛ يعرف بابن أسميفع (بضم أوله وإسكان المهمـلة وفتح الميم) ؛ المـالـكى : الرياض ١ : ٨٣ ، وفى اسمه تحريف .

وابن عبّاس . وروى عنه زَيْد بن أَسْلَمَ ، ويحيى بن سعيد ، والقَعْقاع ابن حكيم ، وعبد الرحمن بن أَنْعُم ، وغيرهم . قال محمد بن سُحْنون : هو من أهل إفريقيّة ومسجده بها ومواليه إلى اليوم . وذكره أبو سعيد بن / يونس وأثنى عليه ، وقال : كان شريفاً بمصر ؛ ثمَّ سار[1] إلى إفريقيّة . وأخرَجَ مُسلم بن الحجّاج[2] عنه عن ابن عبّاس رضى الله عنهما ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا دُبِغَ الإِهَابُ فقد طَهُرَ . وروى عنه مالك رحمه الله تعالى فى مُوَطَّئه[3] .

١ : ١٥٠

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكى[4] : وكذلك روى عنه النَّسائى ، وأبو داود .

ومنهم :

٥٠ ● المُغيرَة بن أبى بُرْدَة الكِنانِىّ[5]

حَليف بنى عبد الدّار ، وقيل إنّه من بنى عبد الدَّار حليف كِنانة .

﴿ قال ﴾ : كان من أهل الدّين والفضل ، يروى عن أبى هُريرة

---

(١) فى الرياض : « صار » .

(٢) الجامع الصحيح . كتاب الحيض . باب طهارة جلود الميتة بالدباغ ١ : ١٩١

(٣) الموطأ . كتاب الصيد . باب ما جاء فى جلود الميتة ٤٩٨

(٤) الرياض ١ : ٨٣، ونص عبارته : « أدخله أبو داود ومسلم والنسائى فى مصنفاتهم » .

(٥) ترجمه المالكى : الرياض ١ : ٨٠ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٧٨ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٤/١ : ٢١٩ ؛ البخارى : التاريخ الكبير ٤/١ : ٣٢٣ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٥٦

وغيره ، وروى عنه موسى بن الأَشْعث البَلَوِىّ ، وابن أَنْعُم ، وابنه عبد الله بن المُغيرة ، ومن أهل مصر : يزيد بن أبى حبيب ، والحارث ابن يزيد ، وسعيد بن مَسْلَمة .

غَزَا مع موسى بن نُصَير المغرب والأندلس . وكان كثير الصدقة لا يردُّ سائلاً سأله ؛ وأتاه يوماً خازنه فقال : أصلحك الله ، أنْفِقْ على فوَاللهِ الذى يُحلف به ، ما من إناء أُفرغه إلّا وجدتُه قُدّامى قد مُلِئ .

ولما قُتِل [يزيد بن أبى مُسلم](1) أمير إفريقية ، اجتمع أَهْلُ الفضل والدين على أن يولّوا المغيرةَ لما عَلموا من فَضْله ودينه وحَزْمه ، فأبى عن ذلك .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكى(2) : رغبة منه فى السَّلامة ، واتفّق رأيه ورأى ولده على الهروب من ذلك .

﴿ قال ﴾ : أخرج عنه مالكٌ(3) عن أبى هُريرة ، أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال فى ماء البَحْر : هو الطَّهور مَاؤُه الحِلّ ميتَتُه .

---

(1) محرف فى الأصول إلى : « اليزيد بن أبى أسام » . أنظر ابن عبد الحكم : الفتوح ٢١٤ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٥٧

(2) الرياض ١ : ٨١

(3) الموطأ . كتاب الطهارة . باب الطهور للوضوء ٢٢

١ : ١٥١ / ومنهـــم :

٥١ ● أبو الجَهْم ، عبد الرَّحمن بن رَافِع[1] التَّنُوخِيّ

﴿ قال ﴾ : كان من فُضَـــلاء التّابعين ، يروى عن عبد الله ابن عَمْرو وجمـــاعةٍ من الصّحابة . روى عنه عبد الرَّحمن بن أَنْعُم الإفرِيقيّ . سكن القَيْرْوان ، وهو أوّل من استُقضى بهـا بعد بنائها ؛ وَلّاه موسى بن نُصَير سنة ثمانين ، وكان عدلاً فى أحكامه ثقةً فى نَفْسه ، وهو أحد العشرة الذّين بعثهم عمر بن عبـد العزيز رضى الله عنـه ، ليفقِّهوا أهل إفريقيّة .

توفّى بالقَيْروان سنة ثلاث عشرة ومئة .

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَرَّ بمجلس [فى مَسْجده][2] يدعون الله ويرغبون إليه ، وبقومٍ يتعلَّمون الفِقْه [ويُعَلِّمونَه][2] ، فقال كلا المجلسين على خَيْرٍ ، وأحدهما أفضلُ من صاحبه ، أمَّا هؤلاء فيدعون الله عزَّ وجلَّ ويرغبون إليه ، إن شاء أعطاهم وإن شاء مَنَعهم ؛ وأمّا هؤلاء فيتعلّمون ويعلّمون الجاهِل ، فهم أَفْضَلُ وإنَّما بُعثت مُعلِّماً ، فجلس فيهم .

---

(١) ترجمه ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ١٢١ (٩٣٨) ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢ : ٢٣٢ ؛ البخارى : التاريخ الكبير ٣/١ : ٢٨٠ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٧٢ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢٠ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦ : ١٨٦ ؛ الذهبى : ميزان الاعتدال ٢ : ١٠٣ ؛ الخزرجى : الخلاصة ١٩٢

(٢) من الرياض .

خرّجَ التِّرْمِذىّ[1] عنه عن عبد الله بن عَمْرو ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إذا أَحْدَثَ ـ يعنى الرَّجُل ـ وقد جَلَس فى آخر صَلاتِه قبل أن يُسَلِّمَ [فقد] جازت صَلاَتُه .

ومنهـــــم :

٥٢ ● عُلَىّ بن رَبَاح بن [قَصِير] اللَّخْمِيّ[2]

﴿ قال ﴾ : كان فقيهاً صالحاً .

﴿ قلت ﴾ : قال المالِكى[3] : كان فاضلاً جليلاً .

﴿ قال ﴾ : يروى عن جماعةٍ من الصَّحابة ، منهم : عمرو بن العاص ، وولدهُ / عبـد الله بن عَمْرو ، وفَضَـالَة بن عُبيد ، وعُقْبَة بن عامر ، ١ : ١٥٢ وأبو هُرَيرة وعائشـة أم المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين ، وروى عنه وَلَدُه موسى بن عُلَىّ ، وأبو هانىء الخولانىّ ، وجمـاعة أ يكثر عدّهم . وكانت له منزلة من عبد العزيز بن مَرْوان ، أوْلاَهُ إفريقية ، فقدمها مجاهداً فى سبيل الله . وكان عند أهل إفريقيَّة من حديثه ما لَيْس عند المِصريِّين .

---

(١) الجامع الصحيح . أبواب الصلاة . باب ما جاء فى الرجل يحدث بعد التشهد ٢ : ٩٩

(٢) ترجمه ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ١٢١ (٩٤٨) ؛ البخارى : التاريخ الكبير ٣/٢ : ٢٧٤ ؛ ابن سعد : الطبقات ٧/٢ : ٢٠١ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٧٧ ، وفيه حرف اسم جده إلى : « نصير » ؛ المزى : تهذيب الكمال ٤٨٤ أ ؛ الذهبى : تاريخ الإسلام ٤ : ٢٨٢ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ : ٣١٨ ؛ التقريب ٣٧١

صححت اسم جده عن المصادر المتقدمة ، وجاء فى الأصول محرفاً إلى : « نصر » وانظر ترجمة والده رباح بن قصير اللخمى فى أسد الغابة ٢ : ١٦١

(٣) الرياض ١ : ٧٧

سكن القَيْروان واختَطَّ بها داراً ومسجداً على يَمين الخارج من باب نافع قبل أن يَخْرج . وانتفع به أَهْلُ القَيْروان ؛وكان يغلب على اسمه عُلَىّ بضَمّ العَيْن .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكى(١) : وفَتْح اللَّام .

﴿ قال ﴾ : وكان يقول : لا أجعل من يَدْعونى بذلك فى حِلّ . وكان رحمه الله حسن الموعظة ؛ رُوى أنَّه حضر مجلساً مع موسى ابن نُصَير ، فقال موسى : إنَّه ورد عَلَىّ بشائر ثلاث ، منها كتاب أمير المؤمنين ، ومنها كتاب ولدى يخبرنى بفتح عظيم بالأَنْدَلس ، ومنها ما صَحِبَنِى(٢) من الأموال فى مقدمى هذا ؛ فهنّأه جميع من حضر ، وعُلَىّ بن رَباح ساكت ، فقال له موسى : ألا تتكلم ؟ فقال : أيُّها الأمير ما من دار امتلأت حَبْرَة ، إلّا امْتَلَأَتْ عَبْرَة ، ولا انتهى شىء إلّا رجع ، فارجِعْ قبل أن يرجع بك ؛ فانكسر موسى بعد ذلك ونفعه بموعظته .

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه بَتْر من ثلاثة أوجه نَقَلها المالكىّ . الأوَّلُ عند قوله فهنّأه ، لزيادته : وأمر بقراءة كتاب أمير المؤمنين فهنِّىء لذلك . الثانى عند قوله بفتح عظيم ، لزيادته : وأمر بكتاب ابنه فقرىء

---

(١) لم يرد هذا الضبط فى ترجمته بالرياض .

(٢) الرياض ١ : ٧٧

وهنِّىء بذلك . الثالث عند قولِه فى/ مقدمى هذا ، ليس فيه ما يدُلّ على أنّه قدم من الأَنْدَلُس إذ اللفظ أعم . قال المـالكى[١] : وانتفع بموعظته حتّى صغرت عنده الدُّنيا وما فيها بذلك[٢] ، وانخلع ممّـا كان فيه من الإمارة . توفّى بالمدينة متوجِّهًا إلى الحج ، وكان سأل الله عزّ وجلّ أن يرزقه الشّهادة أو يموت بالمدينة ، فأجاب الله دعاءَهُ .

١ : ١٥٣

﴿ قال ﴾ : وخرَّج مُسْلِم[٣] عن عُلَىّ بن رَبَاح [عن أبيـه] أنَّه سمع عُقْبَة بن عامِر [الجُهَنِىّ] يقول : ثلاثُ ساعاتٍ كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينهانا أن نُصلِّى فيهنّ أو نَقْبُرَ [فيهنّ] مَوْتَانا ؛ حين تطلَع الشَّمْس بازِغَةً حتّى تَرْتَفِـع ، وحين يقوم قائمُ الظَّهيرة حتَّى تميلَ الشَّمْس ، وحين [تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ][٤] .

وُلِدَ عُلَى سنة خمس عشرة عام اليرموك ، ومات بإفريقيَّة سـنة أربع عشرة ومئة ، وقيل سنة سبع عشرة ومئة .

---

(١) الرياض ١ : ٨٧

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الرياض : « ونبذها » .

(٣) الجامع الصحيح . كتاب الصلاة . باب الأوقات التى نهى عن الصلاة فيها ٢ : ٢٠٨

(٤) فى الأصول : وحين « تميل الشمس للغروب » ؛ ومعنى تضيف ــ بتشديد الياء ــ وتميل واحد .

ومنهــــــم :

٥٣ ● أبو سعيد ، [جُعْثُل بن هَاعَان] بن عُمَير الرُّعَيْني ، ثُمَّ [القِتْبانِيّ][1] .

﴿ قال ﴾ : كان فقيهًا صالحا . ولَّاه هشام بن عبــد الملك قضاء جُنْــد إفريقيَّة .

يروى عن أبي تميم عبد الله بن مالك الجَيْشانِيّ ، روى عنه بكر ابن سَوادَة ، وعبيد الله بن زَحْر ، وعبد الرحمن بن أَنْعُم . وهو أحد العشرة التابعين ، وأحد القُرَّاء .

وحدَّث عن أبي تَميم عبدِ الله بن مالك الجَيْشَانِيّ أنَّ عُقْبة بن عامر أخبره أنَّه سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن امرأة نَذَرت أن تمشىَ إلى بيت الله حافيةً غير مُخْتَمِرة ، فقال له النّبي صلّى الله عليه وسلم : فلتختمر ولْتركب / ولْتَصُم ثلاثة أيَّام .

١ : ١٥٤

وتوفّى أبو سَعيد [جُعْثُل] قريبًا من سنة خمس عشرة ومِئَة .

---

(١) ترجمه ابن ماكولا : الإكمال ١ : ١٣٦ أ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٧٥ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢ : ٧٩ ؛ التقريب ٧٩ —

وحرف اسمه فى الأصول إلى : « جعيل بن عاهان » بن عمير الرعينى ثم « الغسانى » . والتصحيح عن المصادر المتقدمة ، وقد ضبطه ابن حجر بالحرف .

(٢) فى الأصول : « جعيل » .

ومنهـــم :

٥٤ ● إسماعيل بن عُبَيد الله بن أبى المُهاجِر المَخْزُومِىّ[١]

﴿ قال ﴾ : كان فقيهًا صالحًا فاضلًا زاهِدًا . يروى عن عبد الله ابن عَمْرو وفَضَالَة بن عُبَيد . وروى عنـــه الأَوْزاعِىّ ، وسعيد ابن عبد العزيز ، وابن أنْعُم .

استعمله عُمر بن عبد العزيز على أهل إفريقيّة ليحكم بينهم ويفقّهم فى الدِّين سنة تسع وتسعين ، وقيل سنة مِئَة ، فسار فيهم بالحقّ ، وأسلم على يديه عامَّة البَرْبَر ، وكان حريصًا على إسلامهم .

﴿ قلت ﴾ : وهو أحد العشرة التّابعين .

﴿ قال ﴾ : وقال مَعْن التَّنوخِىّ : ما رأيت فى هذه الأُمَّة غير اثنين ، [عمر][٢] بن عبد العزيز ، وإسماعيل بن عُبَيد الله المخزومىّ . وبلغ من زُهْده أنّه كان إذا أقبل من الغزو فى الصائِفة افترش دِرْعَه[٣] فنام عليها . وكان هو وأمّ ولده وفرسه فى بيتٍ واحد ، زهداً منـــه فى الدُّنيا وتواضُعًا .

---

(١) ترجمه ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ١٧٩ (١٤١٨) ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/١ : ١٨٢ (٦٢١) ؛ البخارى : التاريخ الكبير ١/١ : ٣٦٦ (١١٥٨) ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ٢ : ٣٣٥ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١ : ٣١٧ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٧٥ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢٠

(٢) من الرياض . وفى الأصول « محمد » بن عبد العزيز .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى الرياض : « ذراعه » .

﴿ قلت ﴾ : سياق كلامه يقتضى أنه أراد بقَوْلِهِ ما رأيت فى هذه الأُمَّة غير اثنين ، أى فى الزُّهد ، فكأنّه قال : ما رأيت زاهـــداً فى الدُّنيا غير اثنين كما صرح به المالكى[1] .

﴿ قال ﴾ : وأوصى أن يتصدّق عنه بكلِّ شىءٍ تركه بعد مَوْته ، فرفع ذلك إلى هشام بن عبد الملك فأجاز من ذلك الثُّلثَ[2] .

﴿ قلت ﴾ : ذكر المالكى[3] هـذا من رواية أَشْهَب وابن نافع عن مالكٍ عنه .

﴿ قال ﴾ : وإنّما فعل ذلك إسماعيل رجاءَ أن يُجيزه الوَرثة ، أو أنّه / علم أنَّ سُلطان زمانه لا يضع المالَ حيث يَجب ، ولا يسلك به سبيل الحقّ . ١ : ١٥٥

﴿ قلت ﴾ : وتبعه العَوانِىّ ؛ وظاهر كلام كلّ واحـد منهما أنَّه أنكره وليس كذلك ؛ وسبق إليـه المالكى[4] ولَفْظُه : وإنَّما فعل ذلك رجَاءَ منه أن يجيز ذلك ورثتُه ؛ أو يكون لم يترك وارثاً وخاف أن يوضع فى غير موْضِعِهِ ويسلك به غير سبيله لتغيّر أحوال الأئمّة . وهذا الاحتمال ضعيفٌ لأنّ فى السَّماع المذكور : فرفع ذلك إلى هِشام فأجاز

---

(١) الرياض ١ : ٧٦

(٢) فى الرياض : « ورد ثلثيه »

(٣) الرياض ١ : ٧٦

(٤) الرياض ١ : ٧٦

من ذلك الثُّلث كما تقدّم . وهذا ينفى قولَ ثلاثتهم ، إنمّا فعله رجاء منه أن يُجيز ذلك ورثتهُ ، والقَطْع بالاحتمال الثانى . واختُلِف فيمن لَا وارثَ له ، هل له أن يوصِىَ بكلّ ماله أَوْ لا ؟ فعندنا أنّه لا يصحّ إلّا الثّلث خاصّة ، وعند المخالف يصحّ الجميع . وثالِثُها : إن كان الوالى مثل عُمر بن عبد العزيز لا يصحُّ وإلّا يصحّ الجميع .

﴿ قال ﴾ : وحدَّث إسماعيل عن أمّ الدَّرْداء ، عن أبى الدَّرْداء ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فى يوم حارّ حتّى يضع الرجل يدَه على رأسه من شدَّة الحرّ ، وما فينا صائم إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلّم وابن رَوَاحَة .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى[1] : وعن زياد بن أَنْعُم قال : سمعتُ ابن عُبَيد [الله] يخطبُ ــ وهو يحضُّ النّاس على الجِهاد ــ وهو يقول : إنّ نبىَّ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : واللهِ لولا أنّى علمت أنَّ أصحابى لا يتأخّرون عنّى ، ولا أجد ما [يَقوتُهم][2] ، ما تركت سَرِيَّةً تخرج فى سبيل الله إلّا خرجتُ فيها ؛ ولغَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فى سبيلِ / الله خيرٌ من الدنيا وما فيها . ١ : ١٥٦

﴿ قال ﴾ : وتوفّى إسماعيل بالقيروان سنة اثنتين وعشرين ومئة أو نحوها .

---

(١) الرياض ١ : ٧٦

(٢) من الرياض . وفى الأصول : « أقويهم » .

﴿ قلت ﴾ : هذا وَهْم ؛ لقولِ المالكى[١] : توفِّى سنة اثنتين وثلاثين ومئة ، فقوله عشرين وَهْم ، وكذلك قوله أو نحوها ، ونقله العَوانى كالمالكى .

ومنهـــم :

٥٥ ● أبو الأَشْعَث ، رَبِيعَة بن يَزِيد[٢]

يعرف بالدِّمشقى ، لأن أَصْله من دِمَشْق ؛ كان معدوداً فى التّابعين .

﴿ قال ﴾ : كان رجلاً صالحاً فاضلاً . رُوِىَ عنه أنّه قال : منذ أربعين سنة ما أذَّن المؤذِّن لصلاة الصبح إلّا وأنا فى المسجد .

﴿ قلت ﴾ : وفى هذا الكلام بتْرٌ لقول المالكى[٣] : وعن أبى زَرْعة الدِّمَشْقىّ قال : حدّثنا عبد الرّحمن بن أبى عامر اليَحْصُبى ، قال : سمعت ربيعة بن يزيد الدّمشقى يقول : ما أَذَّن المؤذّن لصلاة الصبح منذ أربعين سنة ، إلّا وأنا فى المسجد ، إلّا أن أكون مريضاً أو مسافراً .

﴿ قال ﴾ : وقال سعيد بن عبد العزيز : لم يكن عندنا بدِمَشْق أحسن سمتاً فى العبادة من مكحول ، وَربيعة بن يزيد .

---

(١) الرياض ١ : ٧٦ ؛ وميلاده سنة ٦١ هـ .

(٢) ترجمه ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/٢ : ٤٧٤ (٢١٢٨) ؛ البخارى : التاريخ الكبير ٢/١ : ٣٦٣ ؛ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ١١٤ (٨٧٢) كناه أبا سعيد ؛ ابن سعد : الطبقات ٢/٧ : ١٦٩ ؛ المالكى : الرياض ٨٤ كناه أبا الأشعث ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٤ ؛ التقريب ١٥٦ ، وكناه فيهما أبا شعيب .

(٣) الرياض ١ : ٨٤

وكان يروى عن عُقْبة بن عامر الْجُهَنِي ، وعطيّة السّعدى ، وأبى إدريس الخَوْلانى ؛ روى عنه الفرج بن فَضَالة ، وعبد الله بن عامر القارى ، وسعيد بن عبد العزيز ، وحَيْوَة ابن شُرَيح .

قال التِّرمِذى[1] بسنده إلى ربيعة بن يزيد ، وعطيّة بن قَيْس عن عطِيَّة السَّعْدِىّ ـ وكان من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يَبْلُغُ / العَبْدُ أن يكونَ من المتَّقين حتّى يَدَعَ ما لا بأْسَ به [حذَرًا لما][2] به البأْس .

١ : ١٥٧

وعن رَبيعة بن يزيد ، عن أبى إدْريس الخَوْلانِىّ ، عن أبى ذَرّ رضى الله عنه ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[3] [فيما روى عن الله تبارك وتعالى][4] أنّه قال : يا عبادى ، إنّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسى وجعلته بينكم محرَّمًا ، فلا تَظالَمُوا . يا عبادى ، [كلكم ضَالٌّ إلاّ من هديتُه ، فاستَهْدُونى أَهْدِكُمْ . يا عبادى ، كلكم جائِعٌ إلّا من أطعمتُه ، فاستَطْعِمونى أُطعِمْكم . يا عبادى ، كلّكم عارٍ إلّا من كَسَوْتُه ، فاستكسُونى أَكْسُكُمْ . يا عبادى] ، إنّكم تُخْطِئُونَ

---

(١) صحيح الترمذى . أبواب صفة القيامة ٩ : ٢٧٧

(٢) من صحيح الترمذى . وفى الأصول : « حذار ما » به البأس .

(٣) جاء هذا الحديث مضطرباً فقومته برواية مسلم فى صحيحه . كتاب البر الصلة والأداب . باب تحريم الظلم ٨ : ١٧ .

(٤) صحيح مسلم . وفى الأصول : « عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل » .

باللَّيل والنَّهار وأنا[١] أغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعًا[٢] ، فاستغْفرونى أغْفِرْ لكم . يا عبادى ، إنّكم لن تبلغوا ضرّى فتضُرّونى ولن تبلغوا نَفْعى فتَنْفَعونى . يا عبادى ، لو أنّ أَوَّلكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجِنّكم كانوا على أتقى قَلْب رَجُلٍ واحدٍ منكم [ما زاد][٣] ذلك فى مُلكى شيئاً . يا عبادى ، لو أنّ أوّلكم وآخِرَكم وإنْسَكم وجنّكم [كانوا على أفْجَر قَلْب رَجُلٍ واحدٍ ما نقَص ذلك من ملكى شيئاً . يا عبادى ، لو أنّ أولكم وآخركم وإنْسَكم وجنّكم قاموا[٤]] فى صعيدٍ واحدٍ فسألونى فأعطيتُ كُلَّ [إنسانٍ مسألَتَه ما نَقَص ذلك ممّا عندى][٥] إلّا كما ينقص المِخْيَطُ إذا [أدخل][٦] البحر . يا عبادى ، إنّما هى أعمالُكم [أحصيها لكم ثم أوَفِّيكم إيّاها][٧] ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجَدَ غيْر ذلك فلا يلومَنّ إلّا نفسه .

[قال سعيد] : وكان أبو إدريس الخَوْلانى إذا حَدَّث بهذا الحديث جَثَا على رُكْبَتَيْه . وخَرَّجه مسلم[٨] .

---

(١) فى الأصول : « وأنا الذى » .

(٢) فى الأصول : جميعا « لا أبالى » .

(٣) فى الأصول : « لم يزد » .

(٤) فى الأصول : « كانوا » .

(٥) فى الأصول : فأعطيت كل « واحد منهم ما سأل، لم ينقص ذلك من ملكى شيئاً » .

(٦) فى الأصول : إذا « غمس فى البحر غمسة واحدة » .

(٧) فى الأصول « أحفظها عليكم » .

(٨) الجامع الصحيح ، وتقدمت الإحالة عليه .

واستوطن رَبيعة بن يزيد القَيْرَوَانَ إلى أن مات شهيداً مع كُلثوم ابن عِياض ، قَتَلَهُما الصُّفْرِية سنة مِئة وثلاثة وعشرين ، وكان كُلثوم إذ ذاك أميرَ إفريقيّة .

﴿ قلتُ ﴾ : يريد فى أيّام هشام بن عبد الملك ، بعث بعثاً واستعمل عليه كُلثوم بن عِياض القُشَيْرىُّ المذكور ، كما صرح به المالكى[1] ، وجعل عوض الصُّفْريّة البربرَ ، وليس باختلاف ، لما سيأتى أن الصُّفْرِيّة هم البربر .

ومنهـــــم :

٥٦ ● حِبَّان بن أبى جَبَلة القُرَشِىّ[2] ، مَوْلى بنى عبد الدّار

﴿ قال ﴾ : كان من أهل الفضل والدِّين ؛ يروى عن ابن عبّاس ، وعمرو بن العاص وولده عبد الله .

روى عنه ابن أَنْعُم وأبو شَيْبة عبد الرّحمن بن يحيى الصَّدَفى ، وعُبَيد الله بن زَحْر .

سكن القَيْروان وانتفع به أهلُها ، وهو أحد العشرة التّابعين .

حدّث عن أبى قَتَادَة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : من اغتسل وغَسل رأسَه واستمع وأَنصت يوم الجمعة ، كان له أَجْر سنَة صيامِها وقيامِها .

وتوفّى بالقَيْروان سنة خمس وعِشرين ومئة .

---

(١) الرياض ١ : ٨٤

(٢) ترجمه المالكى : الرياض ١ : ٧٣ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/٢ : ٢٤٨ (حيان) ، ٢٦٩ (حبان) ؛ ابن ما كولا : الإكمال ١ : ١٧٢ ب ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٢ : ١٧١ ؛ المقرى : نفح الطيب ٢ : ٥٣ ؛ وعده أبو العرب : الطبقات ٢٠ من العشرة التابعين الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز يفقهون أهل إفريقية .

منهـــم :

٥٧ ● عبد الله بن المُغِيرَة ابن أَبى بُرْدَة الكِنانىّ(١)

قاضى عُمر بن عبد العزيز بالقَيْروان .

﴿ قال ﴾ : كان من فُضلاء التَّابعين وأهل الوَرع منهم ، يروى عن سُفْيان بن وهْب الخولانىّ ، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصارى ، وابن لَهيعة ، وخالد بن ميمون ، وعبد الرّحمن بن أنْعُم .

وسَبب ولايته لقضاء القَيْروان ، أن سُليمان بن عبد الملك كان قد وجَّه إلى عبد الله بن موسى نُصَيْر عامل إفريقيّة ، أن يُوجِّه إليه ما تحصَّل عندَه / من خَراج إفريقيّة صحبةَ عشرة من عُدول القَيْروان ، يشهدون عنده أنّ هذا المال أخذه من وَجْهه ، ففعل ذلك فلمَّا دخلوا على سُلَيمان سألهم عن ذلك ، فقالوا : لم يؤخذ إلّا من وَجْهه ـ وعبد الله ابن المُغيرة ساكتٌ ، لم يتكلّم بشىء ـ وكان عُمَر بن عبد العزيز حاضراً لذلك المجلس ، فعلِم أنّه إنّما مَنعه من الكلام الورَعُ والخوفُ من الله ولا يتكلم إلّا بحّق ، فسأل عنه عُمَر بعد انصرافهم فعُرِّف بدينه وورعه وفَضْله . فلما أفْضَت الخلافة إلى عُمَر ولَّى عبد الله قضاء إفريقيّة ، وذلك سنة تِسْع وتِسْعين ، فأقام بها قاضيًا إلى زمن كُلثوم بن عِياض ، فاستعفى من القضاء وذلك سنة ثلاث وعشرين ومئة .

١ : ١٥٩

(١) ترجمه أبو العرب : طبقات علماء إفريقية ٢٢ ؛ الخشنى : طبقات علماء إفريقية ٢٣٤ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٨١ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢ : ١٧٥ (٨١٩) ؛ ابن عبد الحكم : الفتوح ٢١٤ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ٣ : ٣٦٥ ؛ المقرى : نفح الطيب ٢ : ٧٩

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره من سبب ولايته القضاء إلى قوله فاستعفى من القضاء ، ذكره أبو بكر المالكى[١] من نَقْل أبى عبد الله محمد بن عبد الله ابن [وَهْب][٢] عن أبيه ، وكان أبوه من أصحاب أبى بكر ابن اللبّاد .

﴿ قال ﴾ : عبد الله بن المغيرة [هو] صاحب قَصْر مُغِيرَة وقَرْية المُغِيرِيّين ، وله عَقِب بالقَيْروان ، ولهم رَبْعٌ لم يزل بأيديهم إلى أن خَربت القَيْروان .

وخَرَّج مالك بن أنس فى كتاب الجهاد من مُوَطَّئه[٣]، قال : حدّثنا يَحْيى بن سعيد ، عن عبد الله بن المُغِيرَة أبى بُرْدَةَ الكِنَانِىّ ، أنّه بلَغه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتَى النَّاسَ فى قَبائلهم يدعو لهم ، وأنّه تَرَكَ قبيلةً من القبائل ، قالَ : وإنَّ القَبيلةَ وَجدوا فى بَرْدَعةِ رجلٍ منهم عِقْدَ جَزْعٍ ـ غُلُولاً ـ فأتاهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فكبَّر عليهم كما يُكبّر على المَيِّت .

/ ومنهم : ١ : ١٦٠

٥٨ ● أبو ثُمامَة ، بَكْر بن سَوَادَة الجُذَامِىّ[٤]

﴿ قال ﴾ : كان من صُلحاء التَّابعين وفُقَهائهم ، يروى عن عُقْبَةَ

---

(١) الرياض ١ : ٨٢

(٢) فى الرياض ١ : ٨٢ « وقال أبو محمد عبد الله بن وهب » الخبر . . . وفى خبر قبله : « ذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الله عن أبيه » . وفى الأصول : . « بن هبة الله » عن أبيه .

(٣) الموطأ . كتاب الجهاد . باب ما جاء فى الغلول ٤٩٨ ؛ والجزع (بفتح فسكون) : الخرز اليمانى .

(٤) ترجمه المالكى : الرياض١ : ٧٤ ؛ ابن سعد : الطبقات ٧/٢ : ٢٠٢؛ ابن أبى حاتم الجرح والتعديل ١/١ : ٣٨٦ (١٥٠٤) ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١ : ٤٨٣ ـ ؛ المقرى : نفح الطيب ٢ : ٧٧

ابن عامِر ، وعبد الله بن عَمْرو ، وسهل بن سَعْد ، وسُفْيان بن وهب ، وأبى ثَوْر [الفهمى][1] .

﴿ قلت ﴾ : وقال المالـكى[2] : وروى أيضاً عن جماعة من التّابعين ، منهم : سعيد المُسَيّب ، وابن شِهاب الزُّهْرىّ .

﴿ قال ﴾ : وروى عنه عبـد الله بن لَهيعة ، وغيرُه . سَـكن القَيْرَوان . وحدَّث عن زِياد بن نُعَيْم ، عن رجاء بن شُرَيح الحضرمِىّ ، عن رُوَيفِـع بن ثابِت ، قال[3] : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : إذا كان على رأس مئتين فلا تأمُرْ بمعروفٍ ولا تَنْهَ عن منـكر ، وعليك بخاصَّة نفسك .

ومحمل هذا على أن يكون الإنسان إذا أمر بمعروفٍ أو نهى عن المنـكر لا يأمن على نفسه ومالِه .

﴿ قلت ﴾ : ظاهره أنَّ هذا المحمل لم يسبقه إليه غيره ، بل سبقه إليه المـالـكى[4] بزيادة بعد قوله أو ماله : أو عِرْضه ، ففى كلام الدَّباغ بَتْر . وذكر المالـكى[4] أن الحديث المذكور غريبٌ لم يَرْوِه غيره فى عِلمه .

﴿ قال ﴾ : سكن القَيْروان ، وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين ومئه .

﴿ قلت ﴾ : ليس فى هذا الـكلام مايدُلُّ على أنَّه مات بالقَيْروان ،

---

(١) محرف فى الأصول إلى : « الفهرى » . وهو صحابى لايعرف اسمه ولا اسم أبيه ، من فهم بن عمرو بن قيس عيلان . أنظر أسد الغابة ٥ : ١٥٥

(٢) الرياض ١ : ٧٤

(٣) فى الرياض : « عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن عقبة بن عامر »

(٤) المصدر نفسه .

لاحتمال أن يكون سكَنها ومات بغيرها ، فكان حقُّه أن يقول : وكانت وفاتُه بِها ؛ كما قال أبو سَعيد بن يونس ؛ وقيل : أنه [غِرقَ فى مَجَاز][1] الأَنْدُلس .

/ ومنهـــــم : ١ : ١٦١

٥٩ ● مَوْهَب بن حِيٍّ المَعَافِريّ[2]

﴿ قال ﴾ : كان من فُضلاء التّابعين ، يَرْوى عن عبد الله عبّاس وغيره . روَى عنـــه عبد الرّحمن بن أَنْعُم ، و [عيّاش بن عبّاس القِتْبانِيّ][3] .

سكن القَيْرَوان وبثَّ بها علماً كثيرًا ، وبها كانت وفاتُه ، وهو أحد العشرة التّابعين .

وسأل ابنَ عباس فقال له : إنّا نغزو المغرب وليسوا بأهل كتابٍ ، فنجد فى آنيتهم السَّمْنَ والعَسَل وفى قِرَبهم المـاءَ ، أَفنأ كل ذلك ونَنْتَفع به ؟ فأجابه : لا بأس بذلك ؛ لأن الدِّباغ له طَهور .

---

(١) من نفح الطيب . وفى الأصل : « غزا فى بحار » الأندلس . وفى الرياض : « غرق فى بحار » الأندلس .

(٢) ترجمه البخارى : التاريخ الكبير ٤/٢ : ٣٤ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢٠ وحرفه الناشر إلى : « حد » ؛ المالكى : الرياض ١ : ٧٣ . محرف إلى « حي » ؛ ابن حاتم : الجرح والتعديل ٤/١ : ٤١٥ وفيه : « ابن حي » وترجمه أيضاً فى باب « حي » ١/٢ : ٢٧٦ وقال : « سمعت أبا زرعة يقول : الصحيح حي بن موهب » . وفى حاشية النسخة «ش» : « توفى بها » .

(٣) فى الأصول : عباس بن عباس الغسانى . أنظر صفحة ١٣٩ ، حاشية ١

ومنهـــم :

٦٠ ● أبو عثمان ، مُسْـــلِمُ بن يَسَار الأَنْصارِيّ[(١)] ، مَوْلى الأَنْصار .

﴿ قال ﴾ : يَرْوى عن ابن عُمَر ، وأبى هُرَيرة ، وسُفْيان بن وَهْب .

روى عنه عمرو بن أبى [نُعَيمة][(٢)] ، وشُراحِيل بن [يَزِيد][(٣)] ، وحميد بن هانىء ، وابن أَنْعُم .

سكن القَيْروان واستَوْطنها ، وتوفّى بها .

﴿ قلت ﴾ : زاد المـالكىّ[(٤)] : وهو غير مسلم بن يَسار البَصْرِىّ .

﴿ قال ﴾ : وخَرّجَ مُسْلم بن الحجّاج فى مقـدّمة كتابِهِ الصَّحيح ، قال[(٥)] : أخبرنا ابن نُمَير ، عن عبد الله بن يَزيد ، عن سعيد بن [أبى] أيّوب ، عن حميـــد بن هانىء ، عن أبى عُثمان مسلم بن يَسار ، عن

---

(١) أبو العرب : الطبقات ٢٤ ، وفيـه أن أحمد بن حنبل كان يسميه « الإفريقى » وأن يحيى بن معين كان يقول إنه « رجل من أهل إفريقية » . وهو ما يوضحه نص مسلم ابن حجاج فى الـكنى ص ٧٢ ب إذ سماه : « مسلم بن يسار الطنبذى » . المـالـكى : الرياض ١ : ٨٦ وفيه صحف اسمه إلى « بشار» ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ١٤١ ؛ المزى : تهذيب الـكمال ٦٦٣ ب وفرق بينه وبين ابن يسار البصرى ، ونسب هـذا عنده: « الطنبذى الإفريقى مولى الأنصار» ، قال : «وطنبذة قرية من قرى مصر» . وهو وهم . وسيرد التعريف بطنبذة إفريقية فى المعجم .

(٢) تهذيب التهذيب ٨ : ١١٠ ؛ وفى الأصول « نعيم » .

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٣٢٠ ؛ وفى الأصول « زيد » .

(٤) الرياض ١ : ٨٦

(٥) الجامع الصحيح ١ : ٩

أَبى هُرَيرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه سَيكون فى آخر أُمَّتِى أُناسٌ يحدِّثونكم بما لم تَسْمَعوا أنتم ولا آباؤكم ؛ فإيَّاكم وإيَّاهم .

١ : ١٦٢

/ ومنهـــم :

٦١ ● طلْق بن جَابَان الفَارِسِيّ[١]

﴿ قال ﴾ : كان فقيهًا عالمًا . وهو أحـد العشرة التَّابعين الَّذين بعثهم عمر بن عبد العزيز ليفقِّهوا أهل القَيْروان .

روى عنه مُوسى بن عُلَىّ ، وعبد الرحمن بن أَنْعُم ، وروى عنـه من أهل مصر : يزيد[٢] بن أبى أَيُّوب .

ومنهـــم :

٦٢ ● أبو غُطَيْف الهُذَلِىّ[٣]

﴿ قال ﴾ : اسمه جُنْدُب بن بِشر ، وقيل حَبيب بن بِشر . يروى

---

(١) أبو العرب : الطبقات ٢٠ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٧٦ ، وفيه أنه ابن جابان ويقال: ابن جعذان الفارسى ؛ وترجمه ابن ماكولا : الإكمال ١ : ١٣٦ ب، وابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/١ : ٤٩١ ى طلق بن جعبان ؛ وفى ح و ع : « حابان » بالحاء المهملة . قال ابن ماكولا : « كان أحد النفر الذين بعث بهم عمر بن عبد العزيز من فقهاء مصر إلى المغرب ليفقههم » .

(٢) فى الرياض : « يونس بن أبى أيوب » .

(٣) ترجمه المزى : الإكمال ٨١٧ ب ذكر فيـه عطيف وغضيف ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٢ ، ١٩٩ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٧٩ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢٣ وذكر أن اسمه « بشر » .

عن ابن عمر ، وعليه معتمدُه فى الرِّواية . روى عنه عبد الرّحمن ابن أنْعُم ، وموسى بن عُلَىّ .

سكن القَيْرَوان واختطَّ بها [دَارًا] ، وتزوّجَ بنْتَ بَكْر بن سَوَادَة الُجذامِىّ .

وعن عبد الرحمن بن أنعُم الإفريقىّ ، عن أبى غُطَيف الهُـذَلِىّ ، قال : كنت مع ابن عُمَر ، فحضَرْتُ صلاة الظهر فصلّى بهم ، ثم عاد إلى [مَجلسه][1] فى داره ، حتّى إذا كانت صـلاة العصر توضّأ ثم صلَّى ، ثم فعل فى المغرب مثل ذلك ، فقلت له : أفريضة الوضوء عند كلّ صلاة ؟ قال : أفطنت إلى [هذا منّى ؟][2] فقلت : نعم ، قال : ليس ذلك بفريضة ، ولو توضّأْتُ لصلاة الغداة لصلّيت به الصّلوات كلّها ، ولـكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من توضأ على طُهْرٍ فله عشرُ حسنات .

﴿ قلت ﴾ : جميع ماذُكر ذَكَرَهُ المالكى[3] . والحديث المذكور ذكره أبو عيسى التِّرْمِذِىّ[4] .

---

(١) من الرياض . وفى الأصول : « مسجد » .

(٢) من الرياض . وفى الأصول : « مرامى » .

(٣) الرياض : ١ ٧٦

(٤) صحيح الترمذى . أبواب الطهارة . باب الوضوء لـكل صلاة ١ : ٧٨

١ : ١٦٣

/ ومنهـــم :

٦٣ ● عُمارَة بن غُراب التُّجيبِيّ[١]

﴿ قال ﴾ : كان من فضلاء المؤمنين . يَرْوى عن عائِشة رضى الله عنها .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالـكى[٢] : وعن غيرها من التَّابعين .

﴿ قال ﴾ : روى عنه ابن أنعُم .

سكن القَيْروان . وذكره محمد بن سُحْنون [فى تواليفه][٣] .

قال عُمارة : سألت عائِشة رضى الله عنها عن حَجَّتى ، وأخبرتها أنى صَرُورَة[٤] ، فقالت لى : شيخٌ مثلك لم يَحجّ ! ما يُؤَمِّنُك أن يُدْرِكَك الموت ؟ فقلت لها : إنَّا [كُنا][٣] بأفريقيَّة نغزو أرض المَغْرب ، فنحن نجاهد عدوَّنا ولا نجد إلى الحج سَبيلا .

﴿ قلتُ ﴾ : زاد المـالـكىّ[٢] ، فقالت : إن كنت كذلك فإن الله تعالى يعذر بالمعذرة .

---

(١) كذا نسبته فى الأصول ؛ وفى الرياض ١ : ٨٢ أنه غفارى تجيبى . وفى المصادر الشرقية أنه « يحصبي » من بنى حمير بن سبأ . أنظر المزى : تهذيب الكمال ١٠٥٠ ب ؛ ابن ماكولا : الإكمال ٢ : ١٦٧ب ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ : ٤٢٢ ؛ التقريب ٣٧٩ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣ : ٣٦٨ ؛ ابن حزم : الجمهرة ٤٣٥ ؛ وفى ابن الأثير : أسد الغابة ٤ : ٥١ « عمارة أبو غراب » ذكر أنه رجل من حمير من التابعين .

(٢) الرياض ١ : ٨٢

(٣) من الرياض .

(٤) الصرورة : الذى لم يحج حجة الإسلام .

ومنهـــــم :

٦٤ ● أبو عَلْقَمَة[1]

مَوْلَى عبد الله بن عبَّاس ؛ قاضى إفريقيَّة .

﴿ قال ﴾ : روى عن عبد الله بن عبَّاس ، وابن عُمر ، وأبى هُرَيرة . وروى عنه عبد الرَّحمٰن بن أنعُم ، وخالد بن أبى عمران ، ومن أهل مِصْر : الحارث بن يزيد ، وزهرة بن معبد ، ويَعْلَى بن عَطاء .

سكن القَيْروان وأَوْطَنها ، وولى قَضاء إفريقيَّة ؛ ذكر ذلك أبو سعيد ابن يونس .

ومن روايته قال : سمعت أبا هُرَيْرة يقول : إذا سألتم الله فاسألُوه كذا ، وبسط راحَتَيْه ، وإذا استَجَرتُم منه فقولوا هكذا ، وقلب كَفّيه فجعلهما ممّا يلى أُذُنيه .

﴿ قلت ﴾ : قال أبو بكر المالكى[2] : الصِّفَة الأولى رَغْبة ، والصّفة الثانية رَهْبة ، وهى معْنَى قولِهِ / عز وجلّ ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا ورَهَبًا وكَانُوا لَنَا خاشعينَ ﴾[3] .

١ : ١٦٤

﴿ قال ﴾ : وسَمعت أبا هُرَيرة يقول : من خرج من بَيْته فقال : بسم الله العَلىِّ العظيم قالت الملائكة : حُفِظتَ ، وإن قال : على الله توكَّلت ، قالت الملائكة كُفيتَ .

---

(١) ترجمه ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٢ : ١٧٣ ؛ التقريب ٦٠١

(٢) أورد المالكى هذا الخبر وما بعده فى ترجمة أبى منصور مولى سعد بن أبى وقاص ، الرياض ١ : ٨٥ ، ولم يترجم لأبى علقمة هذا .

(٣) سورة الأنبياء . آية ٩٠

ومنهـــــم :

٦٥ ● مَيْسَرة الزَّرُودِيّ[1]

﴿ قال ﴾ : كان من أهل الفَضْـل والدِّين ، يروى عن ابن عمر وعمر ابن عبد العزيز . روى عنه ابنه بِشْر بن مَيْسَرة .

سكن إفريقيّة وأوْطنها ، وكان مقامه بقَرْية زَرُود الَّتى تُعرف[2] بقَلْشَانَة ، على مقربةٍ من القَيْرَوان .

روى بِشْرُ بن مَيْسرة عن أبيه ميسرة الزَّرُودِيّ ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أنَّ قومًا أتوه ، فلمّا أرادُوا أن يفارقوه قالوا : زوِّدنا منك حديثاً نَنْتفع به ، فقال : اعملوا لمعـاشكم كأنّـكم تعيشون أبداً ، واعملوا لآخرتـكم كأنـكم تموتون غَدًا .

وروى بِشْر عن أبيه عن عُمر بن عبد العزيز أنّه قال : حَرِيمُ البِئْرِ قَدْرُ عمقها .

﴿ قلت ﴾ جميعه نَقَله المالـكى[3] .

(١) ترجمه المالـكى : الرياض : ٨٧ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢٤

(٢) فى الرياض : « بقرب » .

(٣) الرياض ١ : ٨٧

ومنهـــم :

٦٦ ● زِياد بن أَنْعُم الشَّعْبانيّ (١)

والد عبد الرَّحمٰن بن زِياد بن أنْعُم الشَّعْبَانِيّ .

﴿قال﴾ : كان رجلا صالحاً . يروى عن عبد الله بن عُمر ، وأبى أيُّوب الأنصاريّ . وروى عنه ابنه عبد الرَّحمٰن .

سكن القَيْروان واختطَّ بها دارً [ومسجدًا](٢) فى ناحية باب نافع .

١ : ١٦٥ /شهد الغَزْو مع أبى أيّوب الأنصارى ، قال : فلما حضر غَداؤُنا أرسلنا إلى أبى أيوب وإلى أهْل موكبه ، فأبى أبو أيّوب الأنصاريّ ، فقال : دعوتُمونى وأنا صائم ، وكان علىَّ من الحق أن أجيبَكم ، سمعت رسول صلى الله عليه وسلّم يقول : للمُسْلم على المسلم ستٌ خصالٍ واجبات فمن ترك شيئاً منها فقدْ تَركَ حقًّا واجباً لأخيه عليه : إذا دعاه أن يُجيبَه ، وإذا لقيَه أن يسلِّمَ عليه ، وإذا عطس أن يُشَمِّتَه ، وإذا مرض أن يَعودَهُ ، وإذا مات أن يحضره ، وإذا استنصحه أن يَنْصَحه .

---

(١) فى الرياض ١ : ٨٣ مصحف إلى « السفيانى » . والنسبة إلى شعبان قبيلة من قيس . أنظر ابن الأثير : اللبـاب ٢ : ٢٠ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٣ : ٣٥٤ ؛ ٦ : ١٧٣ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢١ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٨٣

(٢) من الرياض

ومنهـــــم :

٦٧ ● أبو رَوْح، يزيد أبى منْصور الأَزْديّ[١] .

من صغار التّابعينَ .

﴿ قال ﴾ : لقى أنَس بن مالِك ، وكان من أهل الفَضْل والعلم . سكن القَيْروان هو ووالده أبو مَنْصور ، فتوفّى بها أبو منصور وأقام بها أبو روْح يزيد بعْـد موت أبيـه بمدّة ، ثم انتقل فى آخر عمره إلى البَصْرَة فمات بها . وكان مُحَدِّثاً راوياً ، وطال عمره .

روى عنه موسى بن عُلَى ، وعبد الرّحمن بن أنعُم ، وعبيد الله ابن زَحْر .

قال سُليمان بن عمران قاضى القيروان : بلغنى أنّ يزيد بن أبى مَنْصور احتسب مع محمّد بن الأشْعث ـ أمير إفريقيّة ـ فى جـورٍ كان منه ، فصاحَ عليـه فى الجامع ، فأرسل إليه ابن الأَشْعَث فأتاه ، فوجدَه شيخاً كبيراً ضعيفاً ، فقال : يا شـيخُ ، لو كان فيك مضربٌ لضَرْبنَاك ؛ وعَافاهُ الله من شَرهِّ .

١ : ١٦٦

/ ومنهـــــم :

٦٨ ● أبو معْمَر ، عَبّاد بن عبد الصّمد التّميميّ البَصْرِيّ[٢]

﴿ قال ﴾ : يروى عن أنَس بن مالك ، وعن أبى سـليمان راعى

---

(١) ترجمه ابن حجر : تهذيب التهذيب ١١ : ٣٦٢ ؛ أبو العرب الطبقات ٢١

(٢) ترجمه البخارى : التاريخ الـكبير ٣ / ٢ : ٤١ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٣ / ١ : ٨٢ ؛ ابن حجر: لسان الميزان ٣ : ٢٣٢ ؛ الذهبى : ميزان الاعتدال ٢ : ٣٦٩ (٤١٢٨) ؛ المـالـكى : الرياض ١ : ٨٧ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعيد بن جُبَيْر . وروى عنه كامل ابن طَلْحَة الجحْدَرِيّ ، والحَكَم بن يَعْلَى . وذكره مُسْلِم فى كتاب الأسماء[١] . نَزَل القَيْرَوان وأوْطَنها .

﴿ قلت ﴾ قال المالكى[٢] : أصله من البَصْرة ، سكن القيروان وأوْطَنها ثم خرج إلى قَسْطيلِيَة[٣] وأوطنها ، وأقام بها وبها كانت وفاته . وكان يروى عن غير واحد من التابعين ، منهم الحسن البَصْرى ، وعُمر بن عبد العزيز ، وعَطاء بن أبى رَباح .

﴿ قال ﴾ : وروى عنه من أهل القيروان : أبو زكرياء يحيى ابن سُلَيمان ورَباح بن ثابت الأزدىّ ، وجعفر بن محمد بن عِيَاض ، وغيرهم ، وإنّما ترك بعض النّاس الأخذ عنه ، لأنّه أغْرَب عن أنسٍ بأحاديث لم تسمع إلا منْه .

﴿ قلت ﴾ : هذا قول أبى العَرب[٤] .

﴿ قال ﴾ : منها ما رواه أبو القاسم عبد الله بن محمّد ، عن كامل ابن طلحة ، عن عَبّاد بن عبد الصَّمد ، عن أنسٍ ، عن النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قال : من بلَغه فَضْلٌ عن الله أعطاه الله ذلك .

---

(١) كتاب الكنى والأسماء ٩٥ أ

(٢) الرياض ١ : ٨٧ ـ

(٣) محرف فى نشرة طبقات أبى العرب إلى « قسطنطنية » ؛ وقد نقل ابن حجر فى لسان الميزان ٣ : ٢٣٣ نص أبى العرب هذا ، وفيه : « قسطيلية » .

(٤) أبو العرب : الطبقات ٢٦

وبهذا السند عن عبَّاد بن عبد الصَّمد ، قال : حدثني أبو [سَلْمَى][(١)] راعى النبي صلى الله عليه وسلّم قال : سمِعْت النبيَّ صلى الله عليه وسلّم يقول : من لقِيَ الله عزّ وجلّ يَشْهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً رسول الله . وآمَن بالبَعْث والحساب ، دخل الجنة . قلت : أَأنْتَ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟ ! فأدخل إصبَعيْه فى أذنيه وقال : سمعتُ هذا منه غير مَرَّة ولا مَرَّتين .

* * *

فهؤلاء جملةٌ من علماءِ التَّابعين وصلحائهم وأفاضلهم ، سكَنُوا القيروان واختَطّوْا بها المساجد والدّور ، وأكثرهم لهم بها عقب .

* * *

(١) محرف فى الأصول إلى : «أبو سليمان» . أنظر الحديث فى ترجمة أبى سلمى الراعى ، أسد الغابة ٥ : ٢١٩ ؛ وانظر الإصابة ٤ : ٩٥ ؛ الإستيعاب ٤ : ٩٤

فأما من طَرَأَ بها منهم وأقام بها مدّة من الزّمان ثم ارتحل عنها ، فكثير لا ينحصر ، منهم : سُلَيْمان بن يَسار ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومالك بن قَيْس مولى خالد بن أُسَيْد ؛ وأُمَم لا يُحْصون .

منهـــم :

٦٩ ● أبو كُرَيْب ، جَمِيل بن كُرَيْب المَعَافِرِيّ[1] ، القاضى .

ويقال : اسمُه عبد الرحمٰن .

﴿قال﴾ : من أهل العلم والفَضْـل ؛ يروى عن أبى عبد الرّحمٰن الحُبُلى ، وغيره . روى عنه جماعةٌ من العلماء .

وَلاَّه قضاءِ القيروان عبدُ الرّحمٰن بن حَبيب بن أَبى عُبَيْدَة بن عُقْبَة ابن نافِع الفِهْرِىّ ، أشخصه من تونس لذلك سنة اثنتين وثلاثين ومئة . وكان عدلاً فاضلاً حسن السِّيرة كثير التّواضع .

روى أنّه لما بَعَثه قام الأمير على قدميه وقال : يا أبا كُرَيب ، والله الّذى لا إلٰه إلاّ هو ، ما أردتُك إلاّ لتنفذ الحقّ علىّ ، وأجعلك بينى وبين الله تعالى ؛ فقال أبو كُرَيب : آللهِ ؟ ! فقال الأمير : نعم ، فقبل منه ، فيوم جلس أبو كُرَيب فى الجـامع جاء خادِمٌ لامرأة الأمير ، وكانت قد اشترطت على الأمير أنّه متى تَسَرَّى عليها كان أَمْرُها بيدها ، فأثبت الخادم وَكَالةً عند القاضى ، وأخذ منه طابِعاً ، وقال للأمير : يا مولاى ، تؤمِّننى ؟ قال له :

---

(١) ترجمه الخشنى : الطبقات ٢٣٤ ؛ أبو العرب : الطبقات ٢٤٩ واسمه فيهما : « عبد الرحمن » ؛ المالكى : الرياض ١ : ١٠٧ ؛ ابن عذرى : البيان المغرب ١ : ٨٠ (حوادث سنة ١٣٨) .

الأمان ، قال : هذا طابَعِى من القاضى ، قال : نعم ، ثمّ مضى الأمير إلى القاضى فجلس مع الخادم بين يَدَيْه ، فسأله القاضى عن القضيّة ، فأقر بالتَسَرِّى والشَّرْط ، فأَمَرَه القاضى أن لا يَقْرَبها ، وأشهد من حضر أنّ أَمْرَها بيدها إن شاءت أقامت وإن شاءت طلَّقَتْ نَفْسها ، فرفع الأمير يده إلى السّماء وقال : الحمد لله الّذى رأيت قاضيًا يحكم فىَّ بالحق .

﴿ قلت ﴾ : هذا أحد الأقوال الثلاثة ، وقيل : أن الّذى وَلاّه القضاء رَوْح بن حاتِم ، وقيل : بل أخوه يَزيد بن حاتِم ، وهو الّذى ذكره أبو بكر ابن اللبّاد وأبو العرب[١] . فأرسل يَزيد إلى والى تونس يقول له : ابعث لى بأبى كُرَيْب أُوَلِّيه القضاء ، فَتَمَارَضَ[٢] أبو كُرَيب ، وكتب الوالى إلَى الأمير يزيد بأن أبا كُرَيْب مريضٌ ، فكتب إليه يَزيد : أبعث إلىَّ به فى محفّة[٣] ، فبعث به ، فلمّا قدم على يزيد كَلَّمه يزيدٌ فلم يردَّ عليه جوابًا ، وجعل يزيد يردِّد عليه الكلام وأبو كُرَيْب ساكت ، [فَأَنّبَهُ][٤] جُلَساء يزيد وقالوا له : الأميرُ يكلِّمك وأنت صامت ؟ ! فقام الأمير يزيد على قَدَميه وأمر جلساءه أن يتفرّقوا عنه وجعل يقول لأبى كُرَيب : والله يا أبا كُرَيْب ما أردتُ إلّا الله عزّ وجلّ ، وأن

---

(١) المالكى : الرياض ١ : ١٠٨ وهو نصه ، مؤكدا أن الحادثة كانت مع يزيد بن حاتم ؛ وأبو العرب : الطبقات ٢٤٩ . ولم أقف على نص أبى بكر بن اللباد .

(٢) فى الرياض : « فما رضى » .

(٣) فى طبقات أبى العرب : « قطيفة » .

(٤) من الرياض . وفى الأصول « فانتبه » .

أجعلك حسنةً بينى وَبَيْنَهُ للمسلمين ، وتكون لى عونًا على هذا الأمْر ، وتحكم علىَّ بالحق وعلى مَن حَوْلى ، فَاتّقِ الله فيما دعوتُك إليه من [القيام بـ][1] الحق فِيَّ وفى المسلمين ؛ فقال [له][1] أبو كُرَيب : / آللهِ أردت بذلك ؟ ! قال : نعم ، ثم كرَّرَها عليه ثلاثًا ، [فقال نعم !][1] ، فقال أبو كُرَيب : قد قَبِلْت . ١ : ١٦٩

وجلس فى جامع القَيْرَوان يحكم بينهم ، فما مَرَّت إلّا أيامٌ يَسيرة حتّى أتاه رجلٌ فقال : أصلح الله القاضى ، لى قِبل الأمير حقّ ومطلبٌ يدفعنى [عنه] ، وقد وقفت إليه وسألتُه المجىء إليك فلم يفعل ؛ فأعطاه طابعًا ، ومضى الرّجل إلى باب الأمير [فأعلم بذلك الأمير يزيد . وقيل بل مضى معه أبو كُرَيب بنفسه إلى باب الأمير][1] يَزيد ، فقال للحاجب : اعلِم الأميرَ بمكانى ، إنّ هذا الرّجل يذكر أنّ له حقًّا قِبَله ؛ فأَعْلَمه الحاجبُ ، فلبس يزيد ثيابَه وخَرج إلى الجامع ، فادّعى خصمُ يَزيد على يزيد بدَعْوى ، [فقال أبو كُرَيب ليَزيد : ما تقول فيما ادّعاه بحضرتك ؟ فأنكر يزيد ، فطلب خصمُه يَمينَه][1] ، فاستحلفه أبو كُرَيب فأبى يزيد أن يحلف ، فقال أبو كرَيب : إنّى أحكم عليك بنُكولِك عن اليَمين ، فأنصفه يَزيد من دَعْواه ، وانصرف وهو يقول : الحمد لله الذى لم يُمِتْنِى حتّى جعلتُ بينى وبين الله

---

(١) تكملة من الرياض .

من يحكم بين عباده بالحقّ ، فقال أبو كُرَيب ؛ وأنا أقول : الحمد لله الذى لم يمتنى حتّى رأيت أميرًا يشكر الله على القضاء بالحقّ عليــه .

قال أبو بكر المالكى[1] بعد أن ذكر ما قلناه : والصوابُ من ذلك أن يكون هذا المجلس إنّما جَرَى مع عبد الرحمن بن حَبيب بن عُقْبَة ابن نافع الفِهْرِىّ أمير إفريقيّة ، ويشهد بصحّة ذلك أن أبا كُرَيْب استشهد سنة أربعين [ومئة][1] فى دَوْلَة مَرْوان بن محمّـد . ويزيدُ ابن حاتِم إنّما ولى إفريقيّة سنة خمس وخمسين فى دَوْلة أبى جَعْفر المنصور ، فلا شَكّ أَنّ ذِكْر يَزيد بن حاتِم هنا غَلَط .

﴿ قال ﴾ : وكان أبو كُرَيب إذا توجَّهَ إلى الجامع ساق حمارَه بين يدَيْه ، وإذا انصرف من الجامع رَكِبَه . وربّما يُرَى وهو يخوض المطرَ[2] إلى أنْصَاف ساقيه [فيقال له : لو ركبت حمارًا ؟ فـ][3] يقول : / [لا أفعل][3] ، هكذا من يسير إليه ذليلًا . ١ : ١٧٠

وكان ربّما جلس فى الجامع وَحْــده فيقال له : لو انْصَرَفْت ، فيقول : من لى بالملْهوف إذا لم يَجِدْنى .

وكان ربّما يتبيّن له الحكمُ باللّيل ، فيأتى دارَ من ثبت حقُّه فيأمره أن يحضر له صالِحى جيرانه [ليشهدهم][4] له ، فيقول [له][4] :

---

(١) الرياض ١ : ١٠٨

(٢) فى طبقات أبى العرب والرياض : « وهو يخوض الطين » .

(٣) من الرياض .

(٤) المصدر نفسه ؛ وفى الأصول : « فيشهد » .

لو تركت هذا الغد ، [فيقول القاضى : فلو][1] متُّ أنا فى ليلتى [هذه][1] ، أليس يتلف حقّك .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالِكىّ[2] : ومَرَّ يومًا بمدينة القيروان بِبئر[3] أُمِّ عِياض ، فعرض له خَصْمان ، فنزل عن حماره وقعد لهما إلى جانب حائط ونظر بينهما فيما اختصما فيـه ، ثمّ قام ليركبَ ؛ فأرادَ أحدهما أن يمسك برسَنِ الحمار حتّى يركب ، فمنعه أبو كُرَيْب من ذلك وأمسكه هو . وهذا من محاسبته لنفسه واجتهاده .

ومثل هذه الحـكاية ، ما يُذكر عن عَوْن[4] بن سُلَيمان القاضى ؛ وهو كونه أقبل وهو يُريد المسجد ، فلمّا كان عنـد السرّاجين لقيتْه امرأة فى مَحَفّتِها كما قدمت منَ الرِّيف ، فشكت إليه مظلمتَها ، فنزل فى حانوت من حوانيت السرّاجين ـ ولم يبلغ المسجد ـ فـكتب لها بحاجتها ثم ركب دابّتَه إلى المسجد ، فانصرفَت المرأة وهى تقول : أصابت والله أُمك حين سَمّتْك والله عوناً ، أنت وَالله عونٌ عند أُسمك .

وكان أبو كُرَيْب يركبُ حمارا بسَنَدٍ[5] ، ورسَنُه حبلُ ليفٍ .

﴿ قال ﴾ : خرج أبو كُرَيْب لِقتال الصُّفْرِيّة فى جماعة من أهل

---

(١) من الرياض .

(٢) المصدر نفسه ١ : ١٠٩

(٣) فى الرياض : « ببيت أم عياض » .

(٤) فى الرياض : « غوث » .

(٥) السند : المعتمد . وفى الرياض : « بشنف » .

القَيْروان ، إذ كان الصُّفْرية يستَحِلّون دماءَ المسلمين وسَبْى ذَراريهم ونسائهم ، فقُتِل رحمه الله شهيدًا بظاهر القَيْروان ، بوادٍ يسمّى وادى أبى كُرَيْب من ذلك الوقت ؛ / وذلك جَوْفىّ القَيْروان على طريق تُونِس. ١ : ١٧١

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه بَتْر لقول المالكى[١] : ولم يزل أبو كُرَيْب قاضياً ، حتّى ثار عاصِم بن جَميل الصُّفْرِىّ على حَبيب بن عبد الرّحْمٰن ، فخرج إليهم حَبيب فقاتلهم فانهزم هو وعَسْكَرُه ؛ فلمّا ساروا إلى مدينة القَيْروان أمر أبو كُرَيب بقتالهم ـ إذ كانُوا يستحلّون سَفْك دماء المسلمين ـ واجتمع إليه من النّاس ألفُ رجل وتخاذَل الباقون من أهل القَيْروان ؛ فالتقَوْا على الوادى المعروف اليوم بوادى أبى كُرَيب ، فاقْتتَلوا قتالاً شديدًا فقُتل أبو كُرَيب وجميع من مَعَه .

﴿ قلت ﴾ : هو الوادِى المعروفُ اليوم بوادِى السَّراوِيل على ظاهر هـذَا اللفظ ؛ وعرّفنى من أثق به أنّه رأى ذلك مكتوباً فى حاشيةِ نسخةٍ عتيقَةٍ من الدبّاغ .

﴿ قال ﴾ : وكان قَتْلُ أبى كُرَيب سنة مئة وتسعة وثلاثين .

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو بَكْر المالكى[٢] : سنة مئة وثلاثة وثلاثين ، وهو خلاف قوله المتقدّم : استشهد سنة مئة وأربعين ، فتحصَّل ثلاثةُ أقوال .

---

(١) الرياض ١ : ١٠٩ ـ

(٢) فى الرياض ١ : ١١٠ أن وفاته سنة ١٣٩ هـ . وذكره مرة أخرى فى ترجمة عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وأنه قتل سنة ١٤٠ (الرياض ١ : ١٠٢) . ولم أقف فيه على نقل ابن ناجى هذا .

ومنهـــم :

٧٠ ● [أبو خالد] ، عبد الرّحمن بن زِياد بن أَنْعُم المَعَـافِرِىّ[1] القَاضى .

أول مَوْلود ولد فى الإسلام بعد فَتْح إفريقيّة .

﴿ قال ﴾ : كان من جُمْلة المحدّثين والعلمـاء المتقدّمين ، ذا وَرَع وزُهْد وصلاح وإجابة دعاء مع تَفَنّن فى علم العربيّة والشِّعْر .

يروى عن أبيه زياد بن أَنْعُم ، عن أبى أيّوب ، ويروى عن جماعة من التـابعين ، منهم : أبو عبد الرّحْمٰن / الحُبُلِىّ ، وعبد الرّحْمٰن بن رافِـع التَّنوخى ، وبَـكْر بن سَوَادَة . ١ : ١٧٢

وروى عنه جماعة ، منهم : سفيان الثّورى ، وابن لَهيعة ، وعبد الله ابن وَهْب ، وعبد الله بن المُبارك ؛ ومن أهل القيروان : عبد الله بن غانِم القاضى ، والبُهْلول بن راشِد ، وعبد الله بن أبى حَسَّان ، ومُعاوية الصُّمادِحىّ ، وغيرهم .

وولى قضـاء القيروان مَرّتين : إحداهما لمروان بن محمّد الجَعْدِى ،

---

(١) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٢٧ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ٩٦ ؛ مسلم : الـكنى ٥٧ ب ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦ : ١٧٣ ؛ التقريب ٣٠٨ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢ : ٢٣٤ ؛ الخزرجى : الخلاصة ١٩٢ ؛ البخارى : التـاريخ الـكبير ٣/١ : ٢٨٣ ؛ المزى : تهذيب الـكمال ٣٩٤ أ ؛ الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ١٠ : ٢١٤ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ : ٢٤٠ (سنة ١٥٦) ؛ الذهبى : العبر ١ : ٢٢٥ (سنة ٢٥٦) . وكنيته فى الأصول : « أبو البقا » .

والثّانية ولّاه أبو جعفر المنصور لمّا وفد عليه مع شُيوخ أهـل القَيْروان متظلّماً مُسْتَنْصراً على البَرْبَر الصُّفْرِية ؛ فلم يزل قاضياً إلى صَدْرٍ من أيّام يزيد بن حاتم .

وكان قد وفد على هشام بن عبد الملك فى بعض مُهِمّات إفريقيّة ، ثمّ وفَدَ بعد ذلك على أبى جَعْفرِ المنصور ؛ فقال له المَنْصور : ألا تحمد الله الذى أَراحك ممّا كنت تَرى بباب هِشـام بن عبد الملك ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما من أَمْرٍ كنت أراه بباب هشام إلّا وأنا اليوم أَرَى منه طُرَفاً بالقَيْروان .

وفى رواية أخرى ، : قال له المنصور : كيف رأيت ما وراء بابِنا ؟ قال : رأيت ظلمًا فاشيًا وأمرًا قبيحًا ؛ قال أبو جعفر : لعلّه فيما بَعُدَ من بابى ، قال : بل كلّما قربت استَفْحَـل الأمر وغَلُظ ، قال : ما يمنعك أن ترفع ذلك إلينـا ، وقولك عِنْدنا مقبول ؛ قال : رأيت السـلطان سوقاً ، وإِنّما يُرْفع إلى كلّ سوق ما ينفق فيها ؛ فبكى لها أبو جعفر المنصور ، ثم قال : كأنك كرهتَ صُحْبتنا ، فقال : ما يُدْرك المـالُ والشّرف إلّا من صُحْبتكم ، ولـكنّى تركت عجوزاً وإنى أحبّ مُطالعتها ، قال : اذهب فإنّا قد أذِنّا لك . ثمّ /ولّاه قضاءَ إفريقيّة . ١ : ١٧٣

وفى روايةٍ أُخْرى ، : قال له المنصور : ما يمنعك من إتيانِنا ؟ فقال : وما أصنع عندك ، إن أَدْنَيْتنى فَتَنْتنى ، وإن أَقْصيتنى أَحْزنتنى ، وليس عندك ما أرجوه ، ولا عندى ما أخافك عليه .

فلمّا توجَّه عبد الرّحمن إلى إفريقيّة ، كتب إلى ولده وخاصّة بلده هذه الأبيات :

ذَكرتُ القَيْروان فهاج شَوْقى وأَيْن القَيْروانُ من العِرَاقِ ! ؟
مَسيرةُ أَشـهُرٍ للعِيس[1] نصًّا وَللخَيْل[2] المُضَمَّرَةِ العِتَاقِ
فأَبلغْ أَنْعُمًا وبَنِى [أبيـه][3] ومن نَرجو لنا[4] وله التَّلاقِى
بأنَّ الله قد خلَّى سبيـلى وجَدّ بنا المسيرُ إلى مَزَاقِ

: ومَزَاقُ فَحْص القَيْروان[5] ، شُهِر بذلك لأنّ السّحاب يتمزّق فيه .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره من قوله : ومَزاقُ فَحْص القَيْروان ، ليس هو بمبتَكَرٍ له بتَفْسيره ، بل هو لفظ المالكى[6] ؛ وما زالت السّحب تتمزّق فيه إلى الآن ، فالمعتمد فيها فى الحَرْث إنّما هو على السَّوانِى التّى يُسْنَى على بِئْرها بالدَّلْو ، وأمّا الحرث فى الأراضى التّى تأتى إليها الوديان فغير مأمون ؛ فإذا جاء زَرْعها فى عامٍ طيّبًا ، تبقى أعوامًا لا يجىء فيها الزّرع طيّبًا فى الأعمّ الأغْلب ، فَيفْتَقِرُ الحارِث فيها .

---

(١) مصحف فى م ع : « للعير » .

(٢) رواية أبى العرب ٣١ ، والرياض ١ : ٩٩ : « على الإبل » ، ورواية المعالم أجود لاختصاص النعوت بعدها بالخيل .

(٣) أبو العرب والمالكى ، وفى الأصول محرف إلى : « بنى لهيعة » .

(٤) محرف فى نشرة طبقات أبى العرب إلى : ؟

ومن يُرْجى لها وله التَّلاق [ى]

ورواية الرياض :

ومن يُرْجَى له ولنا التَّلاقِى

(٥) فى الرياض : « فحص إفريقية » .

(٦) الرياض ١ : ٩٩

وقد خسرت دَنانير كثيرة بسبب الحرْث فيهـا مرارًا ، ولـكنّ أصل حَرْثى إنّما هو بقصد الآخرة ، فأنا رابح فى الحقيقة على كل حال .

﴿ قال ﴾ : ثم وصل عبد الرّحمن إلى القيروان مع محمّد بن الأَشْعَث سنة أربع وأربعين ومئة .

١ : ١٧٤ وروى أنَّ عبد الرّحمن بن أَنْعُم كان يقول : / أسرنى الطّاغية أنا وجماعة من أصحـابى ، فبينما نحن فى حَبْسه إذ غَشِيَهُ عيدٌ ، فبعث إلينا بأصناف الطعام وأحسن إلينا ، فاتّصل ذلك بامرأة الملك ـ وكانت نفيسة عنده ـ فمزّقت ثيابَها ونشرت شَعْرها وقالت للملك : إنّ العَرَب قتلوا أبى ، وأخى ، وزوجى ، وأنت تفعل بهم الذّى رأيتُ ! فغضب وقال : علىَّ بهم ، فصرنا بين يديه سِماطين، فأمر سيَّافًا أن يضرب عُنُق رَجُل بَعْد رجل ، حتى قَرُب الأمر منِّى ؛ فحرّكتُ شفتى وقلت : الله ، الله ، الله ربِّى لا أشرك شـيئًا ولا أتّخذ من دونه وليًّا ، ـ ثلاثًا ـ ، وأبصر فعْلِىْ فقال : قدِّموا شَمَّاس العرب ـ يريد عالِمَهم ـ فقال لى : ما قلت ؟ فأعلمتهُ ، فقال لى : ومن أين علمته ؟ فقلت : نبينّا أمرنَا بهذا ، فقال : وعيسى أمرنا بِهِ فى الإنجيل ؛ وأطلقنى ومَنْ مَعِى .

﴿ قلت ﴾ : وقال المالـكى[1] بعد قوله ـ يريد عالمهم ـ فقال : لعلك قلت : الله ، الله ، الله ربّى لا أشرك به شيئًا ، فقلت : نعم ، فقال لى : ومن أين علّمته ؟ قلت : نبيُّنا عليه الصلاة والسّلام أَمَرنا به ،

---

(١) الرياض ١ : ٩٨

فقال لى : وعيسى أمرنا به فى الإنجيل ، فأطلقنى ومن معى .

وقيل فداه أبو جعفر المنصور ، وولّاه قضاء إفريقيّة .

﴿ قال ﴾ : وقال أبو عثمان حاتم بن عثمان المَعَافِرىّ : كنت عند عبد الرحمن بن أَنْعُم وهو يتنفّس الصُّعَداء والكآبة ظاهرة عليه ، حتّى أتاه شابّ ومعه مِخْلاة فيها بَصَلٌ ، فأَسرَّ إليه كلاماً ، فأَسْفَر وجهه وتبسَّم ، فقال لغلامه : جئنا بالفول الّذى طبختموه لنا البارحة ، فجاء به ، فقال : اقرب يا أبا عثمان ، فقلت : لا ، فقال : ولِم، أظننتَ / ظَنًّا ؟ قلت : نعم ، فقال : أَحْسنت يا أبا عثمان ، إذا رأيت الهديّة دخلت دار القاضى ، فاعلَمْ أنّ الأمانة قد خرجت كُوَى الدّار ؛ ليس هو هدّية ، إنّما هو مولاى أتى بهذا البَصَل من ضَيْعَتى . فقلت له : إنّى رأيتك مغموماً ، فلما أتاك غُلامك هذا ، تطلّقت وتبسَّمْت وأَسْفَر وَجْهُك ! فقال : إنِّى أصبحتُ فذكرتُ بُعْدَ عهدى بالمصائِب ، فخفت أن أكون قد سقَطْتُ من عين الله ، فلمَّا أتانى هذا الغلام ، ذكر لى أنّ أكفأ عبَيدى وأقومَهم بضيعتى قد تُوفّى ، فزال عنّى بعض الغَمّ واسترَحْت .

١ : ١٧٥

ولم يزل عبد الرّحمن قاضياً على القَيْروان أيّام محمّد بن الأشْعَث والأَغْلب بن سالم وعمرو بن حَفْص ، وصدرًا من إمارة يَزيد بن حاتِم ؛ فعزل نفسه .

وكان سَببُ ذلك فيما رواه سُليمان بن عِمْران القاضى : أنّ امرأة كانت تدخل على نساء يَزيد بن حاتم ، وكانت لها خصومة عند القاضى ،

فكتب لها كتاب حُكْمٍ وختم عليه وأعطاها إياه ، فأخذته ودخلت به دار يَزيد ، فقال لها يزيد : ما هذا ؟ فأعلمته ، فأخذه وفَضّ خاتمه ، فصاحت المرأة ! فقال لها : لا عليك ، أنا أبعثه إليك مُخْتَتَماً ، فلمّا بعث إليه ، قال : لا أختمه حتى تعيدَ البيّنة ، فبعَثَ إليه مرّة أخرى ، فقال : لا أفعل ، فلما وَلّى رسول يزيد ، أخذ عبد الرحمن خاتمه فكَسَره وقال : والله لا حكمت بين اثنين أبداً .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى[1] : ولما جرى له مع يَزيد بن حاتِم ما جرى ، ترك القضاء ورحل إلى تونس ، ولم يزل مُعَظّما فى صدور الناس ، رفيع القدر عندهم حتى توفّى ، رحمه الله .

﴿ قال ﴾ : وتكلّم / النّاس فى نَقْله الأحاديث ، فقال سُحْنون ابن سعيد : عبد الرحمن ثِقَةٌ . وقال أبو عيسى التِّرْمِذىّ : هو مُقَارِبُ[2] الحديث ، وكان يُقَوِّى أَمْرَه . وقال أبو عمر بن عبد البَرّ : أهل مصر وإفريقية والمغرب يثنون عليه بالفضل والدّين والعَقْل ، وهم أعلم به من سواهم . وتكلّم فيه يحيى بن سعيد من أجل روايته لستّة أحاديث أَغْرب بها لم يعرفها أحد من أَهْل العلم غيره .

١ : ١٧٦

﴿ قلت ﴾ : ذكرها أبو العَرب[3] بإسناد عن البُهْلول بن راشد ،

---

(١) الرياض ١ : ١٠٢

(٢) مقارب الحديث : من صفات التعديل فى اصطلاح المحدثين ، يعنى أن حديثه يقارب حديث غيره من المقبولين . والنص فى تهذيب التهذيب والخلاصة منسوب للبخارى ، وأصله ماذكره السيوطى فى حسن المحاضرة ١ : ١٢١ : « قال الترمذى : رأيت البخارى يقوى أمره ويقول : هو مقارب الحديث » .

(٣) أبو العرب : الطبقات ٢٧

قال : سمِعْت الثورىّ يقول ، جاءنا عبد الرّحمن [بن زياد الإفريقىّ] بسـتّة أحاديث يرفعُها إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، لم أسمع أحدًا من أهل العلم يرفعَها : حديثُ أمّهات الأولاد ؛ وحديثُ الصُّدَائِىّ حين أذّن قَبْل بلالٍ ، فأراد بِلالٌ أن يقيم ، فقال النبىّ صلّى الله عليه وسـلّم : إن أخا صُدَاءٍ قد أذّن ، ومن أذّن فهو يُقيم ؛ وحديثُ : إذا رفع الرّجل رَأْسه من آخر سجدةٍ فاستوى جالساً ، فقد تَمّت صلاتُه [وإن أَحْدَث] ؛ وحديث العِلْم ثَلاثة ، وما سوى ذلك فَضْل : آيةٌ مُحْـكَمة ، أو سنّة قائِمة ، أو فَريضـة عادِلة ؛ وحديثُ اُغْدُ عالماً أو مُتَعَلّما ولا تـكن الثّالث فَتَهْلَكَ[1] ؛ فلهذه الغرائِب أخذ عليه المحدّثون .

﴿ قال ﴾ : وُلد عبد الرّحمن سنة أربع ، أو خمس وتسعين ببَرْقَة والجُنْد داخِلون إفريقيَّة ، وكانت وفاتُه فى شهر رمضان ، سنة احدى وسِّتين ومئة ، وعُمره واحِدٌ وتسعون عاماً[2] . ودفن بباب نافع ، وصلّى عليه يزيد ابن حاتم . ولما رأى يَزيدُ بن حاتم جنازة ابن أَنْعُم وكَثْرَةَ النّاس عليها ، قال متمثِّلاً :

---

(١) أسقط الحديث السادس ، وقد أشار إليه أبو العرب ، وهو حديث : «لاخير فى من لم يكن عالماً أو متعلماً » .

(٢) ورد هذا النص هكذا فى الأصول ، وهو مضطرب ، ولعل صوابه : « وكانت وفاته فى شهر رمضان سـنة [ست وخمسين ومئة ، وعمره] إحدى وستون عاماً » . وتأريخ وفاته بسنة ١٦١ هـ لم يذكره غير المالـكى ؛ وفى تاريخ بغداد والخلاصة وتهذيب الـكمال والعبر وشذرات الذهب أنه توفى سنة ١٥٦ هـ

/ يا كَعْبُ ، ما راح من قومٍ ولا ابتكَرُوا
إلَّا وللموت في آثارهم حَـــادِي[١]

وكان سبب موته أنّه أكل سَمَكاً وشرب عليه لبناً ، فأصابه فالِـجٌ فمات من ليلته .

﴿قلت﴾ : ذكر المـالكي[٢] : أن أكله ذلك على مائدة الأمير يزيد بن حاتم ، وكان يُوحَنَّا المتطبّب حاضراً ، فقال : إن الشّيخ يموت الليلةَ ، فلمّا كان السَّحَر ، سمعوا صيحةً ، فقيل : ما هذه الصيحة ؟ قيل : مات عبد الرّحمٰن !

وكان يزيد بن حاتم محمود السِّـيرة في ولايته ، وله مَناقبُ مشهورة ، فلذلك استخَفَّ عبد الرّحمٰن أكْلَ طعامه على ورعه وفضـله ، رحمةُ الله عليه .

ومنهـــم :

٧١ ● أبو عِمْران ، موسى بن عُلَيّ بن رَباح اللَّخْمِيّ[٣] .

من الفُضَلاء .

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص : الديوان ٤٧ ، وفيه :

ياحَارِ ، ماراح من قَوْمٍ . . . (البيت)

(٢) الرياض ١ : ١٠٢ نقلا عن أبي العرب (الطبقات ٢٩) ونصه أكثر تفصيلا .

(٣) ترجمه المالـكي : الرياض ١ : ١١٢ ؛ ابن حجر تهذيب التهـذيب ١٠ : ٣٦٣ ؛ السيوطي حسن المحاضرة ١ : ١٢٤ ؛ المزي : تهذيب الـكمال ٦٩٥ أ ؛ الـكندي : الولاة والقضاة ١١٩ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١ : ٢٥٨ (سنة ١٦٣) ؛ الذهبي : العبر ١ : ٢٤٢ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٢ : ٢٥ ـ

﴿ قال ﴾ : يروى عن جماعة من التَّابعين ، منهم : والده عُلَىّ بن رَباح ، وغيره . روى عنه أكابرُ العُلماء ، منهم : اللَّيث بن سَعْد ، وابن المُبارك ، وابن وَهْب .

أصلُه من القَيْروان ، وبها مَوْلده . قال عبد الله بن لَهِيعة : قدم علينا مُوسى بن عُلَىّ بن رَباح سنة عشرين ومئة ، وافداً على هشام بن عبد الملك ، وكان رحمه الله فاضلاً ثقةً ، يخضِبُ بالسَّواد .

توفِّي موسى بالإسكندرية سنة ثلاث وستين ومئة .

﴿ قلت ﴾ : ذكر جميعَهُ المالِكيّ[1] .

١ : ١٧٨ / ومنهم :

٧٢ ● أبو محمد ، عبد الله بن فَرّوخ الفَارِسيّ[2]

﴿ قال ﴾ : كان فقيهاً وَرِعاً فاضلاً متواضعاً قليل الهَيْبَة للملوك ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، مُبايناً لأهل البدع ، حافظاً للحديث والفقه . وكان ربّما غسل مَوْتى الضَّعفاء[3] بيده .

﴿ قلت ﴾ : سبق إلى هذا المالكي[3] ، وزادَ : ويَحْملها على عُنقه ؛ زاد غيره : ويدخلها فى قبرها ؛ وهذا غاية فى التّواضع لله تعالى .

---

(١) الرياض ١ : ١١٢

(٢) ترجمه أبو العرَب : الطبقات ٣٤ ـ ، ٢٣٥ ؛ المالكى : الرياض ١ : ١١٣ ؛ عياض : ترتيب المدارك ١ : ٦٩ ب ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ٣ : ٢٦٩ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥ : ٣٥٦ (٦١٢) ؛ المزى: تهذيب الكمال ٣٦١ ب .قال : « ابن فروخ الخراسانى ، ويقال اليمامى ، وقع إلى المغرب » . إبراهيم الرقيق :قطب السرور ١ : ١٦٤ أ

(٣) فى الرياض ١ : ١١٩ : « الغرباء » ، ولا يوجد هذا النص بلفظه فى ترجمته .

﴿ قال ﴾ : وكان النَّـاس يتبرّكون به ويجلسون له على طريقه إذا خرج ، يغتنمون منه دعوةً وموعظةً .

سمع بالمشرق من أبى زكرياء بن أبى زائِدة ، تابعى ، ومن مالك ابن أنس ، وسفيان الثَّوْرِىّ ، والأَعْمَش ، وهشام بن حَسّان ، وابن جُرَيْج .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكىّ[١] : وكان اعتماده على مالك ، لكنّه يميل إلى طريق[٢] النظر والاستدلال ، فربّما مال إلى قول أَهْل العِراق [إذا تبيّن لَهُ أنّ الصّواب فى قَوْلهم][٣] .

يقال أنّ مولده كان بالأندلس سنة خمس عشرة ومئة ؛ ثمّ سكن القَيْرَوان واستوطنها ، ثمّ رحل إلى المشرق ، فلقى فيه العلماء ، ثم رجع إلى إفريقيّة ، فأقام بها يُعلِّم النّاس العِلْم ويحدّثهم بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتّى انتفع به كثير ، ثم رحل إلى المشرق .

﴿ قال ﴾ : وكان عبد الله فرّوخ لمّا قدم على مالك ـ يعنى فى الرحْلة الثّانية ـ قام له مالك ، وكان لا يفعل ذلك لكثير من الناس ، فأجلسه إلى جنبه ، وقال : لو عَلِمتُ بقدومك لأَتيْت إليك ؛ وجعل مالك لا تَرِدُ عليه مسألة ـ وعبد الله حاضر ـ إلّا قال : أَجِبْ أبا محمد ، / فيجيب عبدُ الله ؛ ثمّ يقول مالك للسّائل : هو كما قال لك ، ثمّ التفت مالك إلى أصحابه فقال : هذا فَقيه المَغْرِب .

١ : ١٧٩

(١) الرياض ١ : ١١٣

(٢) فى الرياض : « طريقة » .

(٣) من الرياض ١ : ١١٦ ؛ وفى الأصول : « لظهور صواب عنده » .

﴿ قلت ﴾ : الموضعُ الذِّى أجلسه فيه ، موضع يقعد المَخْزوميّ[١] يُعرف له بجوار مالك ، لا يستدعى مالكُ أحدًا إلى القعود فيه ؛ وهذه مكانة للمَخْزوميّ ومكانة لابن فَرّوخ ، أيّهما وردأَجْلَسه فيه حين وُروده عليه ؛ وأخصّ من ذلك قيام مالك له حين قُدومه . ولا يعرف الفَضْل لأولى الفضل إلاّ أَهْل الفَضْل .

﴿ قال ﴾ : واجتمع عبد الله بأبى حَنيفة وذاكَرَه ، وكتب عنه نحو العشرة آلاف مَسْألة ، وذلك قبل أن يدوّن كتابه .

ويذكر عنه أنه قال : كنت يوماً عند أبى حَنيفة ، فسقطت آجُرَّة من أَعْلَى داره على رأسى فَدَمِيَ . فقال : اُخْتَر ، إن شئتَ أَرْشَ[٢] الجُرْح ، وإن شِئْت ثلاث مِئَة حديث .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكى[٣] : وفى هذه السَّفْرة لقى مالك بن أَنَس وسمع منه وتَفَقَّه ، وعليه اعتمد فى الحديث والفِقْه ، وبصُحْبته اُشتهر .

---

(١) مصحف فى الأصول الى : « المخدوى » ، والمحمدى » .وهو المغيرة بن عبدالرحمن ابن الحارث المخزومى المدنى ، سمع أباه ومالك وغيرها ، وروى عنه أبو مصعب الزبيرى . عرض عليه الرشيد القضاء فامتنع فأعفاه . ومات سنة ١٨٨ هـ . (ابن فرحون : الديباج ٣٤٧) وانظر الرياض ١ : ١١٥

(٢) الأرش : دية الجراحات .

(٣) الرياض ١ : ١١٦ .

ويُذكر أنه ناظَر زُفَر[١] فى مجلس أبى حَنيفة ، فازدراه زُفَر للمَغْرِبيَّة ، فلم يزل ابنُ فَرّوخ يناظِره ، حتى عَلاَ على زُفَر وقطعه بالحجَّة ، فقال أبو حَنيفة لزُفَر : لا خفّف الله ما بك ، معاتبةً من أبى حَنيفة لكونه ازدرَى ابنَ فَرّوخ .

وذكر بعض المصنّفين عن أبى عمرو ، ميمون بن عمر [بن][٢] المعلوف ـ صاحب سُحْنُون ـ قال : حدثنى أبو زكرياء القصير ، عن عبد الله ابن فَرّوخ أنه قال : أتيت الكوفة وأكثر أملى السماعُ من سُليمان بن مِهْران الأَعْمش ، فسألتُ عنه فقيل لى : إنّه غضب على أصحاب / الحديث ١ : ١٨٠ فحلف أنْ لا يُسمعَهُم إلى وَقْت كذا ؛ فكنت أَخْتلف إلى داره طمعًا أَن أَصل إليه ، فلم أقدر على ذلك ، فجلست يوماً على بابه وأنا متفكّر فى غربتى وما حُرمته من السّماع منه ، إلى أن فتح الباب ، فإذا بجارية ، فقالت : ما بالك على بابنا ؟ فقلت : أنا رجل غريب ، وأعلمتها بخَبرى ، فقالت : وأين بلادك ؟ فقلت : إفريقيّة ، فانشرحت إلىّ ، وقالت : تعرف القَيْروان ؟ فقلت : من أَهْل القَيْروان أنا ، فقالت : لعلك تعرف دار ابن فَرّوخ ، فتأمّلتنى ثمّ قالت : عبد الله ؟ ! قلت : نعم ، فإذا هى جارية كانت[٣] لى وهى صغيرة ، فصارت إلى الأَعْمش ، فقالت له : إنّ

(١) هو زفر بن الهذيل بن قيس ، سمع الحديث وغلب عليه الرأى . توفى بالبصرة سنة ١٥٨هـ . أنظر ابن قتيبة : المعارف ٤٩٦ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ٢ : ٤٧٦

(٢) أنظر الخشنى : الطبقات ١٩٥ ؛ المالكى : الرياض ١ : ١١٥

(٣) فى الرياض ١ : ١١٦ : « فإذا هى جارية كانت ببلادنا ، أو قال من بلادنا ، وأظنه قال : كنت رضيعاً لها فأبعناها وهى صغيرة » فصارت إلى الأعمش . . . الخ .

مولاى الّذى كنت أُخْبرك خبَره بالباب ، فأمرها بإدخالى ، وأسكننى فى بيت قُبالَتَه ، فكنت أسمع منه وَحْدى وقد حَرم سائر النّاس ، إلى أن قضيتُ أَرَبى منه .

وفى هذه السَّفرة قعدَ مع أبى حَنيفة وقرأ عليه .

ذِكْرُ هُروبه من القَضاء رحمه الله تعالى :

﴿ قال ﴾ : عرض عليه رَوْح بن حاتِم القضاء فأبى ، فأمر أن يُرْبط ويصعد به على سَقْف الجامع ، فإن هو قَبِل وإلاّ طُرِح من أعلاه ، فلمّا صعد به قيل له : أَتَقْبل القضاء ؟ قال : لا ، فأخذ ليطرح ، فلما رأى العزيمةَ عليه ، قال : قد قَبلتُ . فجلس للنّاس ومعه حَرس ، فلمّا قعد فى الجامع ، تقدّم إليه خَصْمان ، فلما صارا إليه نظر إليهما وبكَى ، وطال بكاؤُه ، ثمّ رفع رأْسه فقال لهما : سألتكما بالله إلاّ أعفيتمانى من أنفسكما ، ولا تكونَا أوّلَ مشئومين علىَّ ، فرحماه وقاما من بين يَديْه . ثم جعل الخصوم يكلّمونه وهو يبكى ، / ويقول : ارحمونى يرحمكم الله . فأعلم الحرس رَوْحاً بذلك ، فقال : قولوا له أشر علينا بمن نُوَلِّى ، فقال : إن يكن أحدٌ فعبدُ الله بن غانِم ، فإِنِّى رأيتهُ شابًّا له صيانة . فولِّى عبد الله بن غانِم القضاء ، فكان ابن غانم يشاوره فى مسائل القضاء ، نخاف عبد الله بن فَرّوخ أن يتقلّد أمورَ المُسلمين ، وطلب السلامة بأن يخرج من القَيْروان إلى الحجّ ، فلما حجَّ وعادَ إلى مِصْر مات بها . فكانت لموته بمصر فَجْعَة عظيمة فى قلوب أَهْل العِلم ، وقالوا :

١ : ١٨١

رَجَوْنا أن يكون لنا خَلَفاً من اللّيث بن سعد ؛ وكانوا يعظّمونه و[يَعْتَقِدون إمامته][1] .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْرٌ لزيادة المالكى[2] بعد قوله : يُشاوره فى مسائل القضاء : فقال له : يا ابن غانم ، لم أقبلْها أميرًا فأَقْبلُها وزيرًا . فألحّ عليه فى ذلك ابن غانم وشدّد عليه ، فخاف عبد الله بن فَرّوخ ؛ إلى آخر ما فَوْقه .

وكان يقول : قلت لأبى حَنيفة : ما منعك أن تَلِىَ القضاء ؟ فقال : يا ابن فَرّوخ ، القضاء على ثلاثة أوْجه ، رجلٌ يحسن العَوْم ويأخذ البحر طولاً ، فما عسى أن يعوم ؟ ! ، يوشك أن يَكِلّ فيغرق ؛ ورجل لا [بأس بعَوْمِه][3] فعام يسيرًا فغرق ؛ ورجلٌ لا يحسن العوم فألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته ؛ فهذا يمنعنى من الدّخول فى القَضاء .

﴿ قلت ﴾ : وهكذا كان المتقدّمون يهربون من القضاء ، لأنّه دخول فى عُهْدة عظيمة ، إذْ واجبٌ عليه أن يُسوِّى بين القوىّ والضّعيف ، والشّريف والمشروف ، ويحكم بما أراه الله ، فلا تأخذه فى الله لَوْمَةُ لائم ؛ وبالجُمْلة فعلى قَدْر هُروبهم منه تقَرّب أهلُ زَماننا

---

(١) من الرياض ١ : ١١٤ ؛ وفى الأصول : « يعتقدونه لأمانته » .

(٢) الرياض ١ : ١٢١ وعبارته : « . . . يشاور ابن فروخ فى كثير من أحكامه » .

(٣) من الرياض . وفى الأصول : « لا يحسن العوم » .

١: ١٨٢ إليه ، / بَعْضُهم بالإشـارة ، وبَعْضهم بالتَّلويح ، وبعضهم بالتَّصْريح ، وأقبح منه معرفة حاشية السَّلطنة ليَذْكُروه لسلطانهم . ورأيت فى زماننا من يَرْشُو عليه من يُقْبَل قولُه عنـدَ من له النَّظر من أمير المؤمنين وقاضى الجَماعة ، ولئن طال الأَمْر هـكذا ، أخاف أن يقع أقبحُ من هذا ؛ فهذه مصيبةٌ أُصيب المسلمون بها ؛ لـكَوْنه صار يقدَّم على الناس من لا يُرْضَى لتلبيسِ من لبَّس على أمير المؤمنين ، والواجب عليه أن لَا يقدّم إلّا أصْلح النّاس ، ومن إذا امتنع أُجبر .

ذِكْر بقيّة أخباره :

كان ابن فرّوخ لا تأخذه فى الله لومة لائم .

﴿ قال ﴾ : بعث إليه يومًا يزيدُ بن حاتم يسأله عن دَمِ البَراغيث ، فقال بحضرة رسـوله : يسألوننا عن دم البراغيث ، ولا يسألوننا عن دماء المسلمين التى تُسْفك .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْر ، إذ ليس فى كلامه ما يدُلّ على جَواز الصّلاة بدم البَراغيث ، وفى نَقْل المالـكى[1] أوّل ما أجاب السّائل : بأنّه لا بأس بالصّلاة به ؛ ثم ذكر ما تقدّم .

وخرج عبد الله بن فَرّوخ يصلِّى على جنازة فى باب نَافِـع ، فرأى إسحاقَ بن الأمير يزيد بن حاتم وقد أغْرى كلابَه بظَبْى ليُضْرِيها ، فنهشَتْه

---

(١) الرياض ١ : ١١٩

ومزّقت جلدَه ، فلما انصرف من الجنازة ، لقيه ابن فَرّوخ ، فوقَفَ له إسحاق ، فقال له : يا بُنَيّ[1] إنّى رأيتك آنفا تُغْرى كلابَك بشىء من البَهائم ، وما أحبّ لك ذلك ، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نهى عن ذلك ، فقال : صدقت يا أبا محمّد ، جزاك الله خيرًا ، ثم قال : والله لا فعلتُ ذلك بعد هذا أبدًا ، ثم مضى لوَجْهه .

وقال ابن قَادِم : / خرج ابن فرّوخ يومًا من الجامع وخرجت معه ، فمرّ فى زُقاق ابن غَانِم ، فنظر إلى دار عَبْد الله بن عُمر بن غانِم القاضى وهو إذ ذاك على القَضـاء ، ونظر إلى غرْفةٍ مبنيّة بالطّوب على بعض دَاره ، فرفع رأسه إليها وردّد النّظر فيها ثمّ قال : يا ابن غانِم ، ما ظننتُ أنّه يبلغ بك الأمل إلى مثل هذا كلّه ! وأَقْبـل يتعجّب من ذلك ويستعظمه . ١ : ١٨٣

﴿ قال ﴾ : روى سُحْنون بن سَعيد رحمه الله : أنّ عبـد الله ابن فَرّوخ وعبد الله بن غانِم اختلفا فى مَسْألة ، فقال ابنُ فَرّوخ : لا ينبغى للقاضى إذا أولاه أميرٌ غيرُ عَدْلٍ أن يَلِيَ القضاءَ ؛ وقال ابنُ غانم : يجـوز أن يلى وإن كان الأَمير غير عَدْلٍ ، فـكتبَا بذلك إلى مالك ابن أَنس فقال مالك للرّسول : أصاب الفارِسىّ ، وأَخْطأ الّذى يزعم أنّه عرَبِىّ ـ يريد عبدَ الله بن غانم ـ .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْر[2] ، لأنّ الرّسول لمّا وصل إلى مالك

---

(١) الرياض ١ : ١١٩

(٢) أصله نص المالـكى . أنظر الرياض ١ : ١١٤ ـ

وَجَده على دُكَّانَةٍ كبيرة مُرْتفَعة كثيرة الإرتفاع ، والنّاس مجْتمعون عليه ، فقعد حتّى تفرّق النّاس عنْه ، فقام إليـه فأعطاه الـكتاب ، فقرأه مالك فقال للرسول : وُلّى ابنُ غانِم ؟ فقال الرّسول : نعم ، فقال مالك : إنّا لله وإنا إليـه راجعون ! ألاَ هرَب ، ألاَ فرَّ حتّى تقطع يَدُه ! ؛ ثم قال : أصاب الفارسىّ ، إلى آخر ما تقدّم .

والصَّواب عنـدى ما قاله ابنُ غانم ، لأَنّه لو لم يقبل القضاء من الأمير الغَيْر عَدْلٍ يؤدّى أنّه يحكم بين النّاس بنفسه ، فيجور على النّاس لـكَوْنه غيرَ عَدْلٍ ، مع عدِم معرفته للعِـلْم ؛ أو يُقدِّم على النّـاس من لا يصلح ؛ فالواجب قَبول القضـاء منه ، لارتـكاب أخف الضّررين ، ولذلك كان المشهور من / المَذْهب وجـوبُ الجِهاد مع وُلاة الجَوْر ، ١ : ١٨٤ لأنّه لو لم يُجاهد معه يؤدِّى إلى اُستِئْصال المسلمين وغَلَبِة الـكفّار عليهم .

وكان أبو عَمْرو ، البُهْلول بن راشِد ، يقلِّد ابنَ فَرّوخ ويسأله عمّا لا يعلمه [(١)] ؛ حدّث أبو محمد عبد الله بن سعيد بن الحدّاد ، عن أبيه ، قال : حدّثنى من أثِق به من أَهْل العلم ، قال : خرج البُهْلول بن راشد ذات يومٍ مع أصحابه ، [و] قد غطّى خِنْصره بكَفِّه[(٢)] ، فأقبل على رجلٍ من أصحابه ، فأسَرَّ إليه كلامًا دون سائر أهل المَجْلس ، ثمّ انصرف الرّجل ،

---

(١) النص فى الرياض ١ : ١١٧ « وكان البهلول بن راشد يعظم قدر عبد الله فروخ ويكبر قدره ويقلده فى بعض ما ينزل به من أمور الديانة » . وبقية الخبر عنه بالسند والنص .

(٢) فى الرياض : « بكمه » .

ثمّ عاد إليه فكلّمه فيما بَيْنه وبينه ، فأزال البُهْلول كَفّهُ عن خِنْصره وجعل يقول : الحمد لله الّذى لم يجعلنى مِمّن ابتدَع بِدْعةٍ فى الإِسلام ، ثمّ أقبل على الرّجل فقال : حدِّث القومَ بما كان بَيْنى وبَيْنك ، فقال الرجل : أَرْسلنى إلى عبـد الله بن فَرّوخ أسأله : هل كان أحَدٌ من السّلف ـ إذا وَصّى بحاجة ـ ربط فى خنصره خَيْطاً ؟ فتوجّهت إلى عبد الله بن فرّوخ فسألته عن ذلك فقال : نَعم ، كان عبد الله بن عُمر رضى الله عنهما يفْعله ، فقال البُهْلول عند ذلك : إنّ أهلى سألونى فى قَضاء حاجةٍ فربطت فى خنصرى خيطاً لأذكر حاجتَهم ، ثم خِفْت أن أكون ابتدَعْت بِدْعَة فى الإِسلام .

﴿ قال ﴾ : وكان عبـد الله بن فَرُّوخ يَرى الخُروج على أيِمَّة الجَوْر .

﴿ قلت ﴾ : هذا الـكلام فيه بَتْر ، لشرطه إذا كانوا على عَدَد أهل بَدْر .

وذُكر[1] أنّه واعَد قوماً للقيام على من يكون فى زمانه ، فى مكان فى وَقْت معلوم ، فلبس آلات الحَرْب وأتى المـكان فى الوقت المعلوم ، فلم يُوافِه / أحـد . فلمّا خرجَ إلى المَشْرق وخرج الشّيوخ يُودِّعونه ، قال لهم : إنى كنت أقول بجواز الخُروج على أيِمَّة الجَوْر ، وأشهدكم أنّى رَجَعْت عن ذلك .

١ : ١٨٥

(١) أنظر هذا الخبر أكثر تفصيلا فى طبقات أبى العرب ٣٥

﴿قال﴾ : ومناقِبُه شَهِيرة . وتوفّى بمصر ودُفِن بالمُقَطَّم المعظّم ، سنة سِتّ وسَبْعين ومئة .

﴿قلت﴾ : وقيل توفّى سنة خَمْس وسبعين ومئة . وقيل إنّما كانت حياته خمساً وخمسين سنة ، وكانت وفاته بمنصرفه من الحجّ .

قال ابنُ وَهْب : قدِم علينا ابنُ فَرّوخ سنة ستٍّ وسَبْعين ومئة بعد موت اللّيْث بن سَعْد ، فرجَوْنا أن يكون خلفاً منه ، فما لبث إلاّ يسيراً حتّى ماتَ ، وَجعلتُ على نفسى أن لا أحضر جنازةً حتّى أقِف على قَبْره أدْعُو له .

ومنهم :

٧٣ ● عُبَيد الله بن زَحْر الكِنانِى[١]

﴿قال﴾ : كان فاضلاً صالحًا . مولده بإفريقيّة ، وهو معدودٌ من شُيوخها .

يروى عن عبد الله بن مسعود التّجيبى ، وعن خالد بن أبى عِمْران التّونسِى . ثم رحل إلى المَشْرق ، فأخذ عن الأعْمش ، وأبى هارون العَبْدى ، والرّبيع بن أنَس .

---

(١) ترجمه البخارى : التاريخ الكبير ٣/١ : ٣٨٢ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢ : ٣١٥ ؛ ابن ماكولا : الإكمال ٢ : ٦ أ ؛ المالكى : الرياض ١ : ١١٢ ؛ ابن الأثير : اللباب ٢ : ٧٣ ؛ المزى : تهذيب الكمال ٤٣٨ ب ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ : ١٢ ؛ التقريب ١ : ٣٤١ ؛ الخزرجى : الخلاصة ٢١٢

سمع منه يحيى بن سَعيد ، ورَقَبَة بن مَصْقَلَة ، وخَلاّد الصفّار ، ولَيْث ابن أبى سليم ، و [يحيى بن][1] أيوب ، والمفضّل بن فضالة .

قال أبو عيسى التِّرمذِى[2] : حدّثنا سُوَيد [بن نَصْر ، أخبرنا][3] عبد الله بن [المبارك][3] ، عن يحيى بن أيّوب ، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن علىّ بن يَزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن[4] عن أبى أُمَامَة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، قال : إنّ أَغبط [أَوْليائى][5] عندى / مؤمنٌ خَفيف ١ : ١٨٦ الحَاذ[6] ذو حظٍّ من الصَّلاة ، أحسنَ عبادة ربّه وأطاعه فى السرّ ، وكان غامضاً فى النّاس لا يُشار إليه بالأصابع ، وكان رزقُه كَفافاً فَصَبر على ذلك . ثمّ نفَض [بيَدِه][7] فقال : عُجِّلتْ منِيّتُه ، قَلَّتْ بَوا كيه ، قلّ تراثُه .

---

(١) محرف فى الأصول إلى : « ليث بن أبى أيوب » . أنظر تهذيب التهذيب ٧ : ١٢ ؛ ١١ : ١٨٦ (٣١٥) .

(٢) صحيح الترمذى . أبواب الزهد : باب ماجاء فى الكفاف والصبر عليه ٩ : ٢٠٩

(٣) جاء هذا السند مضطرباً فى الأصول ، ونصه : « حدثنا سويد بن عبد الله ابن المبارك » عن يحي بن أيوب . وتصويبه عن الصحيح .

(٤) كذا فى الأصول والرياض ، وهو أبو عبد الرحمن الدمشق مولى آل أبى بن حرب الأموى . أنظر عنه تهذيب التهذيب ٨ : ٣٢٢ وقد حرف فى سند صحيح الترمذى الذى نعتمده فى هذه النشرة إلى : « القاسم أبى عبد الرحمن » فليصحح .

(٥) من الصحيح . وفى الأصول والرياض : « الناس » .

(٦) الحاذ والحال واحد . وأصل الحاذ طريقة المتن ، وهو ما يقع عليه اللبد من ظهر الفرس ، أى خفيف الظهر من العيال . (ابن الأثير : النهاية ١ : ٢٦٩ ؛ تاج العروس : مادة حوذ) .

(٧) فى الأصول : « ثم نفض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه » . وفى الرياض : « إصبعه » .

﴿ قلت ﴾ : جميعُه لَفْظ المـالـكى[1] ، إلا أنه لم يذكر التِّرمذىّ ، وقال : ممّا يتّصل بنا عن عبد الله ، إلى آخره .

﴿ قال ﴾ : وبهذا الإسناد عن أبى أُمامة ، عن عُقْبة بن عامِر ، قال : قلْتُ يا رسول الله ، ما النّجاة ؟ قال : املكْ عليك لسـانَك ، وليسعك بيتُك ، وابك على خَطيئتك .

ومنهـــــم :

٧٤ ● أبو عيسى، مَرْوان بن عبد الرّحمٰن اليَحْصُبِىّ[2]

﴿ قال ﴾ : كان من أهل الفَضْل والدّين والعبادة والزّهد . روى عنه ابن وَهْب ، وإدريس بن يحيى .

وروى سليمان بن سالم، قال : قال سُحنون : كان أبو عيسى اليَحْصُبىّ رجلاً صالحاً ناسكاً ، وكان لا ينام أكثر ليلِه لشغله بصلاته ، وإقباله على مُناجاة ربّه .

وعن زياد بن سفيان ، قال : سرق رجلٌ حمارَ أبى عيسى ، فـكان أبو عيسى يقول فى دعائه : اللّهم وصاحب الحمـار فتُب عليه ؛ قال : فلمّا كان بعد ذلك أتاه رجلٌ فسلَّم عليه ، فقال : منْ أنت يرحَمُكَ الله ؟ فقال : والله سارقُ الحمار ، فاجعلنى فى حِلّ وهذا حمارُك .

وعن سعيد الأدم عن سَكَن النّـاظر قال : كنت مع أبى عيسى مَرْوان بإفريقيّة قبل انتقاله إلى الإسـكَنْدريّة — وكان يُقال أنّه مجابُ

---

(١) الرياض ١ : ١١٢

(٢) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٧٥ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ١٢٧

١ : ١٨٧ الدعوة — فأَخْرج / ديناراً ليشترى به طعاماً فى سَنة مجاعة وشِدَّة ، فلقى سائلاً يقول : ﴿ من ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾[1] ؟ فقال فى نفســه : لك ثلثه ؛ قال : فجاءه إبليس فوسوس إليه وقال : ما عسى أن يقع منك ثُلثاه فى هـذا الغلاء ؟ فأرادَ أن يُرْغم الشّيطان ، فقال فى نفســه : لك ثُلثاه ، فجاءه إبليس فَوَسْوس إليه ، وقال : ما عسى أن يقع منك ثُلثُهُ ؟ فأعطاه الدِّينار كلَّه ثمّ عمد إلى جِرابه فملأه نُشَارَةً ثم جاء به إلى امرأته وألقــاه إليها ، ومضى إلى المسجد فأقام فيه حتّى صلّى العشاء الآخرة ، ثمّ أقام حتّى ظَنّ أَنّ عِياله قد ناموا ، ثمّ انصرف إلى عياله[2] ، فرأى آثار النّار ، فقــالت له امرأته : يا أبا عيسى ، لقد جئْتَ اليوم بحُوَّارَى ما رأينا مِثْلها . فلمّا أصبح قال : ياسَــكنَ النّاظر : تعال حتّى أطعمك طعاماً لم يَزْرعه زارعٌ ولم يحصده حصّاد .

﴿ قلت ﴾ : هذا لفظُ المـالِكى[3] . وزاد : وعن يحيى بن يعمر قال : حدّثنى أبو الرّبيع سليمان بن داود أخى رشيد بن سعيد[4] ، قال : قدم ابن الخناق[4] الإسكندريّة بمراكب قَمْح ؛ فاستَبْشر لها أهل الإسكندريّة وفرحوا بها ، فلمّا وصل بها خَزَنها ، فحزن النّاس لذلك وأتوا إلى أبى عيسى مَرْوان النّــاسك ، فقالوا : يا أبا عيسى ، نحن فى ثَغْر من ثُغور المُسْــلمين ، وقد قدِم ابن الخناق بطعامٍ فاحتكره علَيْنا ؛ فلمّا

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٥٧

(٢) كذا فى الأصول ، وفى الرياض : « منزله » .

(٣) الرياض ١ : ١٢٨

(٤) فى الرياض : « . . . . أخى رشيد بن سعد ، قال : قدم ابن الحياق » .

صلَّى العَصر وفرغ من دُعائه قال : اللّهم إنّ فلاناً قدِم علينا بمراكِبَ مَوْسوقَة كأنها إبِلٌ [مَقْطورَة][1] ، زعم أنّه لا بَيع الطّعام إلاّ بكذا وكَذا ، اللّهم فبِعْه عليه ثلاثَة أَرَادِب [وأربعة أرادِب][2] وخمسة أرادِب . قال / أبو الأَصْبغ : وأخبرنى من وقف عليه وهو يبـاع إلى آخر ما انتهى إليه دُعاء أبى عيسى .

١ : ١٨٨

ومنهـــم :

٧٥ ● أبو حَفْص ، عُمر بن عبد الله القَتَّال[3]

❊ قال ❊ : كان من الأَبْدال[4] ، قال أبو بكر المالكى[3] : كان جعل على نفسه أن لا يضحكَ أبداً ، ولا ينام مُضطجعاً ، ولا يأ كل سَميناً ، فما رُئِى ضاحكا ولا مضطجِعاً ولا آ كلاً سميناً حتّى مات .

قال عبد الله بن الوليد : أصاب النّـاسَ ريحٌ وظلمة ، فخرج النّاس إلى الجامع فوجدوه ساجدًا وهو يبكى ويقول فى سُجوده : اللّهم احفظْ محمـداً فى أُمّته ولا تشمّت بنا أحدًا من الأمم ، وإن كنتَ أَخذت القوم بذنبى فهذه ناصيتى بين يديك . فلم يزل كذلك حتى سكن الريح وانجلت الظلمة .

---

(١) من الرياض : وفى الأصول : « منطرة » . والإبل المقطورة : أن تشد على نسق ، واحداً خلف واحد .

٢) من الرياض .

(٣) ترجمه المالكى : الرياض ١ : ١٢٩

(٤) الأبدال : جمع بديل ، الصالحون ؛ وسموا أبدالا لأنهم أبدلوا من السلف الصالح. وقد أفردهم بالتأليف جماعة ، منهم السخاوى والسيوطى . أنظر لسان العرب ١٣ : ٥١ (بدل) ؛ تاج العروس ٧ : ٢٢٣

﴿ قلتُ ﴾ : ذكر المالكى[١] أنّه قال : تروى هذه الحكاية عن محمّد المهدى بن أَبى جَعْفر المنصور ، وهى بالأَبْدال أولى بها من غيرهم .

وله فضائل جَمّة . قال المالكى[٢] : وكان يقول : اللّهمّ إن كنت تعلم أنّى أَعبدك حبًّا لك وشوقًا إلى وجهك الكريم فأَبِحْنيه مرّةً فى الجَنّة واصنَعْ بى ما شِئْت ! .

ومنهـــم :

٧٦ ● أبو يَزيد ، رَباح بن يَزيد بن رَباح اللَّخْمى[٣]

﴿ قال ﴾ : سمع رَباحُ من الأَوْزاعىّ ، ومن سفيان . وروى عنه أبو خارِجة الغَافِقى .

ذِكْرُ ثنـاء العُلماء عليه :

﴿ قال ﴾ : كان من الأَبْدال ، صالحًا فاضلاً / زاهدًا مُستجاباً مشهورًا بذلك ، وبه كان يُضرب المثـل فى زهده وعبـادته ؛ غَزير الدّمعة كثير الإشفاق والخِشْية ، وله كرامات مشهورة . ١ : ١٨٩

---

(١) لا يوجد هذا النص فى ترجمته بالرياض .

(٢) الرياض ١ : ١٣٠

(٣) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٥٤ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٢١٠

وقال أبو العَرب بن تَميم[(١)] : حدّثنا سُليمان بن سالم ، قال : حدّثنا داود بن يحيي[(٢)] ، قال : حدّثنا موسى بن مُعاوية ، قال : حدّثنا أبو عبد الرّحمن عبد الله بن يَزيد القَصير ، قال : رأيت أربعةً ، فما رأيت فى الدّنيا مثلَهم ، رأيت ابنَ عَوْن بالبَصْرة ، فما رأيت مثلَه . ورأيت سُفيان الثَّوْرىّ بالكوفة فما رأيت مثله . ورأيتُ الأَوْزاعِىّ بالشّام ، فما رأيت مثله . ورأيت رَباح بن يزيد بالقَيْروان فما رأيت مثله .

وقال سُحنون بن سَعيد : كان البُهْلول بن راشِد ورَباح بن يَزيد ، فكان الذّكر لرَباح ؛ فلمّا مات رَباح كان الذِّكْر للبُهْلول .

ذِكْر كراماته :

﴿ قال ﴾ : روى السّرىّ الزّاهِد قال : بينما رَباح بن يزيد على أتانٍ له فى سَفر إذ غَشِيَتْه السَلاَّبَة ، فأخذوا الأَتانَ ونزعوا ثيابَه ولم يتركوا عليه إلّا ثوبًا واحدًا ، ثم ذهبوا ، فمال رَباح إلى موضعٍ فأحرم بالصَّلاة ، فبينما هو يُصلِّى إذ أظلمت السَّماء ، فلم يرَ السَلاَّبة أين يتوَجَّهون ، فأقبلوا إليه وهم لا يعرفونه ، فوجدوه قائمًا يصلّى فقعدوا خَلْفه ، فلمّا طوَّل قالوا له : اختصر صلاتَك يا عبد الله ، فقد ترى ما نزل بنا وما نحن فيه ، وما نحسب ذلك إلّا من أجلك ؛ فسلَّم ثمَّ التفت

---

(١) الطبقات ٤٧

(٢) فى ط ع : « داود بن عيسى » محرفا . وهو داود بن يحيي الصوفى (١٥٩ — ٢٤٩ هـ) . المترجم فى طبقات أبى العرب ١٠٩ ، والمعالم ٣ : ٧٨

إليهم وقال : ما تُريدون منّا ؟ نزَعتم ثيـابى وأخذتم أتانى ، قال : فرَدُّوا عليه ثيابَه وأَتانَه ، فانجلت عنهم تلك الظّلمة ، فسألوه بالله أن يُخبرهم من هو ، وأكتبوا ، فقال لهم : رَباح بن يزيد ! .

/ وروى أبو بكر محمـد بن اللَّباد ، شيخُ جماعة أَهْل السـنَّة ١ : ١٩٠ بالقَيْروان رحمهُ الله ، عن سعيد بن إسحق الـكَلْـبِىّ ، قال : حَدّثنى البُهْلول بن راشِد أنه كان بمكَّة ، فأتى رجل خُراسانىّ يسأل عن رَباح ابن يزيد ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وأين عرفتَـه ؟ فأخبرنى أنه رآه على بِئر زَمْزَم ، وقد استقى منه عسَلاً فشرب وَسقانى . فلمّا أَتَى رباحُ أخبرتُه بما قال الخراسانِىّ ، فـكَرِه ذلك وقطَّب .

وروى [أنّ رباحًا كان عنده أُجَراء حَصّادون ، فعمل لهم الغَدَاء وكَسَر لهم الُخبْز ، ثم قال : لو كان عندنا لبنٌ عملناه لهم ؛ وكانت عنـده قِرْبة مملوءة بالمـاء ، فصبّ منها لبنًا على الخبز ، وقدّم ذلك إليهم ، ثم قام إلى القربة ليتوضأ منهـا للصلاة فصبّ منها ماء فتوضأ للصلاة] [١] .

وقال عبد الرّحمٰن بن بكار [٢] ، حدّثنا البُهْـلول بن راشِد ، قال :

---

(١) من الرياض ، وقد ورد هذا النص فى الأصول مضطرباً على هذا الوجه : « وروى أن رباحا كان عنـده أجراء حصادون ، فأتاهم بغدائهم فـكسروا ذلك الخبز ، فقال رباح : لو كان له لبن وقربة ملأى ماء ، فصب منها على الخبز لبناً ثم قام ليتوضأ فصب من القربة ماء فتوضأ به للصلاة » .

(٢) هذا الخبر مسند فى الرياض إلى بهلول ؛ ولم يرد اسم عبد الرحمن بن بكار هـذا فى طبقات أبى العرب ، ولا فى ترجمة البهلول فى الرياض .

قلت لرَباح : يا أبا يزيد ؛ إنّ النّاس قد أكثروا عليك فى أمر اللّبَن ، فقال : ما تعجّبك[١] من هـذا ؟ ! ، فو الله إنّ لى اثنتى عشرة سنة ما خِفت أحداً غير الله ، قال البُهلول . فصغُرت إلىّ نفسى وقلت : يا بُهْلول ، أنت تخاف النّاس وهذا رَباح لا يخافُ أحداً إلاّ الله ! .

وقال أبو بكر [الُحفْرِىّ][٢] : ذهبنا إلى رَباح ، فقيـل إنّه فى الفَحْص ، فخرجنا إليه فوجدناه جالسـاً وبين يديه غدير ماء ، وهو يتوضّأ ولم يبق من وضوئه إلاّ غسل رجليه ، وهما فى المـاء ، فلما رآنا رفع رجليه من الماء ، فأتينا إليه فلم نجد عنده ماء ولا أثر ماء .

وقال سعيد بن محمّـــد بن الحدّاد رحمه الله : كان لرَباح بن يزيد صديق ، وكانت له بنتٌ مُقْعَدة ، فسـأله أن يزوّجها له ، ففعل ؛ فلمّا/دخل عليها أخذ بيدها ثم قال : قومى بإذن الله ، فقامت صحيحة تَمْشى ، ثم قام[٣] إلى موضع فى البيْت فصلّى فيه إلى الصّبح ، ثم خرج وخلّى سبيلَها ، ولم يكن به إلى النّـكاح حاجة . ولقد كان سأله رجلٌ من أمْلِياء أهل القيروان أن يزوّجـــه ابنته وكان لها مال عظيم ، فامتنع رَباح من ذلك ؛ وإنما تزوج هذه من أجل الدَّعْوَة .

١ : ١٩١

﴿ قلتُ ﴾ : ظاهر الحـكاية أنّه لم يَدْعُ لها وإنما هو أخذ بيدها

---

(١) مصحف فى الأصول إلى : « ما يعجبك » . أنظر الرياض ١ : ٢١٦

(٢) محرف فى الأصول إلى : « الخيرى » . أنظر الخبر بسنده فى طبقات أبى العرب : ٤٧ ؛ وأبو بكر هذا هو عبد الله بن أبى زكرياء الحفرى القيروانى ؛ أنظر عنه الطبقات أيضاً ٩١

(٣) فى الرياض : « قال » .

وقال لها : قومى بإذن الله ، فهى كرامة له دون دعاء . وحملها المالكىّ[1] على حمل الشيخ لها ، لإردافه ذلك بقوله : ونظيرُ ذلك أنّ ابن المبارك مرّ بإنسان مُقْعد ، ثمّ مر به بعد ذلك وهو صحيحٌ يمشى ، فسأله عن ذلك ، فقال : مَرّ بى إنسان لا أعرفه ، فسلّم علىَّ وقال : ألَا تدعو الله وتسأله العافية ؟ فقلت له : كيف أقول فى دعائى ؟ فقال : قل فى دعائك : اللّهم كم أنْعمت علَىَّ بنعمةٍ قَلَّ شُكْرى لك عليها ، وكم ابتَلَيْتَنى ببَلِيَّة قَلَّ صبرى لك عليها ؛ فيا من لا يُؤاخِذ بقِلَّة الشّكر على نِعَمِه ولا بقلّة الصّبر على بلائه ، اُكشف ضُرِّى ، وفرِّج عنّى . فدعَوْتُ بذلك فصرت إلى العافية .

ذِكْر بقيَّة أخباره :

﴿ قال ﴾ : روى الشّيخ سعيد بن محمد بن الحدَّاد ، رحمه الله ، قال : كانت لرَباح جارية ، فذهبت تستَقى لهم ماء فأبطأَتْ ، فقامَ رَباح فى طَلَبها ، فوجدها قد وضعت جرّتها إلى جَنْبها وهى نائمة ، فأخذ كساءه فوضعه تحتَ رأسها ، وأخذَ جرَّتها وحملها ، ثمّ رجع فجلس عند رأسها حتّى انتَبَهتْ من نَوْمها فلم تر الجرّة ورأت رباحاً ! فارتعدتْ ، /فجعل يقول لها : أنتِ حُرَّة ، أنت حُرَّة ؛ لتأمن عن نفسها بعِتْقها . (١ : ١٩٢)

﴿ قلت ﴾ : وفى نَقْل أبى بكر التُّجيبِىّ عنه لهذه الحكاية : أنّ الجارية اُسمها زِيادة .

---

(١) الرياض ١ : ٢١٥ بفروق فى العبارة .

﴿ قال ﴾ : وقال بعضُهم : حضرتُ جنازةً مع رَباح بن يَزيد ، والنّاس فى ذلك الوَقْتِ فى أَزْمة شديدةٍ وضيقٍ من العَيْش ، فنظرتُ إلى رَباح ووَجْهُه يتهلّل ، يكاد يضحك من البِشْر؛ ثمّ إن الله كشف ذلك عن المسلمين وصاروا إلى رَخاء . ثمّ اجتمَعْتُ معه فى جَنازة أُخْرى ، فنظرتُ إليه كئيبًا حزينًا يكاد من شدّة حُزْنه[1] يَبْكى ، فقلتُ فى نَفْسى : أين هذه الحالة من الحالة التى كان فيها ؟ ثمّ قلت : والله لأَسْألنّه ، فقلت له فى ذلك ، فقال : أوَ فطنتَ لى ؟ فقلت : كلّ أمْرك قد رَاعَيْته[2] ، فقال لى : وَيْحَك ! كُنّا فى اليوم الأوّل ونحن داعون راغبون إلى الله ذاكرون ، وعِيالُنا وصِبْيانُنا كذلك ؛ وأنت ترى اليوم غَفْلَتَنا وطولَ سَهْونا وقِلّة دعائنا وقلّة تضرّعنا ؛ فأىُّ الحالتين خير ؟ قال : فقلت فى نفسى : أنت فى شَىْء والنّاس فى شَىْء آخر .

وروى أنّ بعض الأندلسيّين أتى إلى رَباح فقال : يا أبا يزيد ، إنّ سعيد بن لبيد[3] أخذ منّى جاريةً لى ؛ فأخذ رَباح عصاه ثمّ انصرف معه إلى دار سعيد بن لَبِيد ، فوجد جماعةً من النّاس قد حَفّوا ببابه يَنْتظرونَه ، فألقى عصاه بينهم ، وجلس حتّى خرج سعيدٌ راكبًا

---

(١) فى ط : « حسرته » .

(٢) فى ز : « عرفته » .

(٣) كذا فى طبقات أبى العرب ٤٥ . وفى الرياض ١ : ٢١٤ ، ٢٢٠ : « سعيد بن حميد » « . . . بن أسد »

من دراه ، فلمّا رآه من كان على بابه من تلك الجماعة نهض على أقْدامه ، وثبت رَباحُ جالساً ، فقصد سعيدٌ إلى رَباح ورَباحُ جالسٌ فى مكانه ، فقال رَباح : قال رسول الله/صلّى الله عليه وسلّم : من أحبّ أن يتمثّل له الرِّجالُ قياماً فليتبوّأْ مقعدَه من النّار ؛ فقال سعيد : يا أبا يزيد ، هل من حاجة ؟ فقال له رَباح : أرْدُدْ على هذا الأنْدَلُسِىّ جاريتَه ، فصاح سعيدٌ بجارية الأندلسىّ فأُخرجت ، فدفعها إلى مولاها . ١ : ١٩٣

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر الشّيخ رباحُ من حَمْل الحديث على ما ذكره ، يأتى مثله لأبى عبد الرّحمن عبد الله بن عمر بن غانِم الرُّعيْنى القاضى . والذّى حمل عليه المحقِّقون ، إنّما هو مَنْ أحَبّ أن يتمثّل له الرِّجال قياماً وهو جالس كعادة السُّلْطان فى ذلك ؛ وأمّا قيامُ النّاس له لوُروده عليهم ، فإنّه جائزٌ ؛ ولم يجعلوا الحديث يتناوله .

﴿ قال ﴾ : رُوِىَ أنّ رباحاً كان يمشى وبيده قِسْط[1] زَيتٍ ، فرآه القاضى عبد الله بن عمر بن غانِم وهو راكبٌ ، فقال : يا أبا يزيد ، هات القِسْطَ أحمِلْه لك ، فقال له رباح : نعم ، فأعطاه إيّاه ، وجعل رباحُ يمشى على الرِّحاب ومواضع الجماعات والقاضى وراءه ، حتّى وصل إلى منزله ، فقال رَباح : إنّما فعلت لك هذا ، لأنّه بلغنى أنّك تَجِد فى نَفْسك ، فأردت أن أَغُضّ منك ؛ فقال له ابنُ غانم : جزاك الله خيراً .

---

(١) القسط : الكوز . والقسط : مكيال .

﴿ قلت ﴾ : تَبِـع(١) فى نَقْله لهذه الحـكاية أبا بكر التُّجِيبىّ ، مع أنّ ذكرَها فى التّعريف بالقاضى ابن غانِم أَمَسّ ، لدلالتها على تواضعه مع كَوْنه قاضى القضاة .

﴿ قال ﴾ : رُوِى عن رباح أنّه قال : رُضْتُ نفسى على ترك المـآثِم حَوْلاً ثمّ حَولاً فضبَطْتُها ، ورُضْتُ لسانى على ترك ما لا يعنينى ، فبَعْد خمس عشرة سنة ضَبَطْتُه .

قال الشّيخ أبو عثمان سعيد بن محمّد بن الحدّاد ، رحمه الله : وهذه الرّياضة إنّما كانت من حين بَلغ ، لأنّه / إنّما مات وهو ابنُ ثمانٍ وثلاثين سَنة . ١ : ١٩٤
وكان قد حَمَّل نفسه الاجتهاد ، حتّى لقد رُوِىَ عنه أنّه قال : كنت أحبُّ الصِحّة ، فلمّا ضعفت عن العمل أحبَبْت المرضَ .

قال الشّيخ أبو عثمان سعيد بن الحدّاد : بلغنى عن البُهْلول بن راشِد رَضى الله عنه ، أنّه كان يوماً جالساً وعنده رَبَاح ، إذ أقبل بَقِيَّةُ ـ أخو البُهلولّ ـ من البادية ، فجعل يَلْهَج بذكر البادية ، والبُهْلول يتقلّى اغتماماً برباح ، لعلمه أنّه لا يَحْتمل ذكر الدُّنْيَا ، فلما أكثر من ذلك نهض رَباح وجعل يقول للبُهْلول : سقطتَ من عينى ، تُذْكر الدّنيا فى مجلسك ولا تنكر ولا تُغَيِّر ! فقال له البُهْلول : إذا لم أَسقُط من عين الله ، فلا أُبَالى من عيْن مَن سقطتُ ؛ فخرَّ رباحٌ على رأس البُهْلول ، فقبَّله وجعل يقول : نعم ، أحسنْتَ يابُهْلول ، فلا تُبالى من عَيْن مَنْ سقطتَ إذا لم تسقط من عينَ الله !

---

(١) ذكرها أبو العرب (الطبقات ٥٠) عن أبى عثمان سعيد [بن] الحداد ، عن بعض مشائخه .

(٢) أنظر هذا الخبر أكثر تفصيلا فى الرياض ١ : ٢٢٠

ذِكْرُ مَرضِهِ وَمَوْته وما يتعلَّق بذلك :

﴿ قال ﴾ : رُوِىَ أنَّه دخل سعيدُ بن لَبيد ـ وزيرُ يَزيد بن حاتِم ـ على رَباح فى مرضه ، فسلَّم فلم يردّ عليه السّلام ، فقال له العُوَّاد : هو نائم ، فقال لهم رَباح : تَكذبون عَلَيَّ ؛ فقام الوزير ودخل على الأمير يزيد بن حاتم وقد غلبه البُكاء ، فأخبره القصَّةَ ، فقال له الأمير : هَبْنى عاديْتُ لك أهلَ الأرض ، أأعادى أهل السَّماء ؟ ! تعَال أريك كيف يُعاد مثلُ رَباح . فركب مع الوزير حتّى دخلاَ على رَباح ، فسلَّم الوزير ، فلم يردّ رَباح ، فقال الأمير لعُوَّاده : إنّ أَبا يَزيد عليلٌ والعليلُ يَشقّ عليه الكلام ، وإذا أجبتمونا عنه فكأنّه المُجيب ؛ / فسألهم عن مَبيته ، وكيف حالُه ، ثم نهض ؛ وجعل كلّ يوم يعودُه يكتفى بمثل هذا الكلام من العُوّاد ، حتّى توفّى رَباح ، وذلك سنة اثنتين وسبعين ومئة ، وازدحم النّاس على نَعْشه ، فقال يزيد بن حاتِم : ازدَحِموا على عَمَله ولا تزْدَحِموا على نَعْشه . وصلّى عليه يزيد ، ودُفِن بباب سَلْم بقُرْب قبر البُهْلول . وقيل إنّه مات فى إمارة رَوْح بن حاتِم ؛ وهو الصَّحيح.

١ : ١٩٥

﴿ قلت ﴾ : بل الصَّحيح هو الأوّل ، إذ لم يحك المالكىّ ولا التُّجيبىّ غَيْرَهُ . وقصد بقوله : أهلَ السَّماء ، الإشارةَ إلى إجابة دُعائه .

وكان رَباح مرض بدَرْب عابِد بن سَوَادَة [1] عند أخٍ من إخوانه ،

---

(١) فى الرياض : « درب عابد بن الأسود » .

فلما أتى سَعيد الوزير على رِجْلَيه بعد المَغرب لزيارته ، خرج إليه صاحب الدّار ، ودَخَل وشاور رباحاً فى دُخوله ، فقال له : لا تأذَنْ له ولا تُدْخِلْه علىّ ، نخافَ صاحبُ الدّار على نَفْسه فأذن له ، ثمّ سبقه إلى رباح وقال له : ها هوذا قد دَخل ، فحوّل رباحُ وجهَهُ إلى الحائط قبل دُخوله لِئَلاّ يُخاطبه ؛ فحينئذٍ جرى له ما تقدّم . وكذلك فعل مع الأمير يزيد إذْ حَوَّل وجهه إلى الحائط لَمّا أدخله صاحبُ الدّار ؛ وإنّما لم يردّ عليهما السَّلام ، لأنّ بالسّلام يُعرف الحقُّ من الباطل ؛ صرّح بهذا اللّفظ ابن راشِد ، فإذا لم يسلِّم على من هو مُتلبِّس بما لا يحلّ ، أو إذا سَلّم ولم يردَّ عليه ، يُعْلم أنّه متلبّس بما لا يحلّ ، وقد عرف ذلك من حاله رضى الله عنه .

وهكذا كان الصَّالحون - رضى الله عنهم - الذّين لا يباشِرون السّطان ولا حاشيته فى قضاء حوائج النّاس .

١ : ١٩٦ / وأمّا من يضطرّ إليهم لما ذُكِر ، فعَدَم السّلام عليهم أو عدَم الردّ فيه تنفيرٌ لهم عن قَضاءِ حوائج المُسلمين ، فيَروْن جوازَ ذلك . ويَنْوى بقوله : السّلام عليكم ، أى الله مُطّلِعٌ عليكم ، كما كان يقوله ويفعله شيخُنا أبو محمد عبد الله الشّبيبى البَلَوِىّ رحمه الله . فكِلا الفريقَيْن على طريقةٍ حسنة .

وازدحامهم على نَعْشه هو من صلاة الظُّهر إلى صلاة العَصْر ، فلمّا طال أَمْرهم ، أمر يزيدُ الشُّرَطَ بحَمْله ، وأزالوا النَّاس عنه .

وقبرُ رَباح بالحوْطَة اللّطيفة قِبْلَة قبر البُهْلول بن راشِد . وعند رأسه

عمودٌ أزْرَق ليس فيه كِتابةٌ ؛ يعرفُه عندنا الخاصَّة والعامّة .

ولما قَدَّم أَميرُ المؤمنين أبو العبّاس أحمد شيخَنَا أبا عبد الله محمد بن خِنْدَار المُرادِىّ قاضياً بقَفْصَة ، وخرج إليها مسافراً ، خرج بعضُ وجوه النّاس لتوديعه ، فساروا خَلْفه فقصد الجَبَّانة الغربيّة ، فمشى ولم يقِفْ على قبر أحدٍ حتَّى وصل قبرَ رَبَاح بن يَزيد ، فوقف عنده ودَعا وانصرف ، ولم يقِفْ على قبر أحد غيره ؛ وهذا يدلّ على كال اعتقادِه فيه ، ورغبته فى إجابة دعائه عنده ، وخصوصِه بِعلوّ مقامٍ عندَه لم يكن لغيره ، مع قرب من جاوره من البُهْلول وَغيْره .

وعَرَّفَنى بعضُ العُدول من أصحابنا عمّن حدّثه ، قال : خرجتُ أوّل مافُتِح بابُ القَيْرَوان بقَصْد الزّيارة لقبر رباح بن يزَيد ، فكنت أَوّل واصلٍ إليه من البَلَد ، فوجدتُ عندَ قبره رجلاً حسنَ الوَجْه ، حسن اللبّاس ، فى وجهه حُمْرة كأنّما خرج من الحَمّام ، وفى يديه شيء من الحِنّاء ، وهو واقف / على قَبْر الشّيخ رباح ، فسَلَّمت عليه فردّ علىّ السَّلام ، وقال : ما يُقال لصاحب هذا القَبْر؟ فقلت : رَباح بن يَزيد ، فقال : ما أغفلَكم ياأهل القَيْروان عن زيارة صاحب هذا القبر! فقلتُ له : ياسيّدى ، من أين أنت ؟ فقال : صلّيت الصّبح من يومى هذا بسمَرْقَنْد خُراسان ؛ فلمّا قال لى ذلك نظرتُ إليه ، فطار بين يدىّ بين السماء والأَرْض وأنا أنظر إليه . وعَرّفنى من أثق به عمّن حدّثه من أهل المَغرب ، أنّ بأقصى المغرب شجرةً ، إذا فتّح نَوْرُها ، يوجد فيها مكتوب بقلم القُدْرة : لا إله إلاّ الله ، رَباح بن يزَيد ولىّ الله .

١ : ١٩٧

ومنهـــــم :

٧٧ ● أبو عَمْرو ، البُهْلول بن راشِد الحَجْرِيّ ثُمَّ الرُّعَيْنِيّ ، مَوْلاهم .

﴿ قال ﴾ : روى عن مالك بن أنس ، والثّوريّ ، واللّيث بن سعد ، ويونس بن يزيد ، وموسى بن عُلَيّ بن رَباح اللَّخْمِيّ ، والحارث ابن نَبْهان ، وعبد الرَّحمٰن بن أَنْعُم .

وسمع منه : سُحْنون بن سَعيد ، وعبد المُتَعال ، وعبد الله بن مَسْلَمَة القَعْنَبِيّ ، وعَوْن بن يوسف ، وأبو زكرياء الحُفْرِيّ ، ويحيى بن سَلاَّم ، وغيرهم .

قال أبو عُمر بن عبد البرّ : أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدّثنا عبد الحميد بن أحمد الوراق ، قال : حدّثنا الخضر بن داود ، قال : حدثنا أبو بكر الأفهم ، قال : حدثنا : القَعْنَبِيّ ، قال : حدثنا البُهْلول بن راشِد ، عن يونس بن يَزيد ، عن ابن شِهاب ، عن سالِم بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : سَمِعْتُ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يقول : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعطيني العطاء ، فأقول : أُعطه من هو أَفْقر إليه منّي ،

---

(١) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٥٢ ؛ المالكى : الرياض ١ : ١٣٢ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ١/١ : ٤٢٩ ؛ عياض : ترتيب المدارك ١ : ٦٧ أ ؛ ابن فرحون : الديباج ١٠٠ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ٢ : ٦٦

نسبته إلى حجر بن ذى رعين ، (اللباب ١ : ٢٨٠ ؛ الجمهرة ٤٦١) ؛ وفى الأصول : « الرعينى ثم الحجرى » .

١ : ١٩٨ فقال / رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : خُذْهُ فَتَمَوَّلْه أو تَصَدَّق به ، وما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف[١] فخذه .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكىّ[٢] : روى عنه مُسلِم بن الحجّاج فى [سُنَنِه][٣] . وألّف ديوانًا فى الفِقْه ، والغالب عليه اتّباع مالِك ، وربّما مال إلى قَوْلِ الثَّوْرىّ .

ذِكْرُ ثَناء العُلماء عليه :

قال المالكىّ[٢] : فضلُه أشهر من أن يُذْكر .

﴿ قال ﴾ : روى أنّه دخل على مالك بن أنس ، هو وعبد الله بن غانِم وعبد الله بن فَرُّوخ ، فقال مالك للبُهْلول : هذا عابِد بَلده ؛ وقال لعبد الله بن عمر بن غانِم : هذا قاضى بلده ؛ وقال لابن فَرّوخ : هذا فَقيه بلده ؛ فكان كما قال رحمه الله .

وقال القَعْنَبِىّ : حدّثنى البُهْلول بن راشِد ، وكان وَتَدًا من أَوْتاد الأرض . وقال محمد بن يزيد الجُذَامِىّ : ما رأيت أحداً أَخْشَى لله من البُهْلول بن راشِد . وقالت غُزَيِّل سَرِيَّة البُهْلول : ما رأيتُه نزع طوْقَهُ من عنقه ثلاثين سنة[٤] .

(١) يعنى : ماجاءك منه وأنت غير متطلع إليه ولا طامع فيه . انظر ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث ٢ : ٢١٤

(٢) الرياض ١ : ١٣٢

(٣) من الرياض . وفى الأصول : « سنده » .

(٤) كذا ورد هذا الخبر فى الأصول : ولفظ الطوق هنا مستغرب ! وأورد الرياض ١ : ١٣٧ هذا الخبر عن ابن الحداد عن أمه عن غزيل بشىء من التفصيل ، وفيه : مارأيته نزع « ثوبه عن جسده » .

وكان البُهْلول يقول : والله إنّى لأستحى من الله عزّ وجلّ أن تكون الملائكة أطوَعُ له منّى .

وكان سُحنون يقول : أنا اقتديت فى تَرْكِ السّلام على أهل الأهْواء ، وتَرْكِ الصّلاة عليهم ، بفِعْل البُهْلول .

وعن الشّيخ أبى سعيد بن الحدّاد رحمه الله ، أنه قال : ما كان بهذا البلد أحدٌ أَقْوم بالسنّة من رجلين : البُهْلول بن راشِد فى وقته ، وسُحنون بن سعيد فى وقْته .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى[1] ، قال سُحنون : مَثَل العِلْم القليل فى الرّجل الصّالح ، مثل العَيْن العذبة فى الأَرض العَذْبة ، يزرع [عليها][2] صاحبُها زرعًا فينتفِعُ به ؛ و مَثَلُ العلم الكثير فى الرَّجل الغَيْر / الصَّالح ، مثل العَيْن الخرّارة فى الأَرْض السَّبِخَة ، تَهدِر اللَّيلَ والنّهار ولا يُنْتَفع بها . ويَقُول على إثْر هذا : البُهْلول كان رجلاً صالِحا ، ولم يكن عنده من الفِقْه ما عند غيره ، نفعنا الله به . وذَكَرَ رجُلاً آخر قد صحب السّلطان ، فقال : بَحْرٌ من البحور ما نفعه الله بعِلْمه .

١ : ١٩٩

ذِكْرُ جُمْلةٍ من أخْباره :

﴿ قال ﴾ : رُوِى أنّه كان عند البُهْلول بن راشِد طعامٌ ، فغلا السِّعر ، فأمر به فبِيع ، ثم أمر من يشترى له ربع [قَفِيزٍ][2] ، فقيل له

---

(١) الرياض ١ : ١٣٣

(٢) من ع والرياض ١ : ١٣٥

تبيعُ ثمّ تشترى ؟ فقال : نفرح إذا فرح النّاس ، ونحزن إذا حزن النّاس .

وقال أبو زَرْجونَة : استعْقِبْتُ ليلة جمعة ، وضُربتُ بِمِقْرَعَة ونُزِعت عنّى أَسْمالى ، فأخبرتُ البُهْلولَ من الغد ، فأكبّ علىَّ يسألنى أن أجعل من فعل ذلك فى حِلّ [فقلت له : يا أبا عمرو ، وفعلوا بى ، وفعلوا بى ، ثم أجعلهم فى حِلّ] [1]؟! فقال لى : يَسُرُّكَ أَن يُحَال بين أخيك المسلم وبين الجنّة بسببك ؟! فلم يزل يتلطف بى ، حتّى جعلتهم فى حِلّ.

وعن سعدون بن أبان ، عن دحيون ، قال : كنتُ بالمدينة فإذا رجل يسأل ، أها هنا رجلٌ من أهل إفريقيّة ؟ فقلت له : أنا ، فقال : من أهل القَيْروان ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف البُهْلولَ ؟ قلت : نعم ، فدفع إلىَّ كتابا وقال أوصله إليه ، فدفعت إليه الكتاب ففتحه ، فإذا فيه من امرأة من أهل سَمَرْقَنْد خُراسان : أنا امرأة مَجَنْت مُجونا لم يمجُنْه إلّا أنا[2] ، ثمّ إنّى تُبْت إلى الله عزّ وجلّ ؛ وسألت عن العُبّاد فى أقطار الأرض فوُصف لى أربعة ، بُهلولٌ بإفريقيّة رابعُ الثّلاثة ، فسألتك بالله يا بُهلول إلّا سألت الله أن يديمَ [3] لى ما فتح لى فيه . فسقط الكتاب من يده وخرَّ على وَجْهه ؛ فلم يزل / يبكى حتى لصق الكتاب بطين دُموعه ، ثم قال : يا بُهْلول ، ذُكِرْتَ بسمَرْقَند خُراسان ؟! الوَيْلُ لك يا بُهْلول إن لم يُستَر عليك يوم القيامة .

١ : ٢٠٠

---

(١) من ع والرياض ١ : ١٣٥

(٢) فى طبقات أبى العرب ٥٥ والرياض ١ : ١٣٥ : « لم يمجنه إلا هى » .

(٣) كذا فى ع والطبقات والرياض . وفى ط : « يدع » .

وقال أحمد بن إبراهيم : دفع البُهْلول أربعةَ دَنانيرَ[1] لرجل وأمره أن يَشْترى بها زيتاً من السّاحل يَسْتعذِبُهُ له ، فلمّا انتهى إلى الموضع قيل له : إن عند رجل نَصْرانىّ زيتاً ليس فى هذا الموضع زيتٌ أعذب منه ، فانطلق الرّجل إليه وسأله أن يبيع له بالدنانير ، وقال : إنّما أردُته للبُهْلول ، فقال النَّصرانىّ : ونحن نتقَرّب إلى الله بالبُهلول كما تتقربون به إليه ؛ ثم أعطاه من ذلك الزّيت ما يباع بأربعة دَنانير من الزّيت الدُّون . فقدِم الرّجل على البُهْلول فأخبره بجميع ما صنع النَّصرانىّ وما قال ، فقال البُهلول : قد قضيتَ حاجةً فاقضِ الأخرى : اردُد عليه زيته ، وأُرْدُدْ علىَّ الدَّنانير ؛ فقال : ولِمَ أصلحك الله ؟ قال : ذكرتُ قول الله : ﴿لا تَجِدُ قوماً يُؤْمِنونَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ من حادَّ الله ورَسُولَه ﴾[2] فخشيتُ أن آكل من زيت النَّصرانِىّ فأجِدُ له مَوَدَّةً فى قَلْبى فأكون مِمّن وادَّ من حادَّ الله ورسولَه على عَرَضٍ من الدّنيا يَسير .

﴿ قلت ﴾ : هذا من البُهْلول بن راشِد على طريق الوَرَع ، لأنّ المراد فى الآية إنّما هو الموادَّة فى الدّين ، وأمّا الموادة فى المُعاملة فى الدّنيا فغَيْرُ داخلة فى الآية ؛ ويدلّك على هذا إباحة نكاح الكتابيّة ، ولا شكّ أنّا إذا تزوّجناها مِلْنا إليها ووددْنَاها . وما ذكره النَّصرانىُّ فى قوله : ونحن نتقرّب إلى الله بالبُهْلول كذبٌ منه / ومُداهَنَة وإظهار غِشّه . ١ : ٢٠١

(١) فى الرياض ١ : ١٣٦ : « دينارين »، وهو أرجح لما يأتى من بقية الخبر .
(٢) سورة المجادلة . الآية ٢٢

وقال عبد الله بن يوسف : بلغنى أنّ رجلا قال للبُهْلول : يامُرائى ، فقال له البُهْلول : قد أخبرتها بذلك ـ يَعْنى نفسه ـ فأبت علىَّ فلم تقبل منّى ، فالآن اجتمع عليها شهادتُك وعِلْمى بها ، فشهادَةُ الاثنين خيرٌ من [شهادة][1] واحد .

وقال يوماً لرجلٍ : والله لو كانت للذّنوب رائحةٌ ما جلستَ إلىَّ ولا جلستُ إليك .

وقيـل أنّ امرأةً رأت البُهْلول فقالت : سماعُك بالمُعَيْدىّ خيرٌ من أن تَراهُ[2] ؛ فقال البُهْلول : هذه امرأة عَرفَتْنى .

﴿ قلت ﴾ : نقل هذه الحكاية المالكىّ[3] عن أبى زكرياء الُحفْرِىّ قال : كنت عنـد البُهْلول وهو يتفلّى ، إذ أقبلت امرأتان فقالت ، إحداهما للأُخْرى : أتريدين أن أريك البُهْلول ؟ فقالت : نعم ، فقالت : هذا الذّى يَتَفَلّى ، فقالت : سماعُك بالمُعيدى خـيرٌ من أن تَراه ؛ قال أبو زكرياء : فأقبل علىَّ البُهْلول وقال لى : أتريد أن أريك من عَرفنى ؟ هذه المرأةُ هى التّى عرفَتْنى .

﴿ قال ﴾ : وكان مُستجاباً . رُوى عن رَجل من أصحابِ البُهْلول قال : جئت إلى البُهْلول وبين يديه بُنيّة له وعليها ثياب مُصبّغة ، وهى طفلة ، فقال : ما أُحبّ شيئاً مثل حُبّى لها ، وإنى لأحبّ لو قدَّمْتُها ،

---

(١) تكملة من الرياض .

(٢) انظر الميدانى : مجمع الأمثال ١ : ١٢٩ ولفظه : « تسمع بالمعيدى . . . » .

(٣) الرياض ١ : ١٤٠

فانصرفتُ عنه ثم رجعت إليه فوجدت الناس مُجتمعين ، فقلت : ما للنّاس ؟ فقيل توفّيتْ بنتُ البُهْلول ، فدخلتُ عليه ، فلمَّا عَزَّيتُه [وولّيت عنه] [1] لحِقَنى فقال لى : سألتك بالله لا تذكر لأحد ما كان منى مادمت حَيّا . يريد ما كان منه فى أمر [2] ابنته فى صَدْر ذلك اليوم .

﴿ قلت ﴾ : قال أبو بكر المالكى [3] رحمه الله عن الشيخ أبى عُثمان سعيد بن الحدّاد رحمة الله عليه ، قال : أتى / هَرْثَمَة بن أَعْيَن ، وهو والى إفريقيَّة إلى البُهْلول برجاله وألْوِيَته ، وكان فى مسجده مُسْتَنِدًا إلى عمود ، فمال عن السّرْج لينزل إليه ، فلمّا رآه لم يَرْفَع رأسه إليه ولم يَنْهض للقيام رجع كما هو فى سَرْجه ، وقال لبعض أعْوانه : ادفع هذا المِزْوَد بالدَّراهم إليه ، وقُلْ له يفرِّقه ؛ فأتاه فأخبره بقوله ، فقال له البُهْلول : قل له أنت أعْرفُ بِمَوْضِعه منّى . وأبى أن يقبله ويُفَرِّقه .

١ : ٢٠٢

وكان لقَوْم من النخّاسين على البُهْلول عشرون دينارًا ، وكان للبهلول على [دحيون] [4] نظيرُها ، فوقف بالبُهْلول سائِل ، فقال لصاحبه : ادفع إليه دينارًا من العشْرين ، فدفعه إليه ، ثم جاء النخّاسون فطلبوا البُهْلول بالعشرين دينارا ، فقال لصاحبه : ادفع إليهم ، قال : قد حضر

---

(١) من الرياض ١ : ١٣٦

(٢) فى الرياض : ما كان منه فى « تمنيه » .

(٣) الرياض ١ : ١٣٦ عن طبقات أبى العرب ٦٠ مع اختلاف لفظى بسيط .

(٤) تكملة من الطبقات ٥٦ ، والرياض ١ : ١٣٧ ، وفى الأصول : « على رجل » .

منها تسعة عشر دينارًا ، فقال لصاحبه : عدّها عليهم ، فعدَّها عليهم فإذا هى عِشْرون دينارًا ، فقال لصاحبه : لا إلٰه إلّا الله ! أراك لا تُحْسِن العدّ. وإنما قال هذا مخافة أن يظهر [الله][1] عليه [هذا الأمر][1] .

ومما يعضّد[2] هذه الحكاية ، أنّ عامر بن قَيْس كان يأخذ عَطاءه فيجعله فى ردائه ، فلا يلقى أحدًا من المسلمين المساكين يسأله إلّا أعْطاهُ، فإذا دخل على أهْله ، رمَى به إليهم فيجدونه كما أُعْطِيَهُ .

وقال أبو بكر التُّجِيبِىّ : قال أبو سِرَاج البَنّاء فى مجلس القاضى عبد الله بن هاشِم : قصدتُ أنا وصاحبٌ لى قبرَ البُهْلول نصلِّى عنده ، فألفينا عنده رجلاً نائماً ، فحركّناه وقلنا لَه : ما الذّى أتى بك ؟ قال : صلَّيتُ ركعتين ثم أخذَتْنى عَيْنى فنِمْت نومةً رأيت فيها عَجباً ، إذَا رجل أَقْبل فسألتُه من هو ؟ قال : أنا أُوَيْس القُرَنى ، جئت أزور هذا الشّيخَ ، / قلت له : أنت الذّى يدخل فى شفاعتك مثل رَبيعة ومُضَر ! ؟ قال : نعم ، وصاحب هذا القَبْر يدخل فى شفاعته مِثْلُ رَبيعة ومُضَر . ١ : ٢٠٣

ذكر الشّيخ الدبّاغ رحمه الله لما عَرَّف بمُعَتِّب بن رَباح[3] ، أنّه دخل على البُهْلول فى مسجده ، فقال له البُهْلول : يا أبا أحمد ،

---

(١) تكملة من الرياض .

(٢) فى الرياض : « يسند » .

(٣) المعالم ٢ : ١٢٨ — ، وكذا ورد اسمه فى طبقات أبى العرب ١٢٢ ؛ وفى الرياض ١ : ١٣٧ « مغيث » .

ما جاء بك ؟ فقال له : يا أبا عَمْرو ، قد عزمت فى هذا العام على الخروج إلى الحجّ ، فقال له : يا أبا أحمد ، أما كنت حجَجْت ؟ قال : نعم ، ولـكنّى اشتقتُ إلى بيت الله الحرام وإلى قبر النّبىّ عليه الصّلاة والسّلام ، فقال البُهْلول : كم هَيّأت لخروجك ؟ قال : مِئَة دينار ، قال له البُهْلول : فهل لك أن تأتيَنى بها فأصرفها فى مواضع ، وأضمن لك على الله عشرَ حِجَج مقبولة ؛ فقام مُعَتِّب سريعاً فأتاه بالصُرَّة ، فأَفْرَغها البُهْلول تحت جِلْد كان قاعدًا عليـه ، وقعد مُعَتِّب بن رَباح ؛ فلم يزل يدخل الرّجل فيعطيه خمسة دنانير ، وآخر فيعطيه ثمانية ، وآخر فيعطيه عشرة ؛ فواحد يقول له : تزوَّجْ منها وعِش بالباق ، وآخر يقول له : وَسِّع بها على عيالك وصِبْيانك ، وآخر يقول له : استر بهـا وجهك ؛ فلم يقـوما حتّى نفدَت المئة .

وكان بالسِّدْرَة بالقَيْروان[1] رجلٌ صالح يقال له أبو سُليمان الأَعْمَى ، وكان من أهل الدِّين والفَضْل ، فأخبر أبو سُلَيمان أنّه أَتاهُ آتٍ فى تلك اللّيلة فى منامه ، فقال له : يا أبا سليمان ، آمْضِ إلى مُعَتِّب[2] بن رَباح وأخـبِرْه أنّ الله قد وَفَّى له بمـا ضمن له البُهْلول ، قال أبو سُليمان : فغلب علىّ النّوم ؛ ثم أتانى الثّانية فقال لى : يا أبا سُليمان ، امض إلى / مُعَتِّب السـاعةَ قبل أن يطلع الفَجْر ، وأخبرْه أنّ الله وفّى له ما ضمن له البُهلول ، فقام أبو سليمان تلك السّاعة ، فأتى إلى باب مُعَتِّب بن رَباح ، ١ : ٢٠٤

(١) كذا بالأصول والرياض ١ : ١٣٧ . وفى المعالم ٢ : ١٢٩ « وكان بالسـدرة — أحد أرباض مدينة القيروان — رجل . . . »

(٢) فى الرياض : « مغيث » .

فدقّ عليه البابَ فخرج إليه مُعَتِّب ، فقال له : يا أبا سليمان ، ما جاء بك فى هذه السّاعة ؟ فقال له : أُرْسِلت إليك لأخبرك أنّ الله وَفَّى لك ما ضمن لك البُهْلول . وذِكْرُ هذه الحكاية هُنا أمَسّ لها من ذلك المحلّ .

قال عَوْن[1] : وصَنَع البُهْلول طعاماً وحضَر[2] له جماعةٌ من أصحابه ، فقالوا له : يا أبا عَمْرو ، لم صَنعت هذا الطّعام ؟ فقال : إنّى كُنت خائفًا أن أكون من البَرْبَر لِمَا جاء فيهم من الحديث ، فسألت عن أَصْلى مَنْ يعرفه[3] ، فأُخْبرتُ أنّى لست من البَرْبر ، فاتّخذت[4] لذلك هذا الطَّعامَ شكراً لله إذ لم أكن من البَرْبَر .

ورُوى عن البُهْلول أنه كان يقول : بينَا رضوانُ واقِفٌ على باب الجنّة ، إذ سمع فيها حركةً ، فقال : يا ربّ ، خلقت هذه الدارَ وجعلْتَ مفاتيحها بيدى ، وماظننتُ أنّ أحدًا يدخلُها بغير علمى ، فأوحى الله إليه : يا رضوان ، هؤلاء قومٌ عبدونى فى الدّنيا سرًّا فأدخلتهم الجنّة سِرًّا ، لِئلاَّ يروا أهوالَ يوم القيامة .

---

(١) أسند أبو العرب هذا الخبر فى طبقاته ٥٨ لمحمد بن محمد بن خالد القيسى ، عن عبد الرحمن بن عمران ، عن عون بن يوسف . وأورده المالكى : الرياض ١ : ١٣٩ بدون إسناد .

(٢) فى الرياض : « أحضر » .

(٣) فى الرياض : « من يعلمه » .

(٤) فى الرياض : « فأحدثت » .

وكان البُهْلول كثيرًا ما يدعو بهذا الدّعاء[1] ، وهو : اللّهم إنّى اسألك باسمك العظيم الأعظم ، وأسألك باسمك الكبير الأكْبَر ، يا الله يا الله يا الله ، أنت نورُ كلّ نور ، وأنت نور السّماوات والأرض ، أسألك يا كريم يا كريم يا كريم ، وبنور وجْهِك أسألك يا كريم ، يا فَتّاح يا فتّاح يا فتّاح ، يا قادر يا قادر يا قادر ، وبنور وجهك يا قادر ، / وبنور وجهك يا قادر ، وبنور وجهك يا قادر ، وبنـور وجهك يا حليم ، وبنور وجهك يا حليم ، وبنور وجهك ياحليم ، أسألك أن توجب لنا رضوانَك الأكْبر ، والدّرجات العُلَى من الجنّة ، وتعافينا من النّار ومن سُخْطك ، وتمنّ علينا بحِفظ كتابك حتّى نتلوه على الوَجْه الذّى يرضيك عنّا . قال البُهْلول : وإيّاك أن تدعوَ به فى شىء من أمور الدنيا ؛ اللّهم إنّى بلَّغْت .

١ : ٢٠٥

وعن أبى سِـنان أنّه قال : سمعتُ البُهْلول يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء ، ثمّ ضرب عليهم بسُور من نور ، ثم يقول : إنّى لَم أَضَعْ حكمتى فيكم وأنا أُريد أن أعذّبكم ، تعافَوْا وادخلوا الجنَّة . قال سِـنان : فقيل للبُهْلول ، وما معنى تعافَوْا ؟ فقال : قول بَعْضهم فى بعض ، فلانٌ ليس يعرف شيئًا[2] .

قال : وما أعمال البرّ كلّهـا عند الجهاد فى سبيل الله ، إلّا كبصقة فى بَحْر .

---

(١) أورده المالـكى : الرياض ١ : ١٤١ ، وقال: « رأيته بخط محمود المتعبد بالمستير » .

(٢) انظر الرياض ١ : ١٤٠

وعن عبد الله بن الوليد ، قال : كان عندَ البُهْلول شابّ يطلب العلم ، ثم أقبل على المَجَانة ، فأُعلم بذلك البُهْلول فساءه ما بلغه ؛ فبينما هو يومًا جالس ، إذ مرّ به الشابّ وتحت ثوبه طُنْبور ؛ فقيل للبُهْلول : انظر ـ أصلحك الله ـ إليه وإلى ما تحت ثوبه ، فتأمّل البُهْلول ، فعرف تصديق ما قيل له ، فقال للقائل له ذلك : لعله ذاهب ليكسره ، فلمّا كان بعد ذلك بقريب ، مضى البُهْلول بنفسه إلى دار الشّاب فقرع الباب ، فقالت له أمُّه : من هذا ؟ فقال : البُهْلول ، فقالت له : ما تُريد ؟ فقال لها : ولدك ؛ فلم تزَلْ به حتّى خرج إليه فسلَّم عليه البُهْلول وقال له : يا ابن أخي ، مالك / اشتغلتَ عنّا ؟ كلُّ هذا منك زَهادَةً في الخير ؟ ! وأخذ يعِظُه ويرفق به ويَعْتَاده[1] بذلك ، حتّى رجع الفتى عمّا كان عليه من المجانة ، ثم عاود مَجْلسَ البُهْلول وكان له شأنٌ ، وأقبل على الله ببركة البُهْلول وصُحبته . ١ : ٢٠٦

قال أسد بن الفُرات : جَرت بين عليّ بن زِياد والبُهْلول بن راشِد مسألة اختلفا فيها ، وكُنْت السّفيرَ بينهما بالمُنَاظَرة ؛ كان البُهْلول يقول : أَخْذُ الأَجْناد الأَرْزاقَ التى تُجْرَى لهم حرامٌ عليهم ؛ وقال عليّ ابن زِياد : حلالٌ لهم ، لأنّ لهم فى بيت المال حقًّا ، وإنّما أخذوا حقّهم ؛ على [أنه][2] إن اشترَط عليهم أن يفعلوا ما لا يحلّ لهم فأَخْذُهم جائزٌ والشّرْط باطِلٌ ؛ وليس كمن أَعْطَى رجلاً مالاً ليس له فيه حقّ على أن يقتل رجلاً ، فالأَخْذُ فى هذا حرامٌ والشّرط باطِل .

(١) فى الرياض : « يتعاهده » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

﴿ قلت ﴾ : هذه المسألة نقلها أبو بكر التُّجِيبّى فى التّعريف بعلىّ بن زِياد ، ويجرى على هذين القولين مَنْعُ الشَّهادة وجوازها فيما يأخذه الأَجْناد المتصرّفون فيما لا يَجوز وكذلك غيرُهم ؛ كتصرّفهم فى أَخْذ الخطايا ونحوها ، وبعض عُدولنا اليومَ يشهدُ فى ذلك .

ذِكْر مِحْنته ووَفاته رضى الله عنه :

قال البُهْلول : أقمتُ ثلاثين سنةً أقول إذا أصبحتُ وإذا أمسيت : بسم الله الذى لا يضرّ مع اسمه شىءٌ فى الأرض ولا فى السّماء وهو السّميع العليم ؛ فلمّا كان يومى مع محمّد بن مُقاتِل العَكّىّ نسيتُ أن أقولها فابتُليت به .

﴿ قال ﴾ : وكان سبب موته أن العَكّىَّ أمير إفريقيّة كان يُلاطِف الطَّاغية ، ويبعث إليه بالأَلْطَاف فيكافئه الطّاغية ، فكتب إليه الطَّاغيةُ أن ابعثْ إلينا بالنُّحاس والحدَيد والسِّلاح ، فلمّا عزم العَكّىُّ على / ذلك ، وعظه البُهْلول لتزول عنه الحجَّة من الله ؛ فلمَّا ألحَّ عليه فى ذلك بعث إليه فضربه أسواطًا دون العشرين ، فبرئت كلُّها إلا أثر سَوْط واحدٍ نَغِلَ[1] فكان سبب مَوْته ، رحمه الله ورضى عنه .

١ : ٢٠٧

﴿ قلت ﴾ : وفى كلامه بَتْرٌ لقول المالِكىّ[2] : بعد أن ضربه قيّده ،

---

(١) نغل الجرح : فسد وتعفن .

(٢) الرياض ١ : ١٤٢ –

فقيل : إنّه لما مَدَّ رِجْليه إلى القَيْد قال : إنّ هذا الضّرر من البلاء الذى لم أَسأل الله العافية منه قطّ . و [قيل إنّه][1] لمـا بعثَ [وراءه][1] ليضربه تحاشَد النّاس عليه والجماعة ، فزاد العَـكِّىّ على ذلك حَنَقًا عليه ، فأخرج إلى النّاس أَجْناده ففَرَّقوهم وأمر [بتجريده][2] وضَرْبِه ، فرمى عليه بأنفسهم جماعة ، فضربوهم .

قال أبو زَرْجونة : لمـا ضُرب البُهْلول دخلتُ عليه ، فبينما أنا جالس عنده ، إذ سمعت بكاء رجلٍ داخل من البــاب ، فإذا هو عبد الله ابن فَرّوخ ، فأتى فجلس قُدَّام البُهْلول وهو يبكى ، فقال له البُهْلول : سُبْحان الله يا أبا محمّد ، ما يُبْـكيك ؟ فقال : أبكى لضَرْب ظَهْرك فى غير حَقٍّ ، فقال : يا أبا محمد ، قضـاء وقَدَرٌ . قال أبو زَرْجونة : فبينما نحن جُلوس إذ أرسل إليه العَـكِّىُّ بكسوة وكيس ، فأبى البُهْلول أن يقبل ذلك ، فقال له رسوله : يقول لك العَـكِّىُّ إذا كنت لم تقبل منِّى فاجعلنى فى حِلّ ، فقــال له البُهْلول : قل له ما حللتَ يدىّ من العِقالين حتّى جعلتك فى حِلّ ! واغتم [العـكىُّ لذلك][1] وندم .

ونظر إليه العَـكِّىُّ من حيث لا يشـعر البُهْلول ، فجعل يقول : تبـارك الله ! كأنه والله سُفْيان الثَّوْرِىّ .

وقال أبو جعفر أحمد الـكومى[3] : كنّا مع بعض الخلفاء فى غَزاةٍ ؛ [وكُنّا][4]

---

(١) تـكملةمن الرياض .

(٢) من الرياض . وفى الأصول : « فأمر بتحديده » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى الرياض : «الـكوفىالذى كان يسكن بالمنستير» .

(٤) تـكملة من ترتيب المدارك ١ : ٦٩ أ

١ : ٢٠٨ اثنى عشر ألف فارسٍ من أَهْل الثُّغور ، وكان / يَقضى لنا كلّ يوم حاجتَيْن نكتب بهما إليه فى رُقعة يوصلها إليه الحاجب ؛ فلمّا بلغنا أنّ البُهْلول ضُرِب بإفريقيّة ، تخلخل العسكر ، فأتينا بأَمْرنا بابَ | الخليفة ، فقال لنا الحاجب : مابالكم ؟ فقلنا له : قد جعلنا حَوائِجنا كلَّها فى نُصْرة البُهْلول ، فقال لنا : اتّقوا الله فى دم العَكّىّ ، لا يبلغ الخليفة أن العَكّىّ ضرب البُهْلول إلا قَتَله ، ولكن إن صحّ الخبرُ رفعتُ أمرَكم إلى الخليفة وأخبرته الخبرَ ؛ فرجعنا من الغَزْو قبل أن يتبيّنَ لنا صحّةُ الخبر . فرضى الله عن البُهْلول .

قال العَوَانِىّ : ختم الله عزّ وجلّ أعماله بالشّهادة بهذا الابتلاء ، ليوصله بذلك إلى أَعْلى الدّرَجات وأكبر المقامات .

﴿ قلت ﴾ : ليس هو بشهيدٍ قطعاً .

﴿ قال ﴾ : وكانت وفاته بالقَيْروان سنَة ثلاثٍ وثمانين ومئة[١] ، وهو ابن خَمْس وخمسين سنَة ، ومولده سنة ثمانٍ وعشرين ومئة ، ودفن بباب سَلْم ؛ وقبرُه مشهورٌ يُزار ويتبرّك به رحمه الله.

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى[٢] : وكانت وفاته بعد وفاة علىّ بن زياد بخمسة وثلاثين يوماً ، وكان مولدُه ومولدُ عبد الله بن غانم ، وعبد الرحمن ابن [القاسم][٣] فى سنة واحدة ، [سنة ثمان وعشرين ومئة][٤] .

---

(١) كذا فى طبقات أبى العرب ٦١ ، والرياض ١ : ١٣٢ ؛ وفى ترتيب المدارك ١ : ٩٩ ب عن فرات العبدى أنه توفى سنة ١٨٢ هـ .

(٢) الرياض ١ : ١٣٢

(٣) من الرياض . وهو عبد الرحمن بن القاسم العتقى . مصرى يروى عن مالك . ولد سنة ١٣٢ وقيل سنة ١٢٨ هـ . ووفاته سنة ١٩١ هـ . (ابن فرحون : الديباج ١٤٧) . وفى الأصول : « ابن أنعم » .

(٤) تكملة من الرياض .

﴿ قلت ﴾ : وكان بنـاء قبره وَهَى ، فعرفتُ أَنَّ عَمِّى خَلِيفَة بن خاجى جَدَّدَه ، ولم يفتقر إلى تجديد بناء إلى اليوم . رحم الله الجميع .

ومنهـــــم :

٧٨ ● أبو عَلِىّ ، شُقْران بن علىّ الهَمْدَانى (١)

﴿ قال ﴾ : قال أبو عبد الرّحمن محمد بن الحسين السُّلَمِىّ فى كِتاب / تاريخ الصُّوفية : شُقْران أُستاذ ذى النّون المِصْرىّ . روى عنه سَحْنون ، وعَوْن بن يوسف . ١ : ٢٠٩

ذِكْرُ ثناء العُلمــــاء عليه :

﴿ قال ﴾ : كان أبو عَلِىّ واحد الزمان عبادةً وزهداً وحسنَ مُعاملة لله تعالى وكَثْرة كرامات ، وعُلوِّ هِمّة ، وسُرعة إجابة ؛ وكان ضريراً ، نشأ على طهارةٍ مع كثرةِ صلاة وصيامٍ ، رقيق القلب غزير الدَّمع ، وكان ينطق بالحِكْمة ويردّ النّاس إلى الله تعالى بالمَوْعظة الحسَنة ؛ انتفع به جماعةٌ من المريدين ، منهم ذوالنّون المصرىّ وغيره .

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو العرب (٢) : كان رجلاً صالحاً ضرير البَدن والبصر ، وكان مستجاباً ، [وكان من أهل الفضل والدّين والاجتهاد] (٣) ،

---

(١) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٦١ ؛ المالكى : الرياض ١ : ٢٢٢ وانفرد المعالم بنسبته إلى «همدان» ولم أره لغيره ، ولعله وهم من النساخ .

(٢) الطبقات ٦١

(٣) تكملة من الطبقات .

وكان مُوَاخياً للبُهْلول بن راشد ، عالمًا بالفرائِض ، وله فيها كتابٌ لم نجد عند علمائنا عن شُقْران [غيره][1] .

وما ذكره من قوله : ضَرير البدن ، أراد به ما يأتى من جُذام بيديه ورِجْليه ؛ وما ذكر من قَوْلِهِ : ضرير البَصَر ، لم يذكره التُّجيبىّ ولا غَيْره .

﴿قال﴾ : حكى الفقيه أبو العبّاس الإبِّيانى ، قال : لما قدِم ذُو النّون المصرى على شُقْران ، وكان شُقْران لا يخرج من داره إلاّ من الجمعة إلى الجمعة ، قال : فلمّا خرج قلت لهُ : قد جئتُ من بلدٍ بعيد أطلب معروفَك ، فأخذ حصاةً من الأرْضِ فجعلها فى يَدى ، فإذا هى جَوْهَرة ، فقلتُ : ما لهذا جئت ، قال : فَلِمَ ؟ قلت : لمَوْعِظَةٍ ، قال : كُلْ من كَدِّ يمينك ، ممّا عَرِق فيه جَبينُك ، ولا تأكل بدينك ، فإنْ ضَعُفَ يقينُك ، فاسأل اللهَ يُعينك .

وقد رويْتُ هذه الحكاية على طرقٍ أكمل من هذه الطَّريقة ، فمنها ما حدّث / مروان بن نصر[2] المتعبد ، قال : بلغ ذَا النّون المصرى أنّ بالمَغْرب رجلاً يقال له شُقْران ، يخرج من أربعين يوماً إلى مِثْلها ، ١ : ٢١٠

(١) من الطبقات والرياض . وفى الأصول : « مثله »

(٢) كذا فى الأصول ، وهو أبو عبد الملك بن مروان بن نصر بن حبيب الأنصارى العابد ، توفى سنة ٣٤٠ هـ . ودفن بمقبرة باب سلم قرب قبرشقران . ترجمته فى المعالم ٣ : ٨٥ . واسمه فى الرياض ١ : ٢٢٣ « أبو مروان عبد الملك بن نصرون المتعبد » .

فأتاه من مصر وسأل عنه ، فقيل له : السّـاعةَ دخل ولا يخرج إلى أربعين يوماً ، فأقامَ ذو النّون على بابه أربعين يوماً ، فلما تمت خرج فرأى ذا النّون ، فقـال له : من المَشْرق أنت ؟ قال : نعم ، قال : ما الّذِى أقدمك إلى هُنا ؟ قال : بلغنى خَبرُك فأتيت إليك لتعظنى لعلّ الله ينفعنى بكلامِك ، فقال لى : يا فتَى ، سِحْ فى الأرض ، واستَعِنْ بأكل عُشْبها على أداء الفَرْض ، ولا تقبل من أحد صِلةً ولا [قَرْضاً][1] ، فإن ضَعُف يقينُك ، فاسأل مَن غَدّا عليه العَرْضُ يُعينك[2] ؛ ثمّ دخل فأقمتُ على بابه أربعينَ يوماً ، فلمّا خرج بعد انقضـائها ، قال لى : ما انتَفَعْتَ من الموعظة بشَىْء ؟ قلت : أردتُ الزّيادة ، قال : [أَرَدْتَ الزيادةَ ؛ وسأنقصك ! يا فتى][3] ، كلْ من كَدِّ يمينك ، ممّا عَرِق فيه جبينُك ، ولا تأكل بدينك ، فإن خفتَ أن يضعُفَ يقينُك ، فاستعن بالله يُعينُك ، واعْلَمْ أَنّ لى ولك غداً موقفاً بين يدَىْ الله تعـالى ، [فاتق الله][3] ولا تَشْـكُ مَن يَرْحَمُكَ ، إلى من لا يرحمك ، ثمَّ دخلَ ، فأقمت على بابه أربعين يوماً ، فلمّـا خرج قال : ما انتفعتَ من الموعظة[4] بشيء ؟ فقلت : أردتُ الزّيادة ، قال : لستَ من [أهلها[4] وسأنقصك] يا فتى ، ارضَ بما قسم الله لك تـكن [من] أزهد النّاس ، واتبِـعْ ماأمرك الله به تـكن من أَعْبَد النّـاس ،

---

(١) من الرياض . وفى الأصول: « فرسنا ؟ » وفى حاشية ش : « لعله : ولا عرضا » .

(٢) تـكملة من الرياض .

(٣) فى الرياض : « قال : انتفعت بالموعظة ؟ » .

(٤) من الرياض . ومكانها فى الأصول : قال لست من « الزيادة ولـكن » يافتى . . .

وانتهِ عمّا نهاك الله عنه تكن من أوْرَع النّاس ؛ ثم هَمَّ بالدخول ، فجذبتُ ثَوْبه وقلتُ : زَوِّدْنى منك زادًا ينفعُنى الله به ، قال : فرمى[1] بين يدىّ شيئاً كهيئة الدّينار أو كهيئة الدِّرهم ، فنظرتُ / فإذا هو اسمٌ من أسماء الله تعالى ، قال : فما سألت به الله عز وجل شيئاً إلاّ أعطانى إيّاه .

١ : ٢١١

قال أبو محمد الحسن بن أبى العبّاس الأَجْدَابِىّ : يذكر أنّ ذا النّون وجد فى الرّقعة الّتى دفعـ[ـها إليه][2] شُقْران : يا دائم الثَّبات ، يا مخرج النّبات ، يا سامع الأصوات ، يا مجيب الدعوات .

ولشُقْران كلامٌ جليلٌ مع ذى النّون المِصْرىّ يشتمل على معارف جَمَّة ، وحِكَم رائقة ومواعظ ووَصايا ، يطول بها الكتاب .

﴿ قلت ﴾ : هو قَوْل المالكى[3] . حدث أبو عثمان سعيد بن عثمان ابن عبّاس الخيّاط ، قال : سمعت ذا النُّون بن إبراهيم المِصْرىّ[4] يقول : وُصِف لى رجلٌ بالمغرب وذُكر لى من حكمته وكلامه ما حملنى على لقائه ، فرحلت إليه إلى المغرب ، فأَقَمْتُ على بابه أربعين يوماً على أن يخرج من منزله إلى المسجد ، فكان يخرج فى وقت كل صلاة ويرجع كالوَالِهِ ، لا يكلِّمنى ولا يكلِّم أحداً ؛ فضاق لذلك صدرى ، فقلت : يا هذا ، إنّى مقيم هاهنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تكلِّمنى ؟!

---

(١) فى الرياض : « فدس » .
(٢) من الرياض . وفى الأصول : « دفع له » .
(٣) الرياض ١ : ٢٢٤
(٤) فى الرياض : « الإخميمى » .

فقال لى : يا هذا ، لسانى سَبُعٌ فإن أنا أطلقتُه أكلنى ؛ فقلت : يرحمك الله ، عِظْنى بموعظة أحفظها [عنك] ، قال : وتفعل ؟ قلت : نعم إن شاء الله تعالى ، قال : لا تُحِبَّ الدُّنيا ، وعُدَّ الفَقْر غِنًى ، والبلاءَ من الله نِعَمًا ؛ والمنعَ من الله عطاءً ، والوحْدَة مع الله أُنْسًا ، والذّل عِزًّا ، والمباهاة خَطَأً[1] ، والإِياس عفّةً[2] ، والطّاعة حِرْفَة ، والتوكُّلَ معاشاً ، والله لكلّ شىء عُدَّة .

ثم مكثتُ على بابه شهراً لا يكلّمنى ، فقلت له : رحمك الله ، إنّى أريد الرجوعَ إلى بلدى ، فإن رأيتَ أن تزيدنى / فى الموعظة ، فقال : وما كفاك ما سمعت ؟ ! فقلت له : رحمك الله ، إنّى رجلٌ مُبتدىء لا علمَ عندى ، فقال : هكذا ؟ ! قلت : نعم ، فقال . اعلم يا هذا أنّ الزّاهد فى الدّنيا قُوتُه ما وجَدَ ، ومسكنه حيث أدْرك ، ولباسُه ما سَتَر ، والخلوةُ مجْلسه ، والقرآن حديثُه ، والله العزيزُ الجبّار أنيسُه ، والذّكر رفيقه ، والزّهد قرينُه ، والصّمت محبّتُه ، والخوْف مَحَجَّتُه ، والشّوق مطيّته ، والنصيحة همّته ، والاعتبار فكرتُه ، والصّبر وِسَاده ، والتّراب فراشُه ، والصدّيقون إخْوَانه ، والحِكْمة كلامه ، والعقل دليله ، والحِلم خليله ، والتوكل كَسْبه[3] ، والجوع إدَامُه ، والله عونه . قال : فقلتُ له : يرحمك الله ، بِمَ تَتَبيَّن الزّيادة للعبد فى هذا المكان ؟ فقال : بالمحاسبة للنّفس ، والمناقشة لها ؛ حسبُك الآن ، حسبك !

١ : ٢١٢

---

(١) كذا فى ع ش والرياض ، وفى بقية الأصول : « حظا » .
(٢) فى الرياض : « غفلة » .
(٣) فى الرياض : « نسبه » .

وقال ذو النّون : سمعتُ أستاذى شُقْران يقول فى بعض مواعظه[١] : من توكّل استَغْنى ، ومن لم يتوكّل تَعِب ، ومن شكر كُوفِىَ ، ومن رضى عُوفِىَ[٢] ، والنّظر إلى الظّلَمَة آفة التّحقيق ، والهَجْر لهم أوّل الطريق .

﴿ قال ﴾ : روى أبو عبد الله محمد بن خُراسان ، قال : كان شُقْران ابن علىّ من أجمل[٣] النّاس ، فهوته امرأةٌ ، ثمّ ذكرت أمْرها لعجوز ، فقامت إليه العجوز فقالت له : يا بنىّ ، لى ولدٌ قد قَرَّحَت[٤] قلبى غيبتُه ، وقد جاءنى كتابُه وأحببتُ أن تقرأه لى ، فأجابَها ، فقالت : يا سيّدى ، له أختٌ لها من الوَجْد عليه مثل ما بى ، فإن رأيتَ أن تلصق بالباب فتُسمعَ أختَه كتابَه ؟ فقال : نعم ، ففتحت البابَ وقالت له : يا سيّدى إنّهـا لا تخرج وهى وراء الباب الوُسْطانى ، فإن رأيت أن تتقدّم إلى الباب / الوسط وتقرأه فإن الله يُكمل لك الأَجْر ، فتقدّم إلى الباب ، ١ : ٢١٣ وبادرت العجوز فغلَّقَت الباب البَرَّانى ، وفتحت الجارية البابَ الأوسط ، وضربت بيديها فى أطْراف[٥] شُقْران ، وقالت له : قد وصلتُ ! وراوَدَتْه عن نفسه ، فلمّا رأى أنّ البـلاء قد نزل به ، أراد ملاطَفَتها لِيَتخلَّصَ منها ، فقال لهـا : ولا بدّ من ذلك ؟ ! قالت له : لا بُدَّ من ذلك !

---

(١) هو نص المالكى . انظر الرياض ١ : ٢٢٥ — وقد أسقط ابن ناجى موعظة طويلة .

(٢) فى الرياض : « صوفى » .

(٣) فى الرياض : « من أكمل » .

(٤) فى ط : « حرق » ، وفى الرياض : « أحرقت » .

(٥) فى الرياض : « أطواق » .

فقال لها : اعطنى ماءً أتوضَّأ به ، فأعطته ماءً توضّأ به ، ثمّ قال : اللّهمَّ إنّك خلقتنى كما شئت ، وقد خِفْتُ الفِتْنةَ على نفسى ، فأسالكَ اللهمَّ أن تغيّر خَلْقى ، وتصرف شَرَّها عنّى ؛ فلما فرغ من دعائه تغيّر وجهه وظهر به الجُذَام ؛ فلمّا رأت ذلك منه دفعته فى صدره وأخرجَتْهُ.

﴿ قلت ﴾ : زاد المالِكىّ[1] : من الدَّار ووقاه الله شَرَّها ، فكان ذلك بيديه ورجليه قروحًا حتّى مات رضى الله عنه ورحمه ونفعنا ببركته آمين .

﴿ قال ﴾ : وحَدّث عبد الرّحيم صاحب ابن فَرّوخ ، قال : كُنّا عند البُهْلول بن راشِد ، إذ جاءه رجلٌ معه ابنٌ له صغيرٌ قد أصابه جُدَرِىّ ، فهو لا يُبْصر ، فقال : ادع الله لولدى أن يردَّ عليه بصرَه ، فقام بُهْلول والصبّى وأبوه حتّى دخلوا على شُقْران ، فسلَّموا عليه ، فقال البُهْلول : إن أخانا هذا ليس له غيرُ أبنِهِ هذا الذّى معه ، وقد ابتلى فى بَصره ، فادعُ الله تعالى أن يردَّ عليه بصرَه ، فقال له شُقْران : أُدْع يا أبا عمرو ونُؤمِّن عليكَ ، فقال البُهْلول : بل أنت يا أبا علىّ ، فادع الله ونُؤَمِّن نحْن ؛ فاستقبل شُقْرَان القِبْلة وهو على سريره ، فحمد الله تعالى وصلّى على النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ قال: / اللَّهمَّ إنّ أخانا هذا قد سألنا ما قد علِمْتَ ، فنسألك أن تَرُدَّ على ولده بصرَه ! فالتفت الصبىُّ إلى أبيه وقال له : ما هذا ؟ فلما سمع البُهْلول أخذ بيد

١ : ٢١٤

---

(١) الرياض ١ : ٢٢٧

الرّجل والصَّبِي وقام ، وطرح شُقْران بنفسه على وجهه فردَدْنَا عليه الباب ، وخرج الصبىّ بصيرًا .

وأخبر حمدون بن العسَّال ، قال : قَحطَ النّاس عندنا بالقَيْرَوان ، فجاء قومٌ لشُقْران وأنا عنده جالس ، وقالوا له : يا أبا علىّ ، اُدْعُ الله أن يسقينا ، فقد ترى ما فيه النّاس من الجهد والغلاء ، فَشدَّ إزاره على وسطه ، ورفع يديه بالدّعاء والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ ، وقال فى دعائه : عزيمة منِّى عليك ، أسْقِنا الساعةَ الساعةَ . قال : فأرعدت السّماء وأبْرقت وأمطرت . قال حمدون : فخرجنا عنه نخوض الماء إلى أنصاف ساقينا .

ورُوِىَ أنّ رجلاً من أهل البيُوتات كانت له اُبنةٌ ، فأخذها تابِعٌ فعالجوها فلم تنتفع بشىء ، فمضَوْا إلى شُقْران وسألوه الدُّعاء لها ، فقال لهم : يقرأ القارىء ؛ ثمّ دَعا شُقْران وقال لهم : مُرّوا فى عافية ، فلمّا مضَوْا بها إلى دارها دخل فيها الجنىُّ ثمّ قال : أين أَهْلها ؟ فاجتمعوا إليه ، فقالوا له : أتُريد قَتْلَها ؟ فقال : إنّما أَردتُ أن أخبركم بعَجَبٍ ؛ نادى منادٍ فى الهواء : قد دَعا عليك شُقْران[1] !

ويُرْوَى عن خادم شُقْران ، قال : أَقْعَد شُقْران ، فلمّا كان ذات ليلةٍ صاح بى وأنا نائم ، فقال : إنّى أَجْنَبْتُ فارفَعْنى أَغتسِل ، فقلت : غلبنى النّوم ؛ فلحظ السَّماء وقال : اللّهمَّ إنِّى عجَزتُ عن إداء فَرْضِى ، وانقطع رجائى من غيرك ، فاعطف على أسرى ، وقِلَّة حيلتى ،

---

(١) أنظر بقية الخبر فى الرياض ١ : ٢٢٩

قال : فقمت لوُقوع الماء فى المِرْحاض ، / والسِّرَاج يَقِدُ وهو قائمٌ على قدميه ١ : ٢١٥
بعد أن كان لا يقدر على القيام ، فعجبتُ من ذلك ، فقال لى : سألتُك
باللهِ لا تذكر هذا لأحدٍ ما دمتُ حيًّا .

﴿ قلت ﴾ : ذكر هذه الحكاية أبو بكر التُّجيبيّ ، قال : حدّثنى
بها أبو العباس بن تميم ، عن أبيه ، عن القاضى سُليمان بن سالم ، عن داود
ابن يحيى ، عن خادم شُقْران ، قال : قال أبو سعيد بن أخى هشام :
وكان علامة الإجابة فى دعائه أن يَرَوْا نوراً أخضر يسرج فوق رأسه .

﴿ قلت ﴾ : زاد التّميمىّ[١] عنه أنّه كان يقول : فَرائِضُ شُقْران
أَصْلٌ حسَنٌ يسهل على دارسه لتَقْوَى مؤلِّفه .

﴿ قال ﴾ : وتوفّى شُقْران رحمة الله عليه سنة مِئة وستّة وثمانين ،
وقد أناف على السّبعين سَنة ، ودُفن بباب سَلْم ، وقبرُه مشهورٌ والدّعاء
عنده مُجاب .

﴿ قلت ﴾ : وعند رأسه عمودٌ أبيض فيه تَنْقيبٌ يقالُ بالتّواتر
إنّ النّاس كانوا يأخذون منه ويَخلطونه مع الكُحْل ، ويرون له
بركة ، وفى زَماننا تُرِك ذلك ؛ فلعلّه لفَتْوى من نَهى عن ذلك ،
والله أعلم .

وما زلتُ أسْمع من الّذين يزورون قَبْرَه أن بجواره من الجهات

---

(١) لا يوجد هذا النص فى المختصر المطبوع من طبقات أبى العرب التميمى .

الأَرْبع سَبْعون شيخاً . منهم : أبو العرب ، وأبو مَيْسرة ، ومَرْوان العابد ، ووَاصِل ، رحمة الله عليهم أجمعين .

ومنهـــــم :

● ٧٩ أبو عبد الرّحمن ، عبْـد الله بن عُمر بن غانم بن شُرَحْبِيل بن ثَوْبان الرُّعَيْنِيّ(١)

قاضى إفريقيَّة وصاحب مالِك بن أنَس.

﴿ قال ﴾ : روى عنه ، وعليه كان مُعتَمده ، وروى عن سُفْيان الثَّوْرِىّ ، / وإسرائيل بن يونس ، وعُثْمان بن الضَحّاك المَدَنِىّ ، وجماعة . ١ : ٢١٦
وروَى بإفريقيّة عن ابن أَنْعُم ، وخالد بن عمران . ودخل الشّـام والعراق فى طلب العلْم ، ولقى أبا يوسف صاحب أبى حَنيفة .

﴿ قلت ﴾ : قال أبو بكر المـالـكى(٢) : وأدخله ابن عَبْدوس فى المَجْموعَة .

﴿ قلت ﴾ : ولا فائدة فى تخصيص ابن عَبْدوس ، لرواية سُحنون عنه فى المُدَوَّنَة ، بل نسبتُه إليها أَخَصّ .

---

(١) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٤٣ ؛ المـالـكى : الرياض ١ : ١٤٣ ؛ الخشنى : الطبقات ٢٣٥ ؛ ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ٢/٢ : ١١٠ « قال : سألت أبى عنه ، فقال : مجهول » ؛ الشـيرازى ؛ طبقات الفقهاء ١٢٩؛ عياض :ترتيب المدارك ١ : ٦٤ أ ؛ ابن عبد البر : الانتقاء ٦٠ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٥ : ٣٣١ ؛ التقريب ١٧٩ ؛ الخزرجى : الخلاصه ١٧٦ ؛ المزى : تهذيب الـكمال ٣٥٨ أ

قال المالكيّ[١] : ووالدُه عمر ، مذكورٌ فى العرَب الذّين كانوا بإفريقيّة أيّام بنى أميَّة قَبْل دُخول المُسَوّدة، [وكان][٢] مَوْصوفاً بالشّجاعة والقوّة . ذكر أنّه كان على سـاقَة النّاس فى وَقْعة القَرْن والأَصْنام[٣] ، حين خرج حَنْظَلَةُ بن صَفْوان أميرُ إفريقيّة لمحاربة الخوارج الّذين أرادوا اسْتباحَة القَيْروان ؛ فيُقال إن [عُمر][٢] بن غانم قتل منهم ثمانين ومئة .

ذكرُ ثَناء العُلماء عليه وتعْظيمهم له :

﴿ قال ﴾ : فضلُهُ وعِلْمه ودينه ووَرَعه فى غاية الشُّهْرة .

﴿ قلت ﴾ : ونَقَلَهُ المالكيّ[٤] بلَفْظ أَشْهر من أن يُذْكَر ؛ وكأنّ هذا أَخَصّ ، وزاد : وهو أحد الثّقات والأَثْبات .

﴿ قال ﴾ : وكان مالك إذا دخل عليه ابنُ غانمٍ وَقْت سَماعه أجْلَسه إلى جَنْبه ، ويقول لأصحابه : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إذا جاءكم كريمُ قَوْمٍ فأكرموه » ؛ وهذا كريمٌ فى بلده .

---

(١) الرياض ١ : ١٤٤

(٢) تكملة من الرياض .

(٣) انظر خبر ذلك مفصلا فى البيان المغرب ١ : ٦٢

(٤) الرياض ١ : ١٤٣ وعبارته : « أشهر من أن ينبه عليه بذكر » . وباقى النص مضطرب فى الرياض .

ولمّا بلَغَ ابْنَ وَهْبٍ موتُه همَّه ذلك وغمَّه غَمًّا شديدًا ، وقال : إنّا لله وإنا إليه راجعون ! رحمك الله يا أبا عبد الرَّحمن ، فلقد كنتَ قائمًا بهذا الأمر ؛ يُريد الفِقْهَ والعِلْم .

وقال أبو بكرٍ التُّجِيبيّ : كان سُليمان بن عِمْران القاضى عندَ أَسَد بن الفُرات ، حتى أتاه ابْنُ / طالوت اليَحْصُبِيّ بوثيقة كتبها له ابنُ غانم ، فأخذها أَسَدٌ وجعل يعرضها وينقُدها ، فظَنَنْتُ أنّه يُدخِل فيها شيئًا ، فلمّا فرغ نَقَرها بإِصبعه ثم قال : ما كان أَفْقهَه ! ١ : ٢١٧

﴿ قال ﴾ : وقال أَسَدٌ : كان ابنُ غانمٍ فقيهًا وَرِعًا له عَقْلٌ وصِيانةٌ .

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو العَرَب [1] : كان ثَبْتًا ثقةً فقيهًا عَدْلاً فى قَضائه .

وقال الشِّيرازِىّ [2] : كان من نُظَراء [أبى حَازِم] [3] وأقْرانه . وقال سُليمان بن عمران : لَوْلا تَمْتَمة ابن غانمٍ ما قام بطلاقة لسانه أحد . قال أحمد بن الجزّار : التّمتَمَة فى ولده إلى زماننا هذا .

---

(١) الطبقات ٤٣ ، وعبارته : « وكان ثقة نبيلا فقيها ، ولى القضاء بعد ماتع بن عبد الرحمن ، وكان عدلا فى قضائه » .

(٢) الشيرازى : طبقات الفقهاء ١٢٩

(٣) محرف فى الأصول إلى «ابن حرم» . والتصحيح عن طبقات الشيرازى . وأبو حازم : هو عبدُ الحميد بن عبد العزيز القاضى البصرى (— ١٩٠ هـ) . انظر عنه تاريخ بغداد ١١ : ٦٢ ؛ الذهبى : المشتبه ٢٠١

ذِكْر ولايته القضاء وسيرته فيه :

﴿ قال ﴾ : ولِّيَ القضاء سنة إحدَى وسبعين ومئة ، وهو ابنُ اثنتين وأربعين سنة .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكىّ والتُّجِيبِىّ : وكانت ولايتُه فى رجَب . ففى كلام الشَّيْخ بَتْرٌ ، وما ذكره المالكىّ والشيخُ فى سِنّه حالةَ ولايته خلافُ قول أبى بكر التُّجيبىّ : وهو ابن أرْبعين سنة .

﴿ قال ﴾ : ولاَّه رَوْح بن حاتم .

﴿ قلت ﴾ : تَبِع فيه التُّجِيبِىّ ، وهذا هو الصَّحيح ؛ وقيل : بل ولاَّه هارون الرَّشيد ، وعلى الأوّل فقيل برأى أبى محمد عبد الله ابن فَرُّوخ كما سبق ، وقيل لَا بل بإشارة أبى يوسف ، وهو الصّحيح .

قال أبو بكر المالكىّ [1] : والدّليل على القَوْل الصحيح فيهما ما روى عن أبى عُثمان حاتِم بن عُثمان المَعافِرىّ ، وكان صديقاً لابن غانم ، وكان قد رحل معه إلى مالك وسمع منه ، فجلس أبو عثمان يوماً مع أناس فتكلَّموا فى وِلاية ابن غانِم ، قال بعضهم : لم تَكُن من أمير المؤمنين ، وإنما كانت من [المُسَوّدة ـ يعنون الجُنْدَ ـ و] [2] رَوْح بن حاتِم ، فقال أبو عُثمان : امرأته / طالِقٌ ثلاثًا ورَقيقُه أحرار ، إن كان ولّاه

١ : ٢١٨

---

(١) الرياض ١ : ١٤٧ ، والخبر بسنده ونصه عن طبقات أبى العرب ٤٣ —

(٢) تكملة من الرياض

إلّا أمير المؤمنين . ثمّ إن أبا عثمان أتى إلى ابن غانم فأخْبره بالخبَر ، فقال له ابنُ غانم : يا أبا عُثمان ، كم صَداقُ زوجتك الذّى تزوجتَها به ؟ فقال : مائتا[١] دينار ، فقال : كم ثَمن مماليكك عليك ؟ قال : مئة دينار ؛ فدعا ابنُ غانِم بكيس فَعَدَّ لأبى عُثمان ثلاث مِئَة دينار وقال : خُذْها يا أبا عثمان ، فقد بَانَتْ منك امرأتُك وعُتِقَ عليك عبيدُك . فهذا دليل على أنّ أميرَ المؤمنين لم يُوَلِّه القضاء . وانتهَى من فَضْله إلى أن كاتَبه الخليفةُ ، فصارت وِلايته كأنّها من قِبله إذ أجازها وأمضاها .

وقال ابنُ أبى حَسَّان : مَضَيْت مع ابن غانِم إلى منزله [٢] ، فقال لى : ما يقول النَّاس فى ولايتى ؟ فقلت له : يقولون إنّ الذى ولاَّك رَوْحُ بن حاتم [برَأْى ابن فَرُّوخ ، فـ][٣]قال ابنُ غانم : لا والله ، لقد قال لى رَوْح بن حاتم : ما خرجتَ من المشْرِق إلّا وأنت قاضٍ ، وذلك أنّى دَخلتُ على أبى يوسف ـ وهو حينئذ قاضى القُضاة ـ لأُوَدِّعَه ـ وكان لى صديقاً ـ فقلت له : أَصْلَحك الله يا أبا يوسف ، إنّ أميرَ المؤمنين ولاّنى إفريقيَّة ، فهل لك من حاجة ؟ فقال لى : أوصيك بتَقْوَى الله وبأهل مدينة القَيْرَوان خيرًا ، وبها شابٌّ يقال له عبد الله

---

(١) كذا فى طبقات أبى العرب . وفى الرياض : « مئة » .

(٢) فى الرياض : منزله « الذى بالريدان » .

(٣) تكملة من الرياض ١ : ١٤٨ ، وانظر طبقات أبى العرب ٤٤

ابن غانم الرُّعَيْنِىّ ، قد فَقُه ، وهو حسن [الحال][1] فولِّه قضاءها ، قلت : نعم ، فوادَعْتُه ثمّ أنصرَفْتُ ؛ فمن ذلك اليوم عَقَدْتُ ولايتَك فى قلبى .

﴿ قلت ﴾ : هكذا كان النّاس ! تفقّد أبو يوسف تلميذَه عبدَ الله ابن غانم مع بُعْدِ داره عنه ، ورأى أنّه لاَ يقدِّمُ عليه غـيره بحيث يكون فَوْقَه . وهكذا / كان شيخنا أبو مَهْدىّ عيسى بن أحمد الغبْرِينىّ ١ : ٢١٩ مع من أقرأ عليـه و يعرف دينَه وعِلْمَه ؛ فبعث لى بظَهير قابِس إلَى القَيْروان ، وقدَّمنى ببلد الأُرْبُس[2] وأنا بالقَيْروان ، و بعد مَوْته حالت النَّاس ، وصار يتقَدّم على النّاس من لا يصلح فى الأعمّ الأَغْلب كما أشرنا إليه من قبل .

﴿ قال ﴾ : روى أنّه دخل على إبراهيم بن الأَغْلب ، فذكر له إبراهيم أن كتاب أمير المؤمنين هارون الرّشيد وصل إليه وأمره أن يُحضر القاضى حتّى يأخذ من حاتِم الأَبْزارِىّ عشرة آلاف دينار كانت لفَرَج[3] مَوْلى أمـير المؤمنين عِنْده ، فنظر ابنُ غانم إلى الأبزارىّ ترعد فرائصُه والرّسول مَعه ، ثمّ أقرأه كتاب أمير المؤمنين هارون الرّشيد ، فَقال ابنُ غانم : أوّل ما نَأْمُر هـذا الرّسول بإحْضَار شاهِدين عَدْلين أنّ هذَا المـالَ لأمير المؤمنين أو لِفَرَج فَتاهُ ، فقال الرسول : أَوَ يكتُب أمير المؤمنين بالباطل ! فقال ابنُ غانم : معاذَ الله !

---

(١) تـكملة من الرياض .
(٢) فى ع ط : « الأربص » ، ويرد التعريف بها فى المعجم الجغرافى .
(٣) كذا فى الأصول وترتيب المدارك ١ : ٦٥ أ ؛ وفى الرياض : « الفرج » .

أَميرُ المؤمنين أَصْدق وأَكرم من أن يأخذ مالاً من غَيْر حلِّه ، ولـكن قد تُخْـتَلق الأشياء دونَه ، فقال الرسول لإبراهيم : ما تقول أيّها الأمير ؟ قال : أقول ما قال القاضى ، قال : فقام القاضى ابن غانم وقال لحاتم : امْضِ أمامى ، فقال إبراهيم : لله دَرُّه من امْرِىء دَحْدَاح ، ما أنفذَ بصيرته وأَمْضَى عزيمته !

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْر لقول المالكى[1] ، فأوّل ذلك أن أمر هذا الرّسولَ بإحضار شاهِدين عَدْلين [على] أنّ أمير المؤمنين اُسْتَخْلَفَه على قَبْض هذا المال إن صَحَّ له ، ويشهد غيرهما من أهل الثِّقَة أنّ هذا المال لأمير المؤمنين أو لفَرَج فَتاهُ . وأراد بقَوْله / دَحْدَاح ، أى قَصير القَامة . قَالَهُ المالكى[1] .

١ : ٢٢٠

﴿ قال ﴾ : وقال سعيد بن محمد : كان لابن غانم حظٌّ من الصَّلاة فى اللّيـل ، فإذا تشهَّد عَرَض كلَّ من يُريد أن يحكُمَ له على رَبِّه فى مُناجاته ، فيقول : يا ربّ ، إنّ فلاناً نازع إلىّ فلاناً ، وادَّعى عليه بكذا ، فأنـكره ، فسألته البَيِّنَةَ فشَهِدَتْ له وزُكِّيَتْ ، وأُشْرِفُ على أن آخذَ له بحقّه ؛ اللّهمّ فسلِّمْنى .

﴿ قلت ﴾ نَقْلُه هذا من التُّجِيبى ، وأراد بقوله : فإذا تَشَهَّد : يُريد وسَلَّم ، وناجى ربَّه بإثْر سَلامه وفَراغه من قِيامه ؛ ويحتمل أن يقولَهُ فى آخر صلاته بعد تَشَهُّدِه وقبل سلامِه ، ثم يُسَلِّم .

---

(١) الرياض ١ : ١٤٩ وقد اختصر الدباغ ــ فى نقله ــ بعض التفاصيل .

وقد كنت فى أيام قَضائى بجَزيرة جِرْبَة ، أقوم فى جوف الليل وأرغب إلى الله بمثل هذا أو أخصّ منه ، اتّباعاً لابن غانم ، وإنّما ذكرتُ جِرْبَةَ لأنّها أوّل ولايةٍ وُليتها ، فكنت فى غاية ما يكون من الإشفاق والخوْف على نفسى ، ولا أجد فيها من أشرِكه فى أمْرى لأنّ أهلها خَوارج ، ولهم مَذْهَبٌ لأنفسهم ، بخلاف ما وليته بعد ، فكان لجائى إلى الله فى جَوْف الليلِ فيها أكثر وألْزم .

﴿ قال ﴾ : وكان إذا جلس يحكم بين النّاس[1] لبس الفرْوَ الدَّنِيَّ[1] والثّيابَ الخشِنَة ويصرف بَصره إلى الأرض ، فمن لم يَره[2] لم يشكّ أنّه مَكْفوف .

﴿ قلت ﴾ : تبع فيه التُّجِيبىّ ، وبتر من كلامه ، لكونه كان يَجْلس للنِّساء يوماً . ونقله المالكى[3] عن أبى محمد عبد الله بن أبى زَيْد ، عن عبد الله بن سعيد بن الحَدّاد ، عن أبيه ، وزَاد : وكان يُزيل الكُتّاب والحجّاب من بين يديه فى ذلك اليَوْم الّذى يحكم فيه للنِّساء .

﴿ قال ﴾ : وتَشَكَّى / لابن غانم النخَّاسون ، فقالوا : اشترَى مِنّا ١ : ٢٢١ أبو هارون مولى إبراهيم بن الأغْلب وصاحب أمره بغالاً بخمس مئة دينار ، ولم يَدْفعْ لنا شيئاً ، فأحضر ابنُ الاغْلَب أبا هَارون وسأله

---

(١) ق ع والرياض ١ : ١٥٣ : « النساء » . وفى ترتيب المدارك ١ : ٦٤ أ « يلبس يومئذ الفراء الخشن وخلق الثياب » .

(٢) كذا اختصره الدباغ ، وهو اختصار مخل . ونص الرياض : « والذى لم يكن رآه قبل ذلك يتوهم أنه مكفوف البصر » .

(٣) الرياض ١ : ١٥٣ وفيه : « . . . . يديه ، إذا جلس للنظر بين النساء » .

عمّا ذكر القاضى ، فأَقرّ به وقال : إنّما أخّرْتهم ليجىء[1] خَراج قَسْطِيلِيَة ، فإذا جاء دفعتُ إليهم ، قال ابنُ غانم : إنّما ظننت أنه يَجْحد فأوقفُه معهم مَوْقف الخصُوم ، فأمّا إذ أَقرّ فإنى لا أَبْرح حتّى يدفع إِليهم أموالَهم .

﴿ قلت ﴾ : قَسْطِيلِيَة هى نَفْزاوَة . وذكر هذه الحكاية المالكىّ[2] وذكر أنّهُ بنفس تشكّيهم قام ابنُ غانم من الفَوْر ، وكان إبراهيم قد أباحَ له الدُّخول . وهكذا كان القُضاة المعتبرون يُخَلِّصون أموال المسلمين من حاشية السَّلْطَنة بعزّ ، ويُسَوُّون بين القَوىّ والضّعيف ، ويقرّون شَرْع النّبىّ صلّى الله عليه وسلم ، وبحُسْنِ قَصْدهم أعزّهم الله تعالى ؛ ومنهم شيخُنا أبو مَهْدىّ عيسى الغبْرينىّ رحمه الله ؛ فعرَّفَنى بعضُ من أثق به من العُدول ، قال : بينما هو يحكم فى سَقيفة الدُّوَيْرة اللّطيفة المحبَّسة على جامع القَصَبَة ، إذ كان ساكناً بها بزوجه ، لكونه كان إِمام الجامع المَذْكور ، وذلك فى أبتداء أَمْره ، وإذا برجل قال : يا سيّدى ، دعَوْت لك فُلاناً وكيل السّلطان زَكريّاء من رِيَاضِ[3] السّلطان ولم يتبعنى ، قال : أُنْتَظره ، فلمّا لم يأت قال له : ألك عليه شَهادة ؟ قال : نعم ، وخرج وأتى بها ، فبنفس شهادتهم

---

(١) فى الرياض : « لتجبى » .

(٢) الرياض ١ : ١٤٨

(٣) فى ع ط : « رباط » .

صرف النَّاس عن الحُـكْم ، وغضب وغلق بابَه ؛ فمشى أكبر خُدَّامه عَلىّ – يعرف بالمطرق – وترفَّق حتّى وصل إلى / أمير المؤمنين أبى العَبَّاس أَحْمد ، وقال بعد سَلامه : يا مَوْلانا ، لا يُعزّ الشّرع إلّا أنتم ولا يُذِلّهُ[1] إلا أنتم ! فقال : وما الأمر ؟ فبسط له الوَاقع بحضرة السلطان زكرياء ، وعَرَّفه بأنّه غلق بابَه عن الحُـكْم ، فقال لأخيه زكرياء : يا أخى ، هذا لا يخلِّص من الله تعالى ، وأمر بضَرْبه أَلْف سَوْط ، وتَطْويفه على بَغْلٍ فى مَجامع الناس ، ومع ضَرْبه بكلّ مكان معتبر ؛ وأوصى الضّارِبَ له بالضَّرْب الشَّديد ، وقال له : تَرانى أنظر إليه بعد ضَرْبك ، فإن رأيتُ شـيئاً من لحمه – وإن قلَّ – ليس فيـه دَمٌ كلامى معك[2] . ففعل به ذَلك ، ولمّا رآه بعد ضَرْبه ، شكر ضارِبه على ضَرْبه كما أَوْصاه ، وقال لخديمه حين أمر بضَرْبه : قل له يَحْـكم بمـا أراه الله على أَوْلادى كبيرهم وصغيرهم ولا يُبالى ؛ فـكان ذلك حدًّا للقُوَّاد وغيرهم .

١ : ٢٢٢

ولما مات السّلطان[3] المذكور ، وتولَّى بعده سلطاناً وَلَدُه أبو فارس عَبْد العزيز ، زاد عِزُّه أكثر ، لأنّه أَوّل من بايعه فى حال ضرورته إلى ذلك لئلا يبايع غيرَه ، وقرأ عليه بعض رسالة الشّيخ ابن أبى زَيْد ، فعمل عنده المِيعَادَ يوماً فى الجُمعة بإقْراء التَّفْسير وغيره ؛ فـكان

---

(١) فى حاشية ش : « صوابه : بوهنه »

(٢) يعنى أنه سيعاقب الضارب إن قصر فى الضرب .

(٣) وفاته فى شعبان سنة ٧٩٦ هـ .

مَنْ يكسر[١] له دَعْوَى ـ ولو من القُوَّاد الـكِبار ـ يأمرُ بتَمزْيق ما فوق عُنقه وما يليـه ، ويضربه فى العُنق الصَّفْعَ الشّـديد ، فيَضربه أعوانه بأمره ، فـكان أكثر القُوّاد ينتصفون من أنفسهم ولا يتحـا كمون عنده ، فـكان النّاس فى عِزّ عظيم لقوة تَنْفيذ أحكامه وحُسْن سيرته ، حتّى لا يَجد أحـد ما يقول فيه إلى أن مات .

١ : ٢٢٣ وكانت ولايتـه على ما عَرّفَنى به من / نَثقُ به تسعةَ [عشر][٢] سنة . فنَسْأل الله عزّ وجلّ أن يُجدِّد علينا وعليه الرَّحمة بكرة وعشيًّا . وقد تقدّم أنّ مالك بن أنس رحمه الله كان يتفرَّس فى ابن غانم القضاء ، وبعد ولايته ـ قال أبو بكر المالـكى[٣] ـ : سُرّ بذلك مالك ، وقال لأصحـابه : أعلمتم أنّ الفتى الرُّعَيْنِيّ الذّى كان يأتى إلينا قد اسـتُقضىَ على إفريقيّة ؟ فـكان يسُرّه ذلك .

﴿ قلت ﴾ : وقد تقدّم فى التّعريف بأبى محمّـد عبد الله بن فرّوخ أنّه قال للرّسول الذى بعثه ابنُ غانم بكتابٍ إلى مالك يسـألُه عن مسألةٍ : أَوُلِّىَ ابنُ غانم ؟ فقال له الرّسول : نعم ، فقال له مالك : بالله ؟ إنا لله وإنّا إليه راجعون ! ، فَهَلاَّ هرب ؛ فَهَلاَّ فَرَّ حتى تقطع

---

(١) يكسر له دعوى : استخدمها بمعنى يعترض على أحكامه .

(٢) فى الأصول : « تسعةوعشرين » ، وهو تحريف . فقد ولى ابن غانم القضاء فى رجب سنة ١٧١ هـ ، وتوفى قاضيا سنة ١٩٠ هـ ، وهى المدة التى تؤكدها النصوص التالية .

(٣) الرياض ١ : ١٤٤

يَده ! وهذا لا يُنافى ما فوقَه ، لحمله على أنه لم يَسُرَّه ذلك أولاً ؛ وودَّ ألاّ يقبل ، وبعد حُصوله وقبوله سرَّه ذلك لِعلْمِه بعِلْمه ودينه وصَلاحه ، فبتَقْديمه يقَع النَّفْع به لسائر إفريقيَّة ولا سِيَّما لبُعدها عن بلد السُّلْطان ، فلا يقوم بها غيرُه ، والله أعلم .

وما زال رحمه الله قاضِيًا حتّى مات ؛ فكانت ولايته مدّة عشرين سنة . وقال فى ذلك حَفيده عبد الرّحمٰن بن أبى عمرو غانم[1] :

وليِنَا قضــاءَ الغَرْب عِشرين حِجَّةً
بعزٍّ وعَدْلٍ ، عندنا مُسْتَلينُهـــا !
وأَمْضى أبونا الحقَّ فى النَّاس ، فاستَوَتْ
رعِيَّتُه فى العَدْل ، فاعتَزَّ دينُهـــا
/ فصــلَّى عليه الله فى مُسْتَقَرِّه
وجازاه رُحْمى كالسَّحاب هَتونُها[2]

١ : ٢٢٤

ذِكْر بقيَّة أخبـاره :

﴿ قال ﴾ : وسأله مَرَّةً إبراهيم بن الأَغْلب أن يطلع معه صَوْمَعة الجامع الأعظم ، فأبى وقال : إنّ فى صُعودى إليهـا تشرُف على حُرَم المسلمين ونظرٌ إلى عَوْراتهم ، والله لا فعلتُ ذلك أبداً .

(١) الأبيات فى ترتيب المدارك : ١ : ٦٦ أ ورواية العجز فى ع ط والمدارك : « وسقاه من غر السحاب . . . »

(٢) مصحف فى الأصول إلى : « هبوبها » .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكيّ[١] : وكانت الصَّوْمَعَة يومئذ في الرّكْن الغَرْبِيّ ، ثم [أُزِيلت][٢] بعد ذلك وجُعلت في المكان الّذي هي به اليوم .

﴿ قال ﴾ : وركِب إبراهيم يوماً آخر وابنُ غانم معه ، فسَلك زَرْعًا ، فلم يسلك ابنُ غانم معه ، وأخذ في المحَجَّة .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالِكي[٣] : وشَقّ إبراهيم ابنُ الأَغْلَب سماطَ القَيْروان من باب أبي الرَّبيع ، ومعه ابنُ غانم ، فلمّا صار إلى مَوْضع سَمّاه[٤] ، زَادَتْ دابَّة إبراهيم في المَشْي ، فجاوز ابنَ غانم ، فلما رآه ابن غانم حَوَّل وَجْه دابّته إلى نحو داره ، فأرسل إليه إبراهيم وقال : ما حَملك على أن عطَفْت عَنِّي وفارقتني ؟ قال : أصلح الله الأمير ، إنّما القاضي بحُرْمته ، وإنّما تنفذ أحكامُه بقَدْر نُفوذِ[٥] جاهه ، وقد رأيتُك حرَّكْتَ دابَّتَك ، فلو ساعدتُكَ وحرَّكت دابّتي سقَطَتْ قلَنْسُوَتي ، فإذا سقطت قَلَنْسُوَة القاضي لعب [بها][٦] الصِّبيان .

---

(١) الرياض ١ : ١٥٠ وقد نقل الدباغ الخبر باختصار وتصرف في العبارة .

(٢) من الرياض . وفي الأصول : « ارتثت » . وهذا النص موضوع نظر وتحفظ بالنسبة لما حققته الدراسات الأثرية لمنارة جامع القيروان التي ترجح بالأدلة المعمارية أنه بناها والي إفريقية بشر بن صفوان سنة ١٠٥ هـ ، في أيام الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك .

(٣) الرياض ١ : ١٥١ باختلاف في العبارة ، وفيه : « وشق إبراهيم السماط إلى دار الإمارة » .

(٤) هو باب دار الإمارة .

(٥) كذا في الأصول . وفي الرياض : « وفور » .

(٦) في الأصول : « به » ونص المالكي : « وإذا سقطت قلنسوتي انكشف رأسي وضحك على الصبيان » .

وعن تَميم بن حَيْران[١] ، قال : كانت الكُتُب تَأْتى من عند الخليفة إلى إبراهيم ، ويأتى مَعَها كتابُه إلى ابن غانم ، وكان الرّسُول يسكن بقُرْب قُبَّة ابن عبد السّلام ، فربّما أتى إليه إبراهيم وابنُ غانم فيأخذ كلٌّ واحدٍ منهما كتابَه ؛ ففضَّ إبراهيم كتابَه وقرأه / على ابن غانم وهما جَميعاً راكبان يَتَسايَران ، فقال إبراهيم لابن غانِم : قد فضَضْتُ أنا كتابى وقرأتُه عليك ، ففُضَّ أنت كتابَك واْقرأْهُ علىَّ ، فأبَى ابنُ غانم ، فوجِد ابنُ الأغْلب من ذلك . فلمّا [صارا][٢] جميعاً إلى مَوْضِعٍ فى السِّماط[٣] ، حَرَّكَ إبراهيم دابته وَصار قُدّام ابن غانم ، فتركه ابنُ غانم وعَطَف فى زُقاق السَّقَطِيِّين وتمادَى إلى داره ؛ وشقّ إبراهيم السِّماط إلى دار الإمارَة — وهى دارُ عُقْبة المُسْتَجاب رضى الله عنه ، الّتى تُسمَّى اليوم المَخزَن ، الكائن قِبْلة الجامع ، وقد حُفرت فى زَمانِنا مَطامِير للخَزْن ، كما كان قَبْل زَمانِنا[٤] ـ وإبراهيمُ يظنّ أنّ ابنَ غانم خَلْفه ، فلمّا صار إلى باب دار الإمارة افتقَدَه ، فأعلَموه أنّه فارقه من ذلِك المَوْضع ، فبعث فى طَلَبه

١ : ٢٢٥

---

(١) الخبر فى الرياض ١ : ١٥١

(٢) من الرياض . وفى الأصول : « سارا » .

(٣) كذا فى الأصول . وأصله نص الرياض ١ : ١٥١ « فلما صارا جميعاً إلى [مربع السماط الذى يؤخذ منه إلى السقطيين وإلى ناحية الابزاريين] ، حرك إبراهيم . . . . » ؛ ومربعات السماط : هى الرحاب التى كانت تعترضه وتتفرع منها السكك الجانبية .

(٤) هذه البيانات المعترضة من ملاحظات ابن ناجى وليس من نص المالكى عن تميم ابن حيران الراوى .

فأتاه ، فقال[١] : فعلتَ [اليوم] فَعْلتين قبيحتَيْن ، احداهما مَنْعك لقراءة كِتابك ، والثّـانية مُفارقتك لى ، ثم عَاتَبَه على ذلك وأظهر الغَضَب عليه ، وقال له : أو ما علمت أنّ فى الأَخْبـار أنّ إبراهيم الأَمير يقتل عبدَ الله القـاضى ؟ فقال ابنُ غانِم : لستَ أَنْت ذلك الأمير ، ولا أَنا ذلك القـاضِى ؛ ذلك الأميرُ ولدُك ، والقَـاضِى هو غَيْرى . فقُدِّر أن كان ذلك إبراهيم بن أَحْمد ، والقاضى عبد الله بن طَالب .

﴿ قلت ﴾ : وأَحْفَظُ جوابَ ابن غانم له عن الأوّل ؛ بأن قال : إنّ الأمير إذا كتبَ لى كتَاباً وأَسَرَّ إلىَّ فيـه كلامه ، بَـكْرَهُ إظْهاره منِّى .

قال المـالـكىّ[٢] : وكان من إكرام الخليفة لابن غانم وإجلاله له ما يفوق المِقْدارَ ، حتّى إنّه إذا كتب كتاباً إلى إبراهيم يقول له فى كتابه : وأعلمك أنّى / لا أَفُكّ لك كتاباً حتّى يكون مع كتابك لى كتابُ ابنِ غانِم . ١ : ٢٢٦

﴿ قلت ﴾ : يعنى : إنْ شكرك أَبْقيناك ، وإن ذَمّك عزَلْنـاك .

قال المالـكىّ[٢] : ولذلك كان إبراهيم أشدّ النـاس وأكثرهم مُداراةً لابن غانم ، وكان كثير الإكْرام والتعظيم له ؛ فـكان إبراهيم بن الأغْلَب يصلّى بالجامع الأَعْظم المـكتوبات كلّها ، فخرج لَيْلة من الليالى

---

(١) قطع ابن ناجى هنا خبر تميم بن حيران ـ لأنه أورده فى أول نقله عن المالـكى ـ وربط الحديث بخبر آخر .

(٢) الرياض ١ : ١٥٢

من دار الإمارة ، فدخل الجامع لصلاة العَتَمة ، وكان مَشْغول القلب ، فعثر على حَصير فسقط ، فلمّا صلَّى بالنّاس وانصرف بعث فى طلب ابنِ غانِم ، فأتاه الرّسول وقال له : الأميرُ يدعوك ؛ فتغَيَّر لذلك ابن غانِم ، وقال : فى مثل هذه الساعة يُوَجّه وَرائى ! ثم لم يجد بُدًّا أن قام إليه ، فلمّا دخل عليه قال : يا أبا عبد الرّحمٰن ، إنى لم أبعث إليك إلاّ لخيْر ، إنّى لما دخلت المسجدَ اشتغل قَلْبِي عن حِفْظ نَفْسى فَعَثَرْت على حَصير فسقطتُ ، فظَنَنْتُ بالنَّاس أَنَّهم حسبوا أنى مُنْتَبِذ ، فأحببتُ أن تكون بَراءتى عندك ولا أُبالى بغيرك ، فاسْتَنْكِهْنى[1] ، فاستَنْكَهَهُ ابنُ غانِم فوجده بريئاً مّما قال ، فشكر له ذلك .

﴿ قلت ﴾ : واعَجباه ، هكذا كانَ عزّ القُضاة والخوف منهم لكونهم عملوا بما عرفوا من العِلْم ، فكان الخوْف منهم على قَدْر عِلْمهم . وقد شاهَدْنا هذا من شَيْخنا أبى مَهْدىّ عيسى الغبرْينىّ رحمه الله .

ونظر ابنُ غانم يوماً إلى قارورة فى يد إبراهيم فيها دُهْن يَسير ، فقال لإبراهيم : ما هذا ؟ فقال له : دُهْن ، ثمّ قال : كم تظنّ أنه يُساوى ؟ فقال له : هذا تافهٌ يَسير ، كم عسى أن يساوى ؟ فقال : إنّ ثمنه كذا وكذا درهماً . وذكر / ثمناً كثيرًا ـ فقال ابن غانم : ما هذا ؟ قال : السُّمّ القاتِل ، قال : أَرِنيه ، فدفع إليه القارورَة ، فلمّا أخذها ابنُ غانم ١ : ٢٢٧

---

(١) نكه له وعليه ، نكها : تنفس على أنفه ليعلم هل هو شارب خمر أم لا .

ضرب بها عموداً كان فى المجلس فانكسرَتْ وذهب ما فيها ؛ فقال له إبراهيم : ما صنعتَ ؟ ! قال : أفنَتْرُكُ معك ما تقتل النّاس به اغتيالاً ! .

﴿ قلت ﴾ : ذكر هذه الحكايَة أبو بكر المالكيّ [١] ، وفعل ابن غانم مايجب عليه لأنّه منكَرٌ ، فوجب عليه تَغْييره بإفسادِه ، مع كونه لا يخاف على نَفْسه .

﴿ قال ﴾ : ورُوى أن مالكاً عَرَض عليه أن يزوّجه اُبنتَه على أن يُقيم عندَه ، فأبى إلّا أن يرتحل بها إلى القَيْروان .

﴿ قلت ﴾ : نقلها المالكيّ [٢] عن بعض قرابة ابن غانم عَنْه . وهذه مَكانةٌ عظيمة لابن غانم ورِفْعة عالية عند الإمام مالك رحمة الله عليه .

قال المالكيّ [٣] بإسنادٍ : إنّ عبد الله بن فَرّوخ قال : دخَلْنا على سُفيان الثَّوْرىّ ، أنا وابنُ غانِم والبُهْلول بن راشد ؛ فسألناه فى السَّماع منه ، فأجاب إلى ذلك وقال : يقرأ علىّ أعربُكم كلاماً ، لأنّه ربّما يقرأ علىّ القارئ فيَلْحَنُ فى قراءته ، فأُحْرِم نَوْمى وطَعامى ، فقرأ لنا عليه ابنُ غانِم شهورًا كثيرة ، فما رأينا الثَّوْرِىَّ ردَّ عليه فى قراءتِه شيئاً ، ولا أخذ عليه لَحْنَةً واحدةً .

---

(١) الرياض ١ : ١٥٠

(٢) المصدر نفسه ١ : ١٤٤ باختلاف فى التعبير .

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٤٤

وعن[1] سَحْنون قال : قرأ علينا ابنُ غانم كتاباً من الموطَّأ ، فقال له رجلٌ : يا أبا عبد الرحمن ، أيُعجبك هذا من قَوْل مالك ؟ فقال ابنُ غانم ـ وقد ألقى الكتابَ من يده ـ : أو ليس وَصْمة عَلَيّ في ديني وعَقْلي أن أردّ على مالك قَوْلَةً قالَها ! واللهِ لقد أدركتُ العُبَّادَ الذين يتورَّعون من الذَرّ فما فوقَه ـ سفْيان ، وذوى[2] سُفيان ـ / فما رأيتُ أوْرعَ من مالك . فهذا من حُسْن أدبه رحمه الله . ١ : ٢٢٨

ودخل عليه وَلَدُه من المكتب فسأله عن سُورته ، فقال : حَوَّلَني المعلِّم من سورة الحَمْد ، فقال : أقرأها ، فقرأها ، فقال : تَهَجَّهَا ، فتهجَّاها ، فقال : أرفع ذلك المقعد ، فرفعه ، فإذا تحته دَنانير ، دون العشرين وفوق العشرة ، فقال له : ارفعها لمعلِّمك ، فرفعها لمعلمه فأنكرها ؛ وحملها إلى أبيه عبد الله بن غانم ، فقال له عبد الله بن غانم ـ كالمعتذر ـ : لَمْ يحضرنى غيرَها يا معلِّم ، أتدرى ما علَّمتَه ؟ كلّ حرفٍ منها خيرٌ من الدّنيا وما فيها .

﴿ قلت ﴾ : ذكرها المالكيّ[3] عن أبي عُثمان سَعيد عمّن حدَّثه ، وأنّ الشاكّ في عَدد الدنانير هو أبو عثمان . وهكذا كانت الناس ! يَبْذلون ما يفْنَى ، وهكذا كان المؤدِّبون أيضاً في تعليمهم ؛ واليومَ رُبّما

---

(١) الرياض ١ : ١٤٥

(٢) كذا في الأصول . وفي الرياض : « دون »

(٣) الرياض ١ : ١٤٥

يصل الولَدُ إلى سُور الرّحمن ولا يأخُذ المَلَّةَ ، فضَيَّعوا فى حقوق التعليم فضيَّعَ النّاس فى حُقوقهم .

قال المالكىّ [١] : وكان ابنُ غانِم منأحسن النَّاس هِمَّةً فى نفسه ، خَلَّفَ بعد وفاته كسوة بَدَنه [٢] بألف دينار .

وقال أبو عُثمان سَعيد بن الحدَّاد : كان ابن غانِم كثيراً ما يُنْشد هذين البَيْتين فى مَجْلسه [٣] :

إذا انقرَضَتْ [٤] عَنِّى من العَيْش مُدَّتِى
فإنّ غَنَـــاء البـاكِياتِ قَليــلُ
سَيُعْرَضُ عن ذِكْرِى وتُنْسَى مَوَدَّتِى
ويَحْدُثُ بَعْدِى للخَليـــــلِ خَليلُ

﴿ قلت ﴾ : كثيراً ما نَنقُل [٥] فى وَعْظى فى الميعـاد هاتَيْن البيتين ونَتَأَسَّى [٥] بهما / نَحثّ نفسي والحاضرين على تَقْديم ما بأيدينا للفقراء والمسـاكين ، لنَجده حيث لا ينفع مالٌ ولا بَنون . وقد كان يحيي ابن مُعاذ يقول :

١ : ٢٢٩

---

(١) الرياض ١ : ١٢٦

(٢) فى الرياض : « ظهره » .

(٣) البيتان لأبى العتاهية . انظر حماسة ابن الشجرى ١٤٢ ؛ أبو العتاهيـة أشعاره وأخباره ٣١٧

(٤) كذا فى الرياض ١ : ١٤٧ وترتيب المدارك ٦٦ أ ؛ وفى المصـدرين السابقين : « إذا انقطعت » .

(٥) كذا فى جميع الأصول بنون الجماعة . وهى لغة العامة بالقيروان إلى اليوم

يمُرّ أَقاربى بإزاء قَـبْرى كأنّ أقاربى لَمْ يعْرِفونِى

وقد تَقدَّم فى التّعريف برَباح بن يَزيد أنّه مَرّ بعبد الله بن غانم ، وبيد رباح قِسْطُ زيتٍ ، فقال له ابنُ غانم : أحمله لك يا أبا يزيد ؟ فقال له رَباحُ : شأنك به — وابن غانم إذ ذاك على القَضـاء — فدفع القِسْطَ إليه ، وجعل رباحُ يشقُّ مجامِـع النّاس ، فسلك به على حوانيت البزّازين والمواضع المشهورة ، حتّى انتهى إلى داره ؛ فلمّا انتهى إليها قال له : يا أخى ، تعلم لِمَ فعلتُ هذا بك ؟ قال : لا ، قال له رباح : بلغنى أنّك تجدُ فى نفسـك ، فأَحببْتُ أن أَضعَ منك ، فقال له ابنُ غانم : جزاك الله عنّى خيراً .

وبينما ابن غانِم راكب على بهيمة إذ هو بالبُهْلول بن راشد ، فلمّا رآه ترجَّلَ وقال : إلى أين يا أبا عمرو ؟ قال : أريد أن أشـترى بدرهم لحماً ، فقال : أنا أشتريه لك ، فقال : معاذ الله ، فسار معه على رجليه حتّى اشـترى البُهْلول اللَّحْمَ ؛ ثم قال ابنُ غانِم للبُهْلول : يا أبا عمرو ، بالله الذى لا إله إلا هو لتركبنّ ؛ فركب البُهْلولُ ثم قال لابن غانم : يا أبا عبد الرحمن ، إنى أستحى من الله أن يَرانى راكباً وأنت ماشٍ ، والله لتركبنّ ، فركب ابنُ غانم خلفَهُ ؛ فجعـل النّاس يتعجّبون من تواضُع ابن غانم .

﴿ قلت ﴾ : واعَجَباه ! هكذا كانت القُضاةُ فى تواضُعِهم وتَعْظيمهم لأصحابهم ، / واليوم صار يتقدّم على النّاس قاضِياً من لا يستحِقّه ؛ فـكما ١ : ٢٣٠

غَلِط فيه من قدّمه غَلِط هو فى نفسه بالتكبُّر عمّن هو مثل من قدّمه . وما عايَنْتُه من قُضاة الوَقْت أعظمُ ممّا استتر فيهم ، فالله يجبر كَسْر المسلمين ، حتّى لا يتقدَّم على النّاس إلاّ أعلمهم وأتقاهم ، بحيث يكون القارِى لا تأْخُذه فى الله لومة لائم فى سائر البلاد شرقاً وغرباً .

قال المالكىّ[١] : ذكر سُليمان بن عِمران رحمه الله أَنَّ رجلا يقال له ابن زُرْعة له جاهٌ ورياسة ، لقِىَ يوماً ابنَ غانِم فشَتَمَهُ فى وَجْهه فى موضعٍ خالٍ ليس فيه أحد ، وذلك لأنّه حكم عليه بوجه حقّ ترتَّب عليه ، فاستعداه[٢] لذلك ، فأعرض عنه ابنُ غانِم ولم يردَّ عليه شيئاً ؛ فلمّا كان بعد ذلك ، لقيه بطريق الرّيدان ؛ فسلّم عليه ابنُ زُرْعة فردّ عليه ابنُ غانم السَّلام ورحَّبَ به ، ومضى به معه إلى منزله بالرّيدان ، فأكرمه وعمل له طعاماً كثيراً ، ثمَّ رجع ابنُ غانم إلى القيروان ومعه ابنُ زُرْعة ، فلمّا أراد مُفارقته قال ابن زُرْعة لابن غانِم : ياأبا عبد الرّحمن ، اغفر لى واجعَلْنى فى حلّ ممّا كان من خطئى[٣] ، فقال له ابنُ غانم : أمّا هذا فلست أفعله حتّى أوقفك بين يدَى الله عزّ وجلّ ، وأما أن ينالك منّى فى الدّنيا مكروهٌ أو عُقوبة فلاَ .

---

(١) الرياض ١ : ١٥٤

(٢) كذا فى الأصول والرياض ، واستعملها بمعنى : اعتدى عليه بالقول .

(١) فى الرياض : « خطابى » .

﴿ قلت ﴾ : والذى أعرفُه لنقل غيره ما هو أخص من هذا ؛ وذلك أن ابن زُرْعة نزلت به نازِلَة بعد أن قال لابن غانِم ما قال ؛ وهى أنّ الجند نزلوا فى داره وملؤوها سلاحاً ؛ وأنزلوا خَيْلهم فيها حتى أمتلأتْ زِبلاً ، فنظر من يخلِّصه ممّا نزل به فلم يجد إلاّ ابنَ غانم ، فأتى قاصداً / إليه ، فلما قرب من باب داره ، تذكّر ما كان تَقَدَّم منه إليه وهالَه ذلك فرجع ، ثمّ بدَا لَهُ وعلم أنّه لا يُنْجيه إلاّ هو ، فلمّا قَرُب من باب داره أراد الرُّجوعَ ، فوقَع عليه بَصرُ ابن غانِم فقال : مرحباً بابن زُرْعة : ما جاء بك ؟ فذكر له الواقع ، فخرج معه مُبادِراً إلى إبراهيم بن الأغْلب ، وكَلّمه فى دَاره فسرَّحها له ، ثم مشى معه ابنُ زرعة إلى دار ابن غانِم ، وقَدَّم له طعاماً وأكل معه ، فحينئذٍ طلبه فى المُحالَلَة فقال له ما تقدّم .

١ : ٢٣١

﴿ قال ﴾ : حدّثنا أبو داود سليمان بن الأشْعث ، قال : حدّثنا القَعْنَبِىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن عمر بن غانِم ، قال : حدّثنا عبد الرّحمن بن زياد بن أنْعُم ، عن عمران بن عُبَيد المَعَافِرِىّ ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان يقول : ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاةً : مَنْ تقدَّمَ قوماً وهم له كارهون ، ورجلٌ أتى الصّلاة دِبارًا — والدِّبار أن يأتيها بعد أن تفوتَه — ورجلٌ أستعبد حُرَّةً .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكيّ [(١)] : ومن بَعْض ما يَتَّصل بنا عنه من الإسناد عن داود بن أبي يَحيى ، عن عبد الله بن عمر بن غانِم وحاتم ابن عُثْمان المَعَافِرِيّ وعبد الله بن أبي [حَسّان] [(٢)] اليَحْصُبِيّ ، قالوا : حدَّثنا مالك بن أَنَس رحمه الله ، عن نافِع ، عن عبد الله ابن عُمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « من أحبّ أن يتمثَّل له الرِّجالُ قياماً فليتبوأْ مَقْعَده من النَّار » .

﴿ قلت ﴾ : وتقَدَّم أنّه حمله على ظاهره ، وذلك أن ابنَ غانِم كان جالسًا مع أناس إذ ورد إبراهيمُ بن الأَغْلب ، فقام/ له الحاضِرون على أَقْدامهم إلاّ ابنُ غانِم ، فَلامَه ، فذكر له الحديث .

١ : ٢٣٢

قال أبو بكر التُّجِيبِيُّ : سمعتُ أبا سعيد ابن أخى هشام يقول عن أحمد بن نصر ، عن حَمَّاس القاضِى ، قال : لمّا انصرف ابنُ غانِم القاضى من الجامع بعد صلاة الجمعة ، دخل إليه بعضُ أصحابه ، قال : حضرتَ اليوم الجامع ؟ قال : نعم ، قال : كيف رأيتَ ؟ قال : رأيتُ ـ أصلحك الله ـ به سبعين قَلَنْسوة تصلح للقَضاء ، وثلاث مئة قلنسوة فقيه ، فترجَّعَ [(٣)] ابنُ غانم وقال : مات النّاس ! قاله فى آخر كتابه بعد أن ذكر هذه الحكاية .

---

(١) الرياض ١ : ١٤٤

(٢) فى الأصول : « حبان » ، والتصويب عن الرياض . وترجمة عبد الله بن أبى حسان هذا فى طبقات أبى العرب ٧٥

(٣) رجع فى المصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ذكرُ وَفاته وما يتعلَّق بذلك :

قال أبو بكر المالكى [١] : أخبر أبو الوليد عبد الملك بن قَطَن [المَهْرِىّ] [٢] ، قال : مرض عبد الله بنُ غانِم مرضَه الذّى توفّى فيه ، فدخلتُ عليه عائداً ، فقلت : رَفَع الله ضَجْعَتَك من هذه العلّة إلى إفاقَة وراحة ، وأعاد عليك ما عَوّدك من الصِحّة والسَّلامة ، فلطالما صَحَحْت وعُوفيت أصلحك الله ، فاصْبِر لحكم ربّك ، فانّ الله يحبّ أن يُصْبَر على بَلْواه ، كما يُحبّ أن يُشكر على نَعماه ؛ فقال : هو المَوْت ، والغاية التى إليها نِهاية الخَلْق ، فَصبرٌ جميلٌ يُؤجر صاحِبُه خيرٌ من جَزَعٍ لا يُغْنى عنه ؛ ثمّ تمثل بهذا البيت :

فهل من خالدٍ إمَّا هَلَكْنا وهل بالموت ـ يالَلّناس ـ عَارُ؟!

وكان موتُه بسبَب فالج أصابه .

﴿ قال ﴾ : ولمّا تُوفِّى ابنُ غانِم ، رأى رجلٌ فى النّوم ـ ممن لا يحفظ الشِّعر ، ولا يقرأ [من] [٣] القرآن [إلا ما يقيم به صلاته] [٣] ـ كأنّ قائلا يقول :

---

(١) الرياض ١ : ١٠٤

(٢) محرف فى الأصول والرياض إلى : « الفهرى » ، انظر الخبر بنصه فى ترتيب المدارك ١ : ٦٦ أ ؛ وترجمة ابن قطن المهرى فى إنباه الرواة ٢ : ٢٠٩ ؛ طبقات النحويين واللغويين ٢٤٩ .

(٣) تكملة من الرياض .

١ : ٢٣٣ / زَارتْ كِلابٌ بعد طُول عُوَابِهَا لَمَّا تَضَمَّنَهُ القُلَيب [1] المُلْحِدُ

﴿ قلت ﴾ : ونَقلها المالكيّ عن [2] سُلَيمان بن عِمْران ، وجعل عوض «كلاب» ، «ذئاب» ، والمُراد أنّ ابن غانم كان مع وجوده لا يقدرُ أحدٌ على تغْيِيرٍ فى الأمور الشَّرْعيّة ، فلمّا مات تغَيرَّت الأحوال ، وصار كل أحدٍ يَقولُ ويَصولُ ؛ لنجابته وذَبِّه عن الشرعيّات ، كما تقـدَّم فى سيرته مع إبراهيم بن الأَغْلَب الأمير ، وعدم مُسَاوَاتهِ مَنْ جاء بَعْده ؛ فإن قلتَ : هذا فيهِ نَظر ، لأن الذّى تولّى بعدَه ، أبو مُحْرِز . وَصَفوه بالعَدالة فى حُـكْمه وما قَبِل إلاّ كالمُـكْره ؛ قلتُ : لا نَظَر فيه ، أَلا ترى أنّ الأَمير زيادة الله بن الأَغْلب قَدَّم معه فى طَريقته أسدَ ابن الفُرَات ، وما عُهِد هذا قبلُ ولا بعدُ ! فهذا من تَغيّر الأَحوال .

﴿ قال ﴾ : وكان مَوْلده ومَوْلد البُهْلول فى ليـلةٍ واحدة ، سنة ثمانٍ وعشرين ومئة .

﴿ قلت ﴾ : وقيل كانت وَفاته فى شهر رَبيع الآخر سنة تسعين ومئة .

﴿ قال ﴾ : وقيل توفِّىَ سنة ستّ وتِسْعين من فالج أصابه ، وقيل : إن بَصَره قد كفّ وهو ضعيف . وصَلّى عليه إبراهيم بن الأَغْلب ، ودُفِن بباب نافـع .

﴿ قلتُ ﴾ : زاد المالـكىّ [2] : وبكى عليه إبراهيم بن الأغْلب ، وأقبل

---

(١) فى ع : « الضريح » .

(٢) الرياض ١ : ١٠٥

[مَعَدّ ، خال] (١) إبراهيم يَبْكى وينتحب ، حتّى فُرِغ من دَفْنه .

﴿ قلت ﴾ : وقَبْره مَزار يعرفه الخاصة والعـامَّة ، وعنـد رَأسه عمودٌ أحمر ؛ وبجواره قَبْر أبى العَرب بن أبى الفَضْل التّميمىّ .

وترك ابنُ غانِم وَلَدَيْن (٢) : أبا عمرو غانِمـاً ، وأبا شُرَحْبِيل ، وكان هذا فقيهاً وَرِعاً .

/ ومنهـــــم : ١ : ٢٣٤

٨٠ ● أبو عُثْمان ، حاتِم بن عُثْمان المَعَافِرِىّ (٣) .

﴿ قال ﴾ : سمع من مالك وعبد الرّحمن بن أَنْعُم .

قلت : قال أبو العرب (٤) : وأحسب أنَّ رِحْلَته إلى مَـكّة كانت مع ابن غانِم .

﴿ قال ﴾ : روى عنه داود بن يحيى وغيْره ، وهو الّذى كان يمضى بمسائل عبد الله بن غانِم إلى مالك ، قال حاتِم : كتب لى مَرَّة جواباً عن كُتب ابن غانم ، فقلت له : أُطبَعْ عليه أصلحك الله ، فإنها

---

(١) من الرياض . وحرف فى الأصول إلى : « واقبل [معه خاله] إبراهيم . . . »

(٢) انظر ترتيب المدارك ١ : ٦٦ أ

(٣) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٧١ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ١٠٧ ؛ عياض : ترتيب المدارك ١ : ٩٩ أ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ٢ : ١٠٥

(٤) الطبقات ٧١

أحكام المسلمين ، فقال : مالى خاتم ، إنّما الخاتم لثلاثة : تاجر ، أو قاض ، أو سلطان ؛ فمضيتُ بالكتاب إلى ابن غانم غَيْر مَخْتوم .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامِه بَتْرٌ ، لأنّ ظاهر كلامه يَقْتضى أنّ مالِكا هو الذى كان يُجاوِبُه منه إليه بلاَ وَاسِطَة ، ولم يقع له ذلك إلا مَرّة واحِدَة ، وهى الّتى قال فيها : كتب لى مَرّة جوابا ، لكونه أتاه نصف النهار ، واعتذر له بأن النّاس قد رحلوا ولا أقدر أن أتخلف ؛ وفيما سوى تلك المَرّة كان إذا أتاه بكتاب ابن غانم يقول له : أُدفعه إلى ابن كنانة يكتب الجوابَ ، قال : فإذا كتبه أتيتُ به مالِكا فيقرأ جوابَه ، فإن أنكر شيئاً أصلحه ؛ هكذا نقل المالكىّ [1] ، وهو غير مُطابق لما تقدّم من أنه كان يكتب عن ابن كنانة يسأل له مالكاً ويُجاوبه بما يقول له ، فهو خلاف مافوقَه ؛ فتأمَّلْه .

﴿ قال ﴾ : رَوى حاتِم عن مالك رحمه الله غرائب ، منها أنّه قال : سمعت مالكاً يقول : حَياةُ الثّوب طيُّه وعيبُه قِصَراُ كمّه .

١ : ٢٢٥ ﴿ قلت ﴾ ذكره المالكىّ [2] عن سُليمان / بن سالم بإسنادٍ رفعه عن حاتم .

﴿ قال ﴾ : وقال حاتم : حَدّثنى مالك ، عن ابن شِهاب ، عن أبى سلمة ،

---

(١) الرياض ١ : ١٥٧

(٢) المصدر نفسه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « بابٌ من العِلْم أتعلَّمه أحبُّ إليَّ من ألفِ ركْعة » . وسمعت النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلّم يقول : « إذا جاء المَوْتُ طالبَ العلم ومات على حاله فهو شهيدٌ » .

﴿ قلت ﴾ : ذكر ذلك المالكي[1] ؛ وزاد : قال حاتم : أكلتُ مع مالك رحمه الله ، فرأيته يأكل بثلاث أصابع .

﴿ قُلتُ ﴾ : لم يُبيِّن ما هو المأكول ، ومَحْمله حيثُ يمكنُ ذلك فيه كالخبْز ، وأمّا حيث لا يمكن إلا بأَرْبع فليفعل ، كالدُّوَيْدَةِ وشبهها . والله أعلم .

ومنهــــم :

٨١ ● صِقْلاب بن زِياد الهَمْداني[2] ، الفقيه المتعبّد .

﴿ قال ﴾ : كان من طَبَقة عليّ بن زِياد والبُهْلول بن راشِد . من أَهْل الفَضْل والاجتهاد . قال أبو سِنان : صِقْلابٌ إمامٌ من أئمّة المسلمين ، مأمونٌ على ما سَمع من مالِك .

﴿ قلت ﴾ : يُريد أنّه لم يقْرأ إلاّ على مالك رحمه الله ، ولذلك نَقَله المالكي[3] عنه إلى قوله : «على ما سَمِع» ؛ ولم يزدْ : « من مالك » ؛

---

(١) الرياض ١ : ١٠٧

(٢) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٦٢ ؛ المالكي : الرياض ١ : ١٥٥

(٣) الرياض ١ : ١٥٥

وأَرْدَفه بقوله : قال أبو العَرَب[١] : سَمِـع من مالك .

﴿ قال ﴾ : وسمع منه أبو سنان [زيد][٢] بن سِنان الأَزْدِىّ[٣] وداود بن يحيى وغيرهما .

روى عنه أنّه كان يقول : نحنُ إلى قليل من الأدب أحْوجُ منّا إلى كثيرٍ من العلم[٤] ، واللهِ لَوَدِدْتُ أنَّ جميع جسدى يُقْرَضُ بالمِقْراض وأنَّ هذا الخَلْق أطاعوا الله .

١ : ٢٣٦ وكان من دعائه إذا جَنَّ الَّليل : اللّهمَّ إنّى أسألُك من صَفَاء / الصَّفاء صـفاء أُنالُ به منك شَرف العَطاء ؛ اللّهم إنّى أســألُك منك ما هو مُقَرِّبٌ إليك ، وأستعِينُك على اجتِناب كلّ أمرٍ يُسْخِطُك ؛ اللهمَّ لا تشغِلْنى شُغْلَ من شَغَلَهُ عنك ما أراد منكَ ، إلاّ أن يكون لك .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره من تخْصيصه إذا جَنَّ الَّليل ؛ مِثْلُه نَقْلُ المـالـكىّ[٥] ولم يخصصْه التجيبىّ به ؛ وهذا أحسن .

﴿قال﴾ : وتوفّى سنة ثلاثٍ وتسعين ومئة ، ودُفِنَ بباب سَلْم رحمة الله عليه .

قال أبو بكر التُّجيبىّ : وفى هذه السَّنة مات هارون الرَّشِيد بِطُوس

---

(١) الطبقات ٦٢ ونصه : « سمع من مالك بن أنس ومن غيره » .

(٢) محرف فى الأصول إلى : « يزيد » ، ويجىء فى ترجمة يحي بن سلام : « زيد » : وصوبته عن طبقات أبى العرب ١١٦ والرياض ١ : ١٥٥ ، ٣٠٠

(٣) غير منسوب فى طبقات أبى العرب ، وفى الرياض : « الأسدى » .

(٤) كذا فى ع ، وفى بقية الأصول والرياض : « نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى قليل من العلم »

(٥) الرياض ١ : ١٥٥

لثلاث خلون من جُمادى الآخِرة ، وهو ابنُ سَبْع وأربعين سنة ؛ وقيل خَمْس وأربعين وخمسة أشهر . وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنةً وسبعة عشر يوماً ؛ وكان يصلى كلَّ يوم مائتَى رَكْعة ، ويتصدَّق كلَّ يَوْمٍ بألفَىْ درهمٍ ، وكان يذهب مذهب مالك بن أنَس . رحمة الله على الجميع .

ومنهـــــم :

٨٢ ● أبو عَوْن ، مُعاوية بن الفضْل الصُّمادِحىّ(١)

﴿ قال ﴾ : وذكر أبو إسحاق بن شَعْبـان أنّه روى عن مالك ، وعن حَنْظلة بن أبى سُفْيان ، وعبد الرّحمن بن زياد بن أنْعُم ، والثَّوْرِىّ . وروى عنه سُحْنون ، وأبو داود العطَّار ، وموسى بن مُعَـاوية .

﴿ قلت ﴾ : وكان حَقُّه أَنْ يقول : ومُوسَى وَلَدُ نَفْسِه كما قاله المالِـكىّ(٢) ؛ لأنّ مُطالع كلام الشّيخ لا يَقْطع بأنه وَلَده لاحتمال أن يكون رجلاً آخر .

﴿ قال ﴾ : وكان ثقةً مقدَّما فى شُيوخ إفريقيَّة ، قليل الحديث . / وذَكَر أبو القاسم بن شبلون رحمه الله أنَّ مُعاوية هذا كانت له كل يوم خَتْمَة ، وكان يَسْتعمل الحديثَ : « إنَّ الذّاكِرَ الله تعالى بين الغافِلين له من الثّواب والأَجْر ما لايُحْصى تفسيرُه » . وكان يكثر

١ : ٢٣٧

---

(١) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٨٠ ؛ المالكى : الرياض ١ : ١٥٦

(٢) الرياض ١ : ١٥٦

من ذكر الله فى الأسْواق والمواضِـع التى يَشتغلُ النَّاس فيها بالبِيَاعات . وكان يركب بَغْلته فيذهب إلى السّوق ويَجىء وهو يتلو القرآن حتى يَختم ؛ وإنّما كان يَرْكب إذا بَقِىَ عليه اليَسيرُ من خَتْمته .

﴿ قلت ﴾ : ظاهرهُ وإن كانت الأسْواق فيها النَّجاسَةُ ظاهِرَة ، ودلَّ ذلك على عدم كراهَتِه عنده . وبعْض أَهْل العلم يرى ذلك مكروهًا . واحتَجَّ من قال بعَدَم الـكراهَة بقوله سبحانه : ﴿ إِلَيْه يَصْعَدُ الـكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾(١) ، وهو أَحَد قولَىْ مالك ، محتجًّا بقول عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يذكُرُ الله على كلِّ أَحْوالِه ؛ وهو ظاهر الحديث فيمن أتَى السّـوق وقال : لا إله إلا الله وَحْده لا شريك له ، لهُ الملكُ وله الحَمْد وهو على كلِّ شَىْء قَدير .

﴿ قال ﴾ : ورَوَى معاويةُ عن طَلْحَة بن عُمر ، عن عَطاء ، عن نافع قال : رأيْتُ رجلاً جاء إلى ابن عُمر رضى الله عَنْهما فقال : يا أبا عبد الرّحمن ، أَنظَرْتم بأعينـكم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكَلَّمْتُمُوه بألسنتـكم هذه وبايَعْتموه بأيديكم هذه ؟ فقال له عبد الله ابن عُمر : نعَمْ ، فقـال له الرّجل : طُوبَى لـكم ، فقال له ابنُ عمر : ألا أخبرك بما سمعتُ من رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم ؟ سمعتُه يقول : « طوبَى لمن رآنى وآمن بى ، وطوبَى لمن لَمْ يرَنى وآمن / بى » ؛ ثلاثَ مَرَّات .

١ : ٢٣٨

---

(١) سورة الملائـكة ، الآية ١١

﴿ قلت ﴾ : يَعْنِى أنّه كَرَّر اللَّفْظَ نفسَه مع قوله ثلاث مَرَّات .

ولفظُ المالِكى[١] : « طُوبَى لمن لم يَرَنى وآمن بى ، وطوبَى لمن لم يَرَنِى وآمن بى ، وطوبَى لمن لم يَرَنى وَآمَن بى » ؛ ثلاثَ مَرَّات .

﴿ قال ﴾ : وتوفى مُعَاوية بِالقَيْرَوان سنة [تسع وتسعين][٢] ومئة ، وصلّى عليه [أبو العبّاس عبد الله بن][٣] إبراهيم بن الأغْلَب .

ومنهـم :

٨٣ ● حَفْصُ بن عُمارة[٤] .

﴿ قال ﴾ : من نُظَراء البُهْلول ورَباح بنَ يزيد . سمِع من الثَّوْرِىّ .

وروىَ أن العَـكِّىَّ لما حَبَسه مع البُهْلول ، قال حَفْصٌ للبُهْلول : سمِعْت الثّوْرىَّ يقول : إذا كَمُل الصَّـادِق فى صِدقه لم يملك ما فى يديه ؛ فخرَّ البُهْلول على يد حَفْص يُقَبِّلُها ويقول له : أنت سمعت هذا من سُفْيان ؟ قال : نعم .

﴿ قلت ﴾ : زاد التُّجيبىُّ : وكان البهْلول من الأَجْواد . وهذا تفسيرُ قوله : لم يملك ما فى يديه ، أى من سخائه يُنْفق جميع ما فى يديه فى وجوه الخيْرِ .

---

(١) فى نشرة الرياض ١ : ١٥٦ « طوبى لمن رآنى وآمن بى » ، ثلاثاً .

(٢) فى الأصول : « سبع وأربعين ومئة » والتصويب عن طبقات أبى العرب ٧٥ ؛ ٨٠ ، ولم يذكر المالـكى تاريخ وفاته فى ترجمته .

(٣) تكملة من طبقات أبى العرب . وقد تولى عبد الله بن إبراهيم امارة إفريقية فى صفر سنة ١٩٧ هـ ، واستمر عليها إلى سنة ٢٠١ هـ.

(٤) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٧٢ ؛ المالـكى : الرياض ١ : ٢٠٨

﴿ قال ﴾ : وكان مستجاباً ، وكان يختم كل يوم خَتْمة ، وصام حتى خَوى .

﴿ قلت ﴾ : قال أبو بكر المالكيّ[١] : قال حَفْص : سمعتُ الثوْرىَّ يقول : لو احترق نِصْف جَسَدِى[٢] بالنّار لكان النِّصف الباقى أشرّ[٢] . وسمعتُ الثورىَّ أيضاً يقول : حدّثنى العلاء بن عبد الرَّحمن ، قال : سمعتُ أنساً يقول : كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى غزوة تَبوك ، فطلعت الشّمْس بنور ضياء وشُعاع ، وأتى جِبْريل

١ : ٢٣٩ وقال : إنّ مُعاوِيةَ بن معاوية [المُزَنِىّ][٣] مات/ اليوم بالمدينة فبعث الله إليه سبعين ألف مَلَك يصلّون عليه ، فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : وفيم ذلك ؟ قال : كان يُكثر قراءة ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ﴾ فى صلاته وممشاه وقُعوده ، فإن شئت أن أقبض لك الأرضَ فتصلِّى عليه ، قال : نعم ؛ فقبض له جِبْريل الأرضَ فصلّى عليه رسولُ الله وأصحابه .

﴿ قال ﴾ : وتوفّى سنة ثمان وتسعين ومئة .

قال أبو بكر التُّجِيبىّ : وفى هذه السنَة قُتِل محمد الأمين بن هارون الرَّشيد ، وكانت خلافَتُه أربع سنين وتسعة أَشْهر وستّة أيّام ؛ وقُتل وهو ابنُ ثمانٍ وعشرين سنة ؛ ثمّ بويع المأمون .

---

(١) لم يرد هذا النص فى ترجمة حفص فى الرياض .

(٢) كذا فى ع . وفى بقية الأصول : « . . . نصف ثوبك بالنار ، لكان النصف الباقى أشد ؛ ولا معنى له .

(٣) فى الأصول : « الابى » . انظر الإصابة ٣ : ٤١٦

ومنهـــــم :

٨٤ ● يحيي بن زكريّاء بن محمد بن الحكم التُّجيبيّ[١] .

﴿ قال ﴾ : قال أبو العرب[٢] : كان ثِقَةً صالحاً . ذكره أبو الحسن ابن فِهرْ[٣] من جُملة أصحاب مَالِك ، وقال[٤] سليمان بن عمران : كُنّا في جَنازة يحيي بن زكريّاء ، فازدحم النـاس على النَّعْش ، فبقي النّعش واقفاً عند باب نافِـع لا يقدِر النّاس أن يتعدّوا به لـكَثْرتهم ، فصـاح صائِح : معشرَ النّاس ، أُزدحموا على عَمَــله ولا تَزْدَحِمُوا على نَعْشه . ودُفِن بباب نافع .

ومنهـــــم :

٨٥ ● أبو زَكَرِيَّاء يَحْيي بن [سَـلاّم] بن أبي ثَعْلَبَة التَّيْميّ[٥] تَيْم رَبِيعة ، مَوْلاهم

﴿ قال ﴾ : كان من العُلَمَاء الحُفَّاظ الفُضـلاء ، أَخْبرَ أنَّه لَقِي من

---

(١) ترجمه المالـكي : الرياض ١ : ١٦٣ ، ونقلها الدباغ بنصها عنه .

(٢) نص الرياض ؛ ولم ترد ليحيي هذا ترجمة في المطبوع من طبقات أبي العرب .

(٣) من ع والرياض ، وفي بقية الأصول : « ابن مهدى » . ولعل ذلك هو الصواب ، فإن عبد الرحمن بن مهدى من أصحاب مالك .

(٤) أسند المالـكي هذا الخبر لأبي العرب أيضاً ، ولم أقف عليه في المطبوع من طبقاته .

(٥) ترجمه أبو العرب : الطبقات ٣٧ ـ ؛ المالـكي : الرياض ١ : ١٢٢ ، وفيه : « ابن السلام » ؛ ابن الجزرى : غاية النهاية ٢ : ٣٧٣ ؛ ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل ٢/٤ : ١٥٥ ؛ ابن حجر : تهذيب التهذيب ٦ : ٧١ ؛ لسان الميزان ٦ : ٢٥٩ ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ١ : ١٠٥ ؛ الذهبي : ميزان الاعتدال ٣ : ٣٩٠ =

من العُلماء ثلاث مئة وثلاثة وستِّين عالماً سِوى التَّابعين ، وهم أربعة وعشرون ، وأُمرأةً / تُحدِّث عن عائِشة . وروى عن جماعة من العُلماء شَرْقاً وغَرْباً ، منهم : مالك بن أَنَس ، واللَّيْث بن سَعْد ، وعبد الله ابن لَهيعة ، وسواهم . وقال : كتب عنِّى مالكُ أربعةً وعشرين[1] حديثاً . وكان يقول : كلّ من رَوَيْتُ عنه العِلْمَ روى عنّى ، إلاّ القَليل.

١ : ٢٤٠

﴿ قلت ﴾ : قال أبو بكر التُّجيبِيّ ، قال محمّد بن يحيي : قلت لأبى : من أحسن من رأيتَ فيمن لقيتَ من الرِّجال خُلُقاً ؟ قال : ابن الجارود الكُوفِىّ ، وكان عظيم الرّأس ، أتاه أَعْرابىٌّ فرآه يُفْتى فى العربيّة والفِقْه والشِّعر ونحن نسمع منه ، قال له : أَلَكَ حاجَة ؟ قال : نعم ، قال : سَلْ عمّا بدَا لك ، قال له الأعرابىُّ : ابنُ مَنْ أنتَ ؟ قال : ابنُ من سجدَتْ له الملائكة ؛ فاتّكأ الأعرابىُّ على يدَيْه وجعل يرجع إلى خَلْفه ويقول : تاللهِ إنَّك لتقُول يا ذا الرّأْس قولاً عَظيماً .

﴿ قلت ﴾ : ظاهِرُه أنّ الأعرابىّ لم يفهم مُرادَه بأنّه أراد بأبيه آدم وقد سجَدَتْ له الملائكة .

قال محمد بن يحيي بن سَلاَّم ، قال لى أبى : يا بُنَىّ ، رَوَيْتُ ستَّة

= وجاء اسمه فى عنوان ترجمته بالأصول : « ابن عبد السلام » كما فى الرياض ، وكما ورد أيضاً فى سجل كتب سنة ٦٩٣ هـ لمكتبة جامع القيروان التى تحتفظ بأجزاء من تفسيره ؛ ولعله كان يلفظ بتشديد اللام . انظر : إبراهيم شبوح : سجل قديم لمكتبة جامع القيروان (مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد الثانى ـ الجزء الثانى ـ ص٣٦٠) . والصحيح فى اسمه ما أثبت ، بفتح السين وتشديد اللام .

(١) فى الرياض : « ثمانية عشر حديثاً » .

آلاف حديثٍ أو ثمانية آلاف لم يسألني عنها أحدٌ ، ولم أحدِّثْ بها أحدًا .

وروى عنه أبو سِنان زَيْد بن سنان ، عن زيد[١] بن حُبَيْش ، عن أَنَس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لم يَتقَرَّبْ العِبادُ إلى الله بأفْضل من رَدِّ كَبِدٍ جائِعٍ .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكي[٢] عن أبي سِنان ، قال : أخَذْت بركابه ليركَب . فقال : آجرك الله يا ابن أخي : أمَا إنّه من أخـذ بركاب أخيه المُؤمن حتّى يَرْكَب ، حطَّ الله عنه أربعين كبيرة .

﴿ قلت ﴾ : قِفْ على هذه الفائدة / العظيمة ، وكثير من جَهلة[٣] الفقهاء ؛ فضلاً عن العامّة ، إذا جاء رجـلٌ مُعْتَبَر يمسك لهم بركابهم ، يحلفون له على عَدم الإمســاك . وما ذاك إلا لجهلهم بهذه الفـائدة ؛ والأوْلَى أنّ من يعرف هذه الفَائِدَة العظيمة يَحُثُّ النّاس عليْها . ١ : ٢٤١

ولمـا سمع النّاس بالقَيْروان هذه الفائدة من كلامي ، رأيتُ أناساً انتَدَبوا إلى المبادرة إليها طمعاً في تـكفير كَبائرهم .

قال المـالكي[٤] : ومن سَنده عن عبد الرّحمن بن ثَوْبان[٥] ، مولى

---

(١) كذا في الأصل . ولم يذكر المزي في تهذيب التهذيب هذا الاسم فيمن روى عن أنس بن مالك . وربما كان مصحفا عنه « زرّ بن حبيش » وهو ممن عاصر أنس ، وإن لم يذكره المزي بين رواته .

ونص الخبر في رياض النفوس ١ : ١٢٣ : « قال أخبرني أبو ذر عن أنس بن مالك . قال .. » ولعل هذا هو الصواب ، لأن أبا ذر ممن روى عن أنس بن مالك ، كما ذكر المزي .

(٢) الرياض ١ : ١٢٣ .

(٣) كذا في ط ع ، وفي ز : « جملة » .

(٤) الرياض ١ : ١٢٣ .

(٥) كذا في الأصل ، وعند المالكي ، ولم يكن بين موالي الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاسم . ولعل الصواب : « عن أبي عبد الرحمن ثوبان ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم » فهذا هو الذي كان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، عن رسول الله أنّه قال : خَصْلتان من كانتا فيه ، كتبه الله شاكراً صابراً ، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً : من نظر إلى مَنْ فَوْقه فى الدِّين ودونَه فى الدُّنيا فاقتدى بهما ، كتبه الله شاكراً صابراً ؛ ومن نظر إلى من فوقه فى الدنيا ، ودونه فى الدِّين ، فاقتدى بهما ، لم يكتبه الله عزّ وجل شاكراً ولا صابراً .

﴿ قال ﴾ : وروى محمّد بن يحيى بن سَلاّم قال : كنتُ أَمْشى مع أبى إلى أن انتهينا إلى مَوْقف الخَيْل ، فبينما نَحْن نمشى إذ جذبنى جَذْبةً[1] شديدة ، ثمّ دخل إلى سَقيفةٍ وأَدْخلنى معه ، فقلت لأبى : ما قِصَّتُك ؟ ! قال : يا بُنَىّ ، رأيتُ غريماً لى فخفت أن يَرانى فيَرْتاع منّى ، وذكرت قول الله عزّ وجل : ﴿ وإن كان ذُو عُسْرةٍ فنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرة ﴾[2] .

﴿ قلت ﴾ : زاد المالكى[3] : فقعدنا ساعةً ثمّ خرج أبى فخرجتُ معه ، فلمّا أن مشَيْنا / قليلاً قال : يا بُنى ، إنَّه قد جاء فى الحديث : مَن رَحِم يُرحَم . ١ : ٢٤٢

﴿ قلت ﴾ : وهكذا كان العُلَماء رضى الله عنهم ؛ جمع الله لهم العِلْمَ

---

(١) فى ع والرياض : «جبذنى جبذة» بمعنى الجذب أيضاً . انظر اللسان (ج ب ذ) ، وتستعمل إلى اليوم فى القيروان بلفظ « جبد » بالدال المهملة ، وسيرد تحليل ذلك فى معجم اللغة بآخر الكتاب .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٠ .

(٣) الرياض ١ : ١٢٤ .

والعمل والرحمة تَخلُق الله ، فينبغى أن يتَخلّق الإنسانُ بأَخلاقهم .
ولا تَتَبّعْ علماء زمانِنا ، فإنّ الغالب عليهم الشُحُّ وعَدم الرحمة تَخلُقِ الله تعالى ؛ وقد كان من تُجّار القَيْروان — ونحن أَدْركناه — أبو عبد الله محمد بن عبد الغفّار المُكارى ، يسأَلُ[1] رجلاً عشرة دَنانير ذَهَبًا ، وقد مَطَله بها ، فبَيْنما هو يمشى بقُرْب عيد الفطر ، إذ وجد غَريمَهُ وبيده إناءٌ فيه زَيْتٌ وعَسلٌ لعيده ، فلما رآه خجل ، فسقط من يَده ، فتبدَّد ما فيه ، فعَمَل[2] يدَه على يَدِه ومشى به إلى داره ، وأخرج له وَيْبَتَيْن[3] قَمْحاً ، وإناءً كبيراً فيه زَيْتٌ وعَسل ، وأعطاه عَقْدَه وسامَحه ، وقال : دَيْنٌ أوصلنى إلى هذا لاحاجةَ لى به . وهذا من بَرَكة شَيْخنا أبى محمد عبد الله الشَّبِيبِىّ رحمه الله ، فإنّه كان يحضر مِيعادَه على الدَّوام ويسمع وَعْظَه وإذْلاَله على الخَيْر .

وكان رجلٌ من فُضلاء مدينة قَفْصَة يمشى فى غابتها . وإذا برجل بين يديه ، فلما رآه الرجل فرَّ ورمى بنفسه إلى طابيَةِ جِنانٍ أظنّ أنّ عليها شوكًا . فلما رأى ما فعل بنَفْسه تفجَّع وسأل عنه ، فقال له بعض من حَضَر : هَرَب منك لدَيْنِك الّذى عليه ، فقال : أَوْصلَتْنى الدُّنيا لمثل هذا ! . ورجع إلى موضعه وقَطَّع جميعَ العُقود الّتى له على النّاس ؛ وأمر مُنادِياً

---

(١) عامية تستعمل إلى اليوم لمعنى : « له عليه دين » ، ولا يلفظون الهمز . وقد يكون أصل التعبير : « يسأل رجلا دينه » . وترد فى معجم الألفاظ العامية .
(٢) عامية ، بمعنى : فوضع يده فى يده .
(٣) الويبة ، على وزن شيبة : مكيال : وهى عند أهل القيروان أربعة وعشرون مُدًّا نبويا . انظر البكرى : المغرب ٢٦ ؛ والصولى : أدب الكتاب ٢١٧ . والزبيدى : تاج العروس (ويب) .

١ : ٢٤٣ يُنادى / فى أسواق قَفْصَة : ألاَ إنَّه من كان عليه دَيْنٌ لفُلانٍ ، فهو فى حِلٍّ دُنيا وأُخْرى .

ولما مرض اللَّيْثُ بن سَعْد ، رأى قِلّة الزّائرين له ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : لِكَثْرَة دُيونك على النَّاس استحيي النّاسُ منك ؛ فأمر مُنادياً ينادى فى أسواق مِصْر : ألا من كان فى ذِمَّتِه شىء لليْث بن سَعْد فقد سامحه ؛ فازدحم النّاس لزيارته حتى كسروا بابَ الدّار .

﴿ قال ﴾ : ومن مناقبه أنّه دَعا الله تعالى بثلاث[1] دعوات ، فاستجاب الله له : منها أن يَقْضى عنه دَيْنه ، فقضى دَيْنه . وأن يورث ولدَه العِلْمَ ، فكان كما دَعَا . وأن يكون قَبْره بمُقَطَّم مصر ، فكان كذلك . دفن إلى جانب عَبْد الله بن فَرُّوخ ؛ يحكى أنّه يُرى على قَبْريهما كلَّ لَيْلة قِنْديلان .

وليحيى بن سَلاّم كتابٌ فى التَّفْسير واختياراتٌ فى الفِقْه . وكان ثقةً ، ومحلّه من العِلْم مَعْلوم ؛ وكان إذا مَرَّ بمُغَنٍّ سَدَّ أُذنَيْه لِئلا يسمعه فيَحْفظُه ؛ فإنّه كان لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه .

روى يحيى بن سَلاَّم عن أبى هاشم المذ كّر قال : جئت أتَكَارَى فى سَفينةٍ ، وإذا بشَابّ من أبناء الملوك ومعه جارية وخَدَم ، فقلتُ : أحملونى مَعَكم ، فحُمِلْت ، فلما رَفَعْنا شرَاعنا قال الفتى : عَلَيَّ بالغَداء ، فأقبل

(١) الرياض ١ : ١٢٤ عن تميم بن أبى العرب ، عن أبيه . وانظر طبقات أبى العرب ٣٧

الخَدَم بأنواع الطّعام ، فقال : أنزلوا ذلك المِسْكين يتغدَّى مَعَنا ، فأتيتُ على أنِّى مسكين ، فلما فَرَغ من الطّعام قال لجاريته : هاتى الشَّراب ، فجىء بالشَّراب وأنواع الفاكِهة ، وأمرها أن تَسْقِيَنى ، فقلت/ : إنِّى ضيف وللضَّيْف حَقٌّ ، وهذا يُؤذِينى ، فتركَنى ، ثم قال : يا جارية ، هاتِ العودَ ، فجاءت به وغَنَّتْ[1] :

١ : ٢٤٤

وكُنَّا كغُصْنَىْ بانَةٍ ، لَيْسَ واحدٌ يَزولُ على الحالاتِ عن رَأْىِ واحِدِ

تبدَّل بى خِلاًّ فخـالَلْتُ غَيْرَهُ وباعَدْتُه[2] لَمَّا أرادَ تباعُدِى

ولو أنَّ كَفِّى لم تُرِدْنِى ، قَطَعْتُها وما صحِبَتْنِى بعد ذلِك ساعِدِى

ألا قبَّحَ الرَّحمنُ كلَّ مُصادِقٍ خليلاً ، لنا فى اليُسْرِ لا فى الشَّدائِدِ[3]

ثمّ التفتَ إلىَّ وقال لى : أتُحْسِن مثلُ هذا ؟ قلت : أُحْسِن ما هو خيرٌ منه ، فقال : هاتِ ، فقرأت : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[4] حَتّى انتهيتُ إلى قَوْلِه تعالى : ﴿ وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[4] ؛ فقال الفَتَى : يا جارِية ، أنتِ حُرَّةٌ لوَجْه الله ؛ وألْقَى ما عِنْده من الشّراب فى الماءِ ، وكَسر العودَ وقال : ياأبا هاشِم ، أتُراه يقبلنى ويقبل تَوْبَتى ؟! فقلت :

---

(١) أورد أبو حيان التوحيدى فى الصداقة والصديق ١٥٧ ، الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ غير منسوبة لقائلها .

(٢) فى الصداقة والصديق : « وخليته » .

(٣) كذا فى الأصول ؛ ورواية الصداقة والصديق :

أَلاَ قَبَّحَ الرَّحْمٰنُ كُلَّ مُصَادِقٍ يَكُونُ أَخًا فى الخَفْضِ لاَفِى الشَّدَائِدِ

(٤) سورة التكوير ، الآيات ١ ـ ١٠ .

أى والله ، ويحك ! إنَّ الله يُحبُّ التَّوَّابِين ويُحب المُتَطَهِّرِين ؛ فلبَّى وأَحْرم وخرج إلى الحجِّ وترك امرأته بالبَصْرة ، وما زال مُجاوِرًا بالحرَمِ سِنِينَ كثيرةً / إلى أن مات ودُفن بالحرم . قال أبو هاشِم رحمه الله : فرأيتُه بعد ذلك فى المنام فقلت له : يا أخى ، إلى ما صِرْتَ بَعْدى ؟ قال : إلى الجَنَّة ، قلت : بماذا ؟ قال : بقراءتك علىَّ ﴿ وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ .

٤ : ٢٤٥

﴿ قلت ﴾ : تبع فى نَقْله هذه الحكاية أبا بكر التُّجيبىّ .

﴿ قال ﴾ : سكن القَيْرَوان وأوطنَها . ثم خرج إلى المشرق للحجّ ، فتوفّى بمِصْر ، وكان مولده سنة أربع وعشرين ومائة .

﴿ قلتُ ﴾ : تَبِع فى نَقْل هذا أبا العَرب[1] ؛ وظاهر قولها : سكن القَيْرَوان[1] وأَوطنها ؛ أنَّه ليس أصله منها ، وإنّما وردَ عليها ثم خرج منها ، وهو كذلك . قال أبو بكر التُّجِيبىّ ، قال يحيى : وُلِدْت بالكوفة . وكان أبى من أهلها ، ثم سكن البَصْرة .

وتوفّى وهو ابن سبع وسبعين سنة ، رحمه الله .

ومنهـــم :

٨٦ ● أبو عبد الله ، محمد بن مَسْروق الزّاهد[2]

﴿ قال ﴾ : كان رجلاً صالحاً زاهداً فى الدّنيا ، تركها عن قُدْرَةٍ

---

(١) الطبقات ٣٨ .

(٢) ترجمه المالكى : الرياض ١ : ١٢٦ ؛ ولم أقف له على ترجمة أخرى . وفى ط : « يعرف بالزاهد » .

حتّى يُقال : إنّ رجلين كانا فى الدّنيا فزهدَا فيها : عمر بن عبد العزيز ومحمد بن مَسْروق هذا .

﴿ قلت ﴾ : يُروى هذا الكلام عن الشّيخ أبى بكر بن اللّبّاد رحمه الله ، كان يقول بإسناد يتّصل بسَعيد الأدَم المتعبّد بمصر أنه قال : كان يُقال إنّ رجُلَيْن ، إلى آخره ، نقلَه المالكِىّ[1] .

﴿ قال ﴾ : قال يحيى بن عُمَر الفقيه : محمّد بن مَسْروق هذا ، هو صاحب المَسْروقين التى على طريق سُوسَة . وكان والده مَسْروق خليفةَ موسى بن نُصَير بالمغرب .

ونشأ محمد بن مَسْروق هذا فى رفاهية من العَيْش ؛ رُوِىَ أنّه كان يفتَضّ كلّ ليلة عَذْراء ؛ فزهد فى جميع ما تركه والده ، وكان بعد ذلك يَمُرّ بالقَرْية من قُرى أبيه ، فيخرج / إليه أهلُها ومن فيها فيقولون : نحن عَبيدُك ، وكلّ ما لنا فى هذه القرية هو لك ؛ فيقولُ : إن كنتم صادقين فأنتم أَحْرارٌ ، ومالُكم لكم . ١ : ٢٤٦

ولم يتَلبّسْ[2] من الدّنيا بشىء ، ورحل بعد ذلك إلى الإسكَنْدريّة فوطنها إلى أن مات . وكان كثير الخوف من الله عز وجلّ ، رحمهُ الله .

---

(١) الرياض ١ : ١٢٦ .

(٢) فى الرياض : « ثم انخلع من جميع ذلك ومما ترك أبوه ، ولم يتلبس منه بشىء » .

فهرس الجزء الأول

الصفحة

الصفحة







٦٢	١١	أسَّرَت	أسَرَت
٦٣	١٣	مِلَّة	مَلَّة
»	١٥	بَنى	بَنِيّ
»	١٧	يريد	يزيد
٦٤	١٧	طرابُلْس	طرابُلُس
٦٥	١٠	بهـا	بهما
٦٦	٤	بين يدى الملك	كذا فى الأصول ، ولعله : « بين يدى عبد الملك »
»	٧	فأقلدُّ	فأقَلدَّ
٦٧	٨	يعطوه	يعطيَهُ
٧٢	١٣	ثنيّة المَرْوَة	ثنية المَرَة ، انظر معجم ما استعجم ١١٦١، ١٢٠٩
٧٤	١٤	خلف	خلف [بن سليمان] بن عمرون. انظر الصلة ١ : ١٩٤
»	١٥	محمد بن يحيى بن الفرج	محمد بن [أحمد بن] يحيى بن [مفرج] . انظر الجذوة ٣٨
»	١٦	الرقيق	الرَّقِّي . انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٦٩
٧٧	١٠	لأبى سواد من بنى سَلَمَة	لبنى سواد من بنى سَلِمَة ، انظر ابن قدامة : الاستبصار ـ ورقة ٣٥ ، نسخة دار الكتب المصرية ؛ وفيه انه حليف بنى نابى بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة
٧٨	٥	لخالد بن سفيان	فى التبيين ٨٥ « إلى سفيان بن نُبَيح الهُذَلِيّ »
»	١١	عبد الله بن محمد	عُبَيد الله بن محمد
»	١٢	أحمد	محمد
٧٩	٦	فإنّ أقل	إذا قَلّ . انظر الاستبصار ٣٥
»	٩	الليث بن سعد	فى الاستبصار ٣٥ « بُشْر بن سعيد ، وبنوه : عطية ، وعمرو ، وضمرة ، وعبد الله ، بنو عبد الله بن أنيس الجهنى »

٨١	١٩	أبواب المناقب١٣:٢٢٢	كتاب فضائل الصحابة ٧ : ١٥٨
٨٢	٩	وعبد الله بن الزبير	لعله « وعبد الله ، أبناء الزبير » .
٨٥	٣	جَنَادَة	جُنَادَة
٩٠	١٨	تصحيف	تحريف
٩١	١٠	كـذِبْتُ	كَذَبْتُ
٩٣	١	شَهدَة بنت أحمد ابن أبي الفرج الأبرى	شُهْدَة بنت أحمد بن الفرج الإبَرِىّ انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٨٣
٩٤	٢	سلَمة بن [عمرو] ابن الأكوع الأسلمى	سلمة بن [عمرو] بن الأكوع الأسلمىّ
٩٥	١١	كَذِب	كَذَب
٩٧	٥	وعَمَّرَ	عُمِّرَ
٩٨	٣	ودَفَنَ	ودُفِن
١٠٤	٢	وقاة	وفاة
١٠٥	٥	زَرْعة	زُرْعَة
١٠٩	٨	بَرَعَ	فَرَعَ
١١٤	١٤	مُنقصَة	مَنْقصَة
»	١٥	الخالاتَ	الخالاتِ
١١٥	١٣	يا أيّهـا	يأيّهـا ، وتـكررت أكثر من مرة .
١١٧	١٢	السُّخط	السَّخَط
»	١٠	فقُم وأفْطر	فقمْ ونمْ وصُمْ وأفطر . وانظر التبيين الورقة ٩٠
»	١٦	تتقصَّفُ	تتقصَّفَ
١١٩	٤	وَهِيَ	وَهَى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢١ ، ١٢٣	٧	السَّرْخَسِى	السَّرَخَسِىّ
١٢١	١٢	فَرْط	فَرَطٌ
١٢٢	١٤	ولـكنّ	ولـكنْ
١٢٢	٢٠	انظر ابن عبد الحكم الخ .	يتعلق بآخر الحاشية رقم ٢ .
١٢٥ : ٧ ـ ١٨٠ : ٤ ـ ١٨١ : ٨ ـ ١٨٢ : ٧ ـ ١٨٣ : ٦ ، ١٥ ـ ١٨٤ : ٧ ـ ٢٢٤ : ٨ ـ ٢٣٠ : ٢ ، ٨		الحُبُلى	الحُبَلىّ . انظر اللباب ١ : ٢٧٥
١٢٨	١٤	الثَّلْمَة	الثُّلْمَة
١٢٩	٩	بشر ابن آدم	بِشر بن آدم
١٣١	٨	المعادن القَبَلية	معادن القَبَلية
١٣٢	١٢	بن صاحب	ابن صاحب
١٣٤	١١	عليه عليه	عليه
١٣٦	٢	المَسْور	المِسْوَر
١٣٧	١٣	جاعة الصحابة	جماعة من الصحابة
١٤١	١ ، ١٠	كِنْدى	كِنْدَة
»	٦	الفقه	الفقيه
١٤٤	١١	سعيد	سُعَيْد
١٤٦	١	عبد الرازق	عبد الرزّاق
١٤٨	٣	عمَّر	عُمَّر
١٤٩	٥	تؤمْرنى	تُؤَمِّرُنى
١٥٠	١٣ ، ١٤	حصَّيات	حَصَيات
١٥٣ : ٤ ـ ١٥٧ : ٣ ـ ١٧٧ : ١١ ـ ١٨٠ : ٣ ـ ١٨٢ : ٦ ـ ١٨٨ : ١		المُعَافرىّ	المَعَافِرىّ

١٦١	٣	رأه	رآه
»	١٠	الإمَارَةَ	الإمَارَةِ
١٦٢	٥	الأفلح	الأقْلَح
١٦٣	٩	تستنصرُ	تَذْتَصِرُ ، كما في ح
١٦٤	٧	بن عبدالقيس	في التبْيين ٩٩ « بن عبد قيس »
»	١٦	لم يرد البيت في عينيّة متمّم برواية المفضل الضبّى	
١٦٥	٤ ، ٥	تستبدل كل من الحاصرتين بمتوازيين	
»	٧	جَشْوة	في ط : « حَسْوَة »
»	١٤	قابل	لعلّه : « قاتل »
١٦٩	١٨		لعلّ النسخة المطبوعة ناقصة ، فإن ابن قُدَامة نقل هذا القول في التبيين ١٩ عن مصعب
١٧٠	٦	عبد البرَّ	عبد البرِّ
١٧٤	١٢	مُسَجًّى	مُسَجًّى
١٧٦	١٢	(٣)	تلغى
١٧٩	٨	اقرأ : « ولم يرد في ترجمته خبر عودته إلى المدينة »	
١٨١	٢	المسجد	تلغى
»	١٥	عنـد	عن
١٨٦	٧	راضٍ	راضِيًا
١٨٧	٢٠	يزاد : « ولعله منسوب إلى صنعاء اليمن كما تبدو من نسبته إلى سَبَأ »	
١٩٣	١٧	(١)	(٢)
»	١٨	(٢)	(٣)
١٩٤	٢٠	الحاشية (٣) :	كذا في الأصول وهو استعمال العامة ، وفي الرياض ١ : ٧١ « الحَلْوَى »

١٩٧	٥	على	تلقى
١٩٩	٩	عقبةَ	عقبـةُ
»	١١	أيكثر	يكثُر
٢٠١	١١	عُلَى	عُلَىّ
٢٠٣	٦	ويفقهم	ويُفقّهُمْ
٢٠٦	١	وَهْم	وَهَم
»	٨	أبِ زَرْعَة	أبي زُرْعَة
٢٠٧	٣	حَيْوَةابن شريح	حَيْوَة بن شريح
٢٠٩	٢	ثلاثة	ثلاث
»	٤	بعَث	[فإنّه] بعَث
»	٥	القُشَيرِى	القَشْيرِىّ
٢١٠	٢	...ابن أبي بُرْدَة	... بن أبي بُرْدَة
٢١١	٢	المغيرةأبي بُرْدة	المغيرة بن أبي بُردة
»	١٠	الموصأ	الموّطأ
٢١٢	٤	سعيد المسيّب	سعيد بن المسيّب
٢١٣	٤	بن حِيِّ	لعله : « حَيّ »
»	١٦	محرف إلى	وفيـه :
»	١٦	ابن حاتم	ابن أبي حاتم
٢١٤	٥	شُراحيل	شَراحيل
»	١٥	المرى	المزّى
٢١٧	٩	بأفريقيّة	بإفريقيّة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢١	٢	يزيدأبىمنصور	يزيد بن أبى منصور
»	٢٠	٣ : ٢٣٢	٣ : ٢٣٣
٢٢٤	١٩	ابن عذرى	ابن عذارى
٢٢٥	١	الأمان	لك الأمان
»	٦	الأفوال	الأقوال
»	١١	يَزِيدٌ	يَزِيدُ
٢٣١	٨	طُرَفَاً	طَرَفَاً
٢٣٣	١٢	أشرك شيئاً	أشرك به شيئاً
٢٣٤	٩	خرجت كوى	خرجت من كُوَى
٢٣٦	١٨	إحدى	واحـد
٢٤٠	١	يقعد	يقعد فيـه
»	١٤	مصحف	محرف
٢٤٣	٤	لم أقبِلْها	لم أقبَلْها
٢٥٢	٢	بَيع	يَجيع
»	١٣	تشمّت	تشمِت
»			تُضاف إلى الحاشية رقم (٤) الإحالة إلى تعريفات الجرجانى ٢٧
٢٦٤	٢	ثَمّ	ثُمّ
٢٦٥	١٤	سَرِيّة	سُرِّيّة
٢٦٦	٢	أطوعُ	أطوعَ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦٦	٩	العَذْبَة	لعلها : « العَذِيَّة »
٢٦٨	١٢	فأجدُ	فأجِدَ
٢٧٤	٨	العُلَى	العُلاَ
٢٧٥	١٧	اشْتَرط	اشتُرِط
٢٨٠	١٧	أبو عبد الملك ابن مروان	أبو عبد الملك مروان . ويحال فى ترجمته على للعالم ٣ : ١٦١
٢٨١	١٨	« فرسنا ؟ »	له وجد من الصحة ، فالفِرْسِنُ يضرب مثلا فى هبة الشىء اليسير ، وفى الحديث : «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو فِرْسِن شاة». والفِرْسِن : عظم قليل اللحم ، وانظر تاج العروس ٩ : ٣٠٠
٢٨٤	٢	كوفِىَ	كُوفِىٰء
٢٩٢	١٢	ـ لأُوَدِّعَهُ ـ	لأُوَدِّعَهُ
٢٩٥	٢	عثل	بمثـل
٢٩٩	١٥	تشرُف	تشرُّف
٣٠٢	١٥	إنّه	أنّهُ
٣٠٥	٨	فتَهجّها	فتهجّها
٣١٠	٦	» «	تلغى

يطلب من

المكاتب الشهيرة

ومن :–

مكتبة الخانجي . . . . مصر

» الهلال . . . . بيروت

» المثنى . . . . بغداد

» النجاح ١١٩ سوق الترك . . . . . . طرابلس ليبيا

المكتبة العتيقة ٦١ نهج جامع الزيتونه . . . . . تونس